

كراسات مستقبلية

سلسلة غير دورية تصدرها المكتبة الأكاديمية تعنى
بتقديم الاجتهادات الفكرية والعلمية ذات التوجه المستقبلى

رئيس التحرير أ.د. أحمد شوقى مدير التحرير أ. أحمد أمين

المراسلات :

المكتبة الأكاديمية

شركة مساهمة مصرية

راس المال المصدر والمدفوع ٩,٩٧٣,٨٠٠ جنيه مصرى

١٢١ شارع التحرير - الدقى - الجيزة

القاهرة - جمهورية مصر العربية

تليفون : ٧٤٨٥٢٨٢ - ٣٣٦٨٢٨٨ (٢٠٢)

فاكس : ٧٤٩١٨٩٠ (٢٠٢)



المكتبة الأكاديمية

شركة مساهمة مصرية

الحاصلة على شهادة الجودة

ISO 9002

Certificate No.: 82210

03/05/2001

تحديات الدور المصرى وآفاق المستقبلات ...

ما بين التنبؤ ... والنبوءات !

[دراسة من منظور لغويات التفاوض]

تحديات الدور المصري وآفاق المستقبل... ♦♦♦

ما بين التنبؤ... والنبوءات! ..

[دراسة من منظور لغويات التفاوض]

تأليف

د. حسن محمد وجيه

خبير لغويات التفاوض والحوار الدولي



الناشر

المكتبة الأكاديمية

شركة مساهمة مصرية

٢٠٠٣

حقوق النشر

الطبعة الأولى ٢٠٠٢م - ١٤٢٢هـ

حقوق الطبع والنشر © جميع الحقوق محفوظة للناسر :

المكتبة الأكاديمية

شركة مساهمة مصرية

رأس المال المصدر والمدفوع ٩,٩٧٣,٨٠٠ جنيه مصري

١٢١ شارع التحرير - الدقى - الجيزة

القاهرة - جمهورية مصر العربية

تليفون : ٧٤٨٥٢٨٢ - ٢٢٦٨٢٨٨ (٢٠٢)

فاكس : ٧٤٩١٨٩٠ (٢٠٢)

لا يجوز استنساخ أى جزء من هذا الكتاب بأى طريقة
كانت إلا بعد الحصول على تصريح كتابى من الناسر .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وبه نستعين

إهداء

« ... عاهدت نفسي أن أكّد لتتعمى

وأخوض أخطار الحمام لتسلمى

فإذا حييت فإن ذكرك فى فمى

وإذا قضيت فقد فديتك بالدم ... »

إلى مصر التى فى خاطرى وفى دمى ..

إلى كنانة الله فى أرضه

إلى كل جنودها فى المجالات المختلفة

الذين هم فى رباط إلى يوم الدين ...

وإلى كل ذوى العقول المنصفة فى عالمنا

أهدى هذا الجهد المتواضع وكل جهد ...

وأدعو الله تعالى أن يجعل منه علماً ينتفع به

إنه هو السميع العليم وهو وحده المستعان .

ولا يسعنى إلا أن اتقدم بخالص الشكر العميق لأسرة هذه السلسلة القيمة ، وأخص بهذا الشكر أ.د. أحمد شوقى وأ. الفاضل أحمد أمين والأخين الكريمين أ. حاتم محمد حفننى وأ. محمد صالح حامد لجهدهما المشكور فى تدقيق هذا العمل ولأرائهما المشجعة لى ...

تزايدت في السنوات الأخيرة ، عمليات إصدار كراسات تعالج في مقال تفصيلي طويل (Monograph) موضوعاً فكرياً أو علمياً هاماً . وتتميز هذه الكراسات بالقدرة على متابعة طوفان الاتجاهات والمعارف الجديدة ، في عصر يكاد أن يحظى باتفاق الجميع على تسميته بعصر المعلومات .

تعتمد هذه الميزة على صغر حجم الكراسات نسبياً بالمقارنة بالكتب ، وتركيز المعالجة وتماسك المنهج والإطار . ولأهمية الدراسات المستقبلية في هذه الفترة التي تشهد تشكيلاً متسارعاً للملامح عالم جديد ، سعدت بموافقة المكتبة الأكاديمية وحماسة مديرها العزيز الأستاذ / أحمد أمين لإصدار « كراسات مستقبلية » كسلسلة غير دورية مع تشريفي برئاسة تحريرها .

والملامح العامة لهذه السلسلة ، التي تفتح أبوابها لكل المفكرين والباحثين العرب ، تتلخص في النقاط التالية :

انطلاق المعالجة من توجه مستقبلي واضح (Future-oriented) أى أن يكون المستقبل هو الإطار المرجعي للمعالجة ، حيث يستحيل إستعادة الماضي ، ويعانى الحاضر من التقادم المتسارع بمعدل لم تشهد البشرية من قبل .

الالتزام بمنهج علمي واضح يتجاوز كافة أشكال الجمود الإيديولوجي ، مع رجاء ألا تتعارض صرامة المنهج مع تيسير المادة وجاذبية العرض .

الإبتكارية Creativity المطلوبة في الفكر والفعل معاً ، فى زمان صارت النصيحة الذهبية التى تقدم فيه للأفراد والمؤسسات : تجدد أو تبتدد Innovate or evaporate !!

الإلمام العام بمنجزات الثورة العلمية والتكنولوجية ، التى تعد قوة الدفع الرئيسية فى تشكيل العالم ، مع استيعاب تفاعلها مع الجديد فى العلوم الاجتماعية والإنسانية، من منطلق الإيمان بوحدة المعرفة .

مقارنة الموضوعات المختلفة سواء أكانت علمية أو فكرية مؤلفة أو مترجمة ، من منظور التنمية الشاملة والموصولة أو المستدامة Comprehensive and Sustainable Development ، التى تتعامل مع الإنسان كجزء من منظومة الكوكب ، بل والكون كله .

كراسات هذه السلسلة تستهدف تقديم رؤيتنا لمستقبل العالم من منطلق الإدراك الواعى لأهمية التنوع الثقافى ، التى لا تقل عن أهمية التنوع البيولوجى الذى يحظى به أدبيات التنمية الموصولة . إننا نقدم رؤيتنا كمصريين وعرب ومسلمين وجنوبيين للبشرية كلها دون ذوبان أو عزلة ، فكلاهما مدمر ومستحيل .

هذه الكراسة

هى الثالثة بين إسهامات الدكتور حسن وجيه ، الأستاذ بكلية الترجمة ، جامعة الأزهر ، وخبير لغويات التفاوض والحوار الدولى . وهو ينطلق فيها من مصريته الخالصة وإتيمائه العربى / الإسلامى القوى ، ليوضح تحديات الدور المصرى فى ضوء مصطلحات ومناهج الدراسات المستقبلية ، واصفا رؤيته المتميزة فى إطار ومنظور لغويات التفاوض . وفى سبيل ذلك ، يقدم نماذجاً دالة فى تحليل خطابنا وخطاب غيرنا ، ويشير إلى عناصر التواصل عبر الثقافات فى مقابل نبوءات الصدام ، التى تنذر فى أسوأ أشكالها بنهاية العالم . وفى استعراض لواقع الدراسات المستقبلية المتواضع فى مصر والعالم العربى ، يستحثنا بقوة إلى دعم هذه الدراسات ، التى صارت من عناصر القوة المؤكدة لدى غيرنا من الأمم . إن مشروع الكراسات يسعده أن يقدم هذه الدراسة البديعة ، متمنيا لصاحبها المزيد من العطاء .

يناير ٢٠٠٣

د. أحمد شوقي

صفحة

الموضوع

- تمهيد ١٥
- أسئلة الدراسة ١٧
- أولاً : ألوان الطيف في تعريفات «مجال المستقبليات» في الواقع الغربي ١٨
- ثانياً : ماذا عن الخريطة الذهنية لأهم المفاهيم المحورية في مجال المستقبليات ؟ وهل من مستويات أو دلالات معينة لهذه المفاهيم من حيث الممارسات الثقافية من بلد إلى آخر ؟! وماذا عن فهم الواقع الثقافي العربي الإسلامي لهذه المفاهيم
- * (١) ماذا عن مفهوم «المستقبل» ذاته ؟ ٢٠
- * صورة ألعاب الملاهي ٢٠
- * صورة النهر الضخم ٢٠
- * صورة المحيط العظيم ٢٠
- * صورة لعبة الزهر ٢١
- * (٢) ماذا عن مفهوم «المستقبل ودراسته» في العقل العربي ؟ ٢٢
- * ابن خلدون والتشوف المستقبلي . ٢٣
- * ماذا عن الفهم القيمي لمفاهيم المستقبليات في واقعنا العربي ؟! ٢٤
- * تنوعات أساليب الإخبار عن المستقبل في القرآن الكريم وأمر الصيغة الفاعلة : ٢٤
- (١) أسلوب المزج بين الإخبار عن المستقبل وأمر تبني الصيغة الفاعلة من قبل الإنسان . ٢٤
- (٢) أسلوب الإخبار المستقبلي عن آيات الله وقدرته سبحانه لتحدى الماديين والكفار الذين لا يؤمنون بعظمة الخالق وقدرته ولا يوقنون آياته ودلائل عظمة خلقه وتديره لكل صغيرة وكبيرة في هذا الكون . ٢٥
- (٣) أسلوب الإخبار المستقبلي عن استمرار كشف الله سبحانه وتعالى عن محدودية علم الإنسان حتى لا يغتر ويتواضع لله وللنشر . ٢٥
- (٤) أسلوب الإخبار بالمستقبل لطمأنة المؤمنين الذين «يمتعيونوا بكيد الله الطيب لمواجهة كيد الكائدين» . ٢٥
- (٥) المستقبل - إذن - يتطلب إعداد القوة والأخذ بالأسباب كلها . ٢٦

- * ماذا عن أهم المفاهيم التقنية الأساسية في مجال المستقبليات ودلالاتها
٢٧ المهمة لفهم طبيعة المجال برمته !؟
- الفرق بين التنبؤ المستقبلي المؤكد (Prediction) والاحتمالي
٢٧ (Forecast) .
- السيناريو وأنواعه .
٢٨
- تحليل الخاصية (TREND Analysis) .
٢٨
- النبوءة (Prophecy) .
٢٨
- * عناصر وضع وصياغة التنبؤ الاحتمالي : المنظور التقني .
٢٩
- * العالم بين ما يعرفون ومن لا يعرفون ...
٢٩
- ١- الإدارة بالسيناريو SCENARIO MANAGENT
٣٠
- ٢- الخريطة الذهنية لأهم خطوات عملية التنبؤ الاحتمالي لفهم
٣١ تداعيات موقف تفاوضي ما (FORECAST) .
- ٣- تقنية مصفوفة التأثير والتأثر المتبادل ما بين المستقبليات والتفاوض
٣٢ CROSS - IMPACT ANALYSIS .
- ٤- قائمة بتقنيات حيوية أخرى ما بين المستقبليات ولغويات التفاوض
٣٥
- * التحليل الإرجاعي للأصول REGRESSION ANALYSIS
٣٥
- * ديناميكية النظم SYSTEM DYNAMICS
٣٥
- * المقارنة التاريخية HISTORICAL ANALOGIES
٣٦
- * النمذجة الحاسوبية والمحاكاة
٣٦
- COMPUTER MODELING and SIMULATIONS
- * تحليل الحجج كأساس لبناء السيناريو
٣٦
- ARGUMENTATION ANALYSIS
- * تحليل الأسئلة وإدارة المقابلات QUESTION ANALYSIS
٣٦
- * تحليل التواصل عبر الثقافات وإدارة الاختلافات الثقافية
٣٧
- . MANGING CULTURAL DIFFERENCES
- * دلالات لتحديات الدور المصري .
٣٧
- * ثالثاً : من يقوم بممارسة المستقبليات ؟ وماذا عن واقعنا الثقافي في هذا
٣٨ الصدد !؟
- * صور الممارسة بين الواقعين الدولي والواقع العربي .
٣٩
- (أ) ما بين التنبؤ والنبوءات .
٣٩
- (ب) ما بين العراف والمنجم وعالم المستقبليات والمخطط الاستراتيجي !!
٤٠
- (ج) ما بين خبراء المستقبليات وبرامج الأبراج والبلورة السحرية .
٤٠

* رابعاً : ماذا عن مساحات التفاوض المهجورة على الصعيد الثقافي الداخلي؟! وماذا عما يتعلق بتطور مشروعات أو مجامع الفكر المستقبلي

الدولية ؟ ٤٠

- ماذا عن الأبعاد المفتقدة التي لا تزال من أكبر عوائق تدشين مجامع فكرية مستقبلية كبرى في واقعنا الثقافي العربي ليكون من شأنها استباق ومنع وإدارة الأزمات من ناحية والسعى لتحقيق أجندتنا الوطنية من خلال فكر وثقافة التفاوض الإيجابي والاداء بالسيناريو !؟ ٤٠

* مفاوضات الجات كمثال لمساحات التفاوض المهجورة ! ٤٤

* الرؤية البحثية التكاملية المقترحة في إطار المشروع العربي الإسلامي الذي ينبغي وأن يكون . ٤٦

* الفكر الإسلامي المعاصر وتحديات التعاون والصراع .. ٤٨

* الاخلاقيات الكوكبية . ٤٩

١- نموذج حدود النمو ... ٤٩

٢- مشروع معهد ماستشوسيتس للتكنولوجيا والمعروف باسم «الإنسانية عند نقطة تحول» ... ٥٠

٣- مشروع الأرجنتين المعروف بنموذج بارليوتش . ٥١

٤- تقرير عام ٣٠٠٠ الكوكبي . ٥١

٥- دراسات ومشاريع الأمم المتحدة : رؤية مسحية ونقدية ٥١

* ماذا عن المشروع العربي الإسلامي الذي ينبغي وأن يكون !؟ ٥٣

* العوائق الثقافية بين «نازلة تخلف البحث العلمي» ونازلة غياب القوة البحثية العربية عن التفعيل المطلوب . ٥٥

* معضلة التغلب على هرم الفجوات الثلاثة في واقعنا الثقافي . ٥٦

* خامساً : تحديات الدور المصري وآفاق المستقبلات بين الصعب والمستحيل ٥٧

(١) الأولوية للتفعيل الأقصى لإمكانات الدور المصري من خلال «رفع

الأداء الثقافي العلمي العام إعلامياً وتعليمياً ببرامج تشغيل جديدة

٥٨ NEW SCIENTIFIC CULTURAL SOFTWARE

* ما بين صدمة المستقبل وصدّات «المناخ العلمي في واقعنا الثقافي .. ٦٦

(٢) تحديات الدور المصري والنظريات الحاكمة للتفاعلات الدولية

وصراعات الألفية الثالثة . (رؤية مستقبلية لحالة السيولة في النظام

الدولي ونظرياته .. ٦٨

* نظرية «صدام الحضارات» . ٧٠

* نظرية التكتلات الاقتصادية والإقليمية. ٧١

- ٧٢ * نظرية التبعية الإقتصادية
- ٧٤ * فكر البلقنة والشرق أوسطية
- ٧٥ * البلقنة والشرق أوسطية والإرهاب
- ٧٧ * نحو نظرية حاكمة من واقعنا
- (٣) تحديات الدور المصرى بين مستقبل الصراع العربى الإسرائيلى وسيناريوهات الإسلام والغرب : ما بين التنبؤ المستقبلى و«التنبؤات الدينية القادمة من الغرب» !!
- ٧٩ * الفرق الكبير فى أدبيات النبوءات بين التطرف الغربى والواقع العربى الإسلامى .
- ٨٠ (أ) المتطرفون ممن تم تسميتهم فى أدبيات الغرب «بالمسيحيين المتصهينيين» ومحاولتهم لتصعيد البعد الدينى ودفع العالم «لحروب دينية» .. وكتاب النبوءة والسياسة لجريس هيلسيل .
- ٨١ (ب) ماذا عن النبوءات الغربية بعد أحداث الحادى عشر من سبتمبر ؟ وكيف رأينا من يتنبأ «بصدام» و«بن لادن» !
- ٨٥ (ج) أهم أدبيات النبوءات : قراءة نقدية أولية .
- ٨٥ - عن كتاب «معركة هرمجدون وتأسيس مملكة الرب فى التوراة والإنجيل والقرآن» (جيزن كارلوتا) .
- ٨٦ - عن كتاب نهاية العالم للشيخ متولى الشعراوى .
- عن كتاب «أحاديث سيد المرسلين عن حوادث القرن العشرين ، للشيخ عبد العزيز السيروان .
- ٨٦ * خلاصة القول فى فكر النبوءات المقارن: دلالات لمنطلقات الدور المصرى .
- ٨٨ (٤) تحديات الدور المصرى وإدارة سيناريوهات العولمة والسعى لإيجاد صيغ جديدة للعمل الجماعى والعربى المشترك وللتفاعل على الساحة الدولية فى ظل سياقاتها الآخذة فى التركيب .
- ٨٩ - مفهوم التفاوض النضالى وأمثلة معبرة عن تحديات الدور المصرى فى سياق مثلث التفاعلات الدولية الأساسية (الأمم المتحدة - البنك الدولى - صندوق النقد الدولى)
- ٩١ - (أ) العولمة فى مرآة التفاوض .
- ٩٢ - (ب) مصر ومعركة التفاوض مع صندوق النقد الدولى : رؤية للمستقبل من عام ١٩٩٤ .
- ٩٩ - (ج) الأجندة التعليمية ... رؤية مستقبلية
- ١٠٣ [حالة التفاوض النضالى فى سياق اجندات البنك الدولى وخارجها]

- ٥- تحديات الدور المصرى ومهمة تفكيك «نظام الحرب الجائرة»
وتحديات عملية التواصل عبر الثقافات : نحو المشروع المصرى
العربى لاستشراف وتفعيل المستقبل الدولى . ١٠٨
- * إدعات هنتينجتون تؤدى إلى تفكيك أمريكا وفوضى فى العالم ! . ١٠٩
- * نحو تحرك عربى إسلامى لتفكيك «نظام الحرب الجائرة» . ١١٣
- ٦-- تحديات الدور المصرى والتفعيل الأقصى لفكر المستقبليات وتحديات
التواصل عبر الثقافات من خلال القنوات الأكاديمية والإعلامية
المتاحة والسعى لتدشين القنوات الأكثر تأثيراً وذات الوصول إلى
الساحة الدولية . ١١٩
- العرب أكبر قوة إعلامية فى العالم ! ١٢٠
- * خاتمة مصر والعرب وسيناريوهات أربع . ١٢٣
- ملاحق الدراسة

تقديم

إذا كان من الضروري والملح اليوم أن نقوم بتفعيل أقصى طاقات للدور المصرى عربياً وإسلامياً ودولياً فإن هذا لا يمكن إلا وأن يكون على أساس علمى وهذه الدراسة التى نقوم بها من منظور لغويات التفاوض تسعى إلى طرح خمسة أسئلة أساسية وأولية تجيب عنها فى اجزاء الدراسة الخمسة وتتعلق بالبحث فى المستقبلات وآفاقها ... فتبدأ بطرح ما المقصود بالتعريفات التى أطلقت على مجال المستقبلات ، والتى فى واقعها تخبرنا وبوضوح عن ألوان الطيف المتعددة التى تعكس توجهات العاملين بهذا الحقل ، كما أنها توضح مستويات التنبؤ العلمى الاخلاقى الذى هو فكر بحاجة إلى الانتشار علمياً وتعليمياً وإعلامياً . ولكن علينا أن ندرك أن هذه مهمة صعبة فى حد ذاتها ولكن ما قد ينقلها من حالة الصعوبة إلى حالة الاستحالة يتمثل فى محاولة البعض اليوم تهميش التنبؤ الذى من شأنه أن يصلح عملية إتخاذ القرار الدولى المتشابه فى عالم القرية الواحد واستبداله بفكر الصدام «النبوءات» (prophecies) والسعى لتفعيلها لتكون حرباً دينية» تعود بالبشرية إلى الوراء لقرون طويلة بدلاً من الأخذ بالأسباب لرفعة قدر انسان هذا العصر واشاعة النماء والإعمار المشترك بين ثقافات العالم والتى تمثل عملية التواصل فيما بينها صعوبات تقنية لا بد من اشاعتها ونشرها لصالح ادارة الثقافات لاصدامها المقصود أو غير المقصود بحكم اختلاف الرؤى والقيم ... وهذا أمر معقد يحتاج إلى العلم والتدريب والاعلام ... كذلك تسعى هذه الدراسة إلى التعريف بأهم المفردات المتعلقة بمفهوم «المستقبل» وكيف ينظر إليها بمستويات وزوايا تحليلية متعددة داخل الثقافات وغيرها ... وكان لازماً علينا أن نوضح حجم الاشارات المتناقضة والمتضاربة التى تصدر منا للأخرين بخصوص فكر المستقبلات من المنظور الإسلامى الصحيح .. وتعد هذه الدراسة استكمالاً لدراسة سابقة عن إدارة سيناريوهات الإسلام والعرب نشرتها المكتبة الأكاديمية فى إطار جهودها المتميزة لنشر ثقافة المستقبل التى يشرف عليها كل من أ.د. أحمد شوقي وأ. أحمد أمين - ونحاول الدراسة رصد نوعيات الممارسين لمجال المستقبلات وطرح رؤية نقدية لنوعية الممارسة فى واقنا العربى الإسلامى وأن نرصد هنا تلك المساحات المهجورة من تواجدها الفعل على صعيد الدراسات والممارسات المرتبطة والمؤسسة عليها ، وهنا نرصد مراحل تطور مشروعات استشراف المستقبل الدولية ، ونقدم رؤية نقدية فى هذا الإطار .

ثم نحاول فى الجزء الأخير من هذه الدراسة أن نحدد عناصر ومتطلبات تفعيل أقصى طاقات للدور المصرى الذى عادة ما ينطلق لصالح البعد الإنسانى بحكم القيم المحركة له عبر التاريخ الطويل ... وهنا نقدم رؤية نقدية واجبة لارجه الخلل التى ينبغى تداركها - ونعرض لملامحها العديدة فى ثنايا هذه الدراسة - وذلك من خلال طرح وتدشين ما اسميه بالبرنامج الثقافى العلمى الجديد

The New Scientific-Cultural Software. ، وأوضح ما المقصود بهذا «البرنامج» وملامحه وكيف أنه يرتبط بأمور حيوية متعددة لابد من أحداث التوافق الجماعي من خلال عمليات التفاوض المجتمعي عليها كأحد المنطلقات الرئيسية لتفعيل الدور المصرى على عدة محاور مطلوبة بشكل بالغ الأهمية خاصة فى ظل هذه الظروف البالغة الصعوبة التى يعيشها العالم كله وخاصة أمتنا العربية الإسلامية ... وأهمية فكر وممارسات الإدارة بالسيناريو وبالعلم وتفعيل أقصى طاقات القوة البحثية المصرية التى ينبغى وأن تستنفر كل طاقاتها الخلاقة للتعامل مع أوضاع ههى غاية فى الصعوبة والتركيب . وفى النهاية أدعو الله تعالى أن يجعل من هذا الجهد علماً ينتفع به وأن يعيننا ويعين مصرنا الغالية على القيام بدورها الرائد دائماً بعون وفضله لخدمة الوطن وهذه الأمة العربية الإسلامية وبشرية هذا العالم بما تملكه من طاقة وإمكانات ... والله ولى التوفيق وهو وحده المستعان .

المؤلف

د. حسن محمد وجيه

القاهرة ديسمبر ٢٠٠٢

أولاً : ماذا عن مصطلحات المستقبليات ؟ أى ماذا عن توضيح مستويات الدلالة لهذا المصطلح كضرورة لفهم التوجهات المتعددة التى قصدها المعنيون بهذا المجال الجوى ؟

وهنا سنقدم مناقشة موجزة للمصطلحات التالية بالإنجليزية والتى استخدمت لوصف هذا المجال :

(*) "Future studies" ← (أى الدراسات المستقبلية)

(*) "Future Research" ← (أى الأبحاث المستقبلية)

(*) "Future Field" ← (مجال المستقبلية)

(*) "Probabalistics" ← (الاحتمالية)

(*) "Future planning" ← (التخطيط المستقبلى)

(*) "Futurography" ← (صورة المستقبل)

(*) "Futury" ← (على وزن "History" أى المستقبل كإمتداد للتاريخ)

(*) "Decision Option Anlysis" ← (تحليل الاختيارات لاتخاذ القرار)

(*) "Projetive Research" ← (البحث الاسقاطى)

(*) "Alternative Analysis" ← (تحليل البديل / البدائل)

(*) "prognostics" ← (أدوات وطرق التكهن)

(*) "Futurism" ← (فلسفة المستقبل)

(*) "Futureible" ← (المستقبلات البديلة)

(*) "Futur istics" ← (الدراسات والأبحاث والتحليلات المستقبلية)

ثانياً : ماذا عن الخريطة الذهنية لأهم المفاهيم المحورية فى مجال المستقبليات ؟ وماذا عن دلالات هذه المفاهيم فى سياق الثقافات المختلفة ؟ وماذا عن خصوصيتها فى الواقع الثقافى العربى ؟

ثالثاً : من يقوم بممارسة المستقبليات ؟ وماذا عن الممارسات الثقافية المختلفة بصفة عامة وفى واقعنا الثقافى بصفة خاصة فى هذا الصدد ؟

رابعاً : ماذا عن مساحات التفاوض المهجورة فيما يتعلق بعبور هرم الفجوات الثلاثة (فجوة رد الفعل المتأخر) وتدشين برنامج ثقافى علمى جديد

New Scientific Cultural Software ؟ ... وماذا عن تطور مجامع الفكر المستقبلى الكبرى فى العالم وماذا عن الأبعاد المفتقدة التى لا تزال حائلاً دون تدشين مجامع فكرية مستقبلية كبرى فى واقعنا الثقافى العربى يكون من شأنها إدارة واستباق ومنع الأزمات والنوازل من ناحية وتحقيق الأجندة الوطنية من خلال فكر ثقافة التفاوض الإيجابى والإدارة بالسيناريو من الناحية الأخرى ؟

خامساً : ماذا عن تحديات الدور المصرى وخصوصيته من حيث الإسهام الفعال المطلوب فى تفعيل المستقبل الدولى والمشاركة فى ذلك بلغة التفاوض الإيجابى عبر الثقافات وأساليب الإدارة بالسيناريوهات لتحقيق أجندتنا الوطنية ، على المحاور المختلفة وفى إطار محاور ينبغى وأن يكون لنا فيها الإسهام الدولى المتميز بحكم خصوصية هذا الدور المصرى ؟

أولاً: ألوان الطيف فى تعريفات

« مجال المستقبليات » فى

الواقع الغربى

نحاول فى هذه الجزئية أن نتناول السؤال الأول فى قائمة أسئلة الدراسة وهو :
* ماذا عن مفهوم / مصطلح المستقبليات كضرورة لفهم التوجهات المتعددة أو المتشابهة من قبل المعينون بهذا المجال ؟

لقد تم إجراء استقصاء "poll" فى السبعينيات^(١) على ماذا ينبغى الاستقرار عليه فيما يتعلق بالمصطلحات التى رصدناها فى السؤال الأول فى قائمة أسئلة الدراسة ولقد كانت نتائج الاستقصاء هى :

- ١- أنه ليس هناك إجماع على التسمية الدقيقة للمجال .
 - ٢- أن المعينين يريدون كلمات مميزة لهذا المجال إلا أن المشكلة دلالات كل لفظ مختلفة عن الأخرى وبالتالي التى ترى زاوية فى مصطلح وزاوية أخرى فى مصطلح آخر من الـ ١٤ التى رصدناها .
 - ٤- أن العنوان الاصطلاحي الواحد يعد مقتضب ولذلك من الأفضل وجود عدة مفردات للإشارة إلى التقسيمات المختلفة لمجال المستقبليات .
- ... وبعد مداولات واستقصاءات أخرى أجمع المعينون على أن أفضل المصطلحات تتمثل فى مصطلحي «الدراسات المستقبلية» أو «الأبحاث المستقبلية» Future Ressarch ... من ناحية ومصطلح Futur istics من الناحية الأخرى هى الأدق (من ناحية الاجماع فى ذلك الاستقصاء) .
- ثم استقر الأمر على المصطلح الأخير Futuristics للأسباب التالية :

(١) قامت جمعية مستقبلات العالم World Future Society بإجراء هذا الاستقصاء فى عام ١٩٧٥ .

- ١- أنها كلمة واحدة موجدة وحاوية وأسهل فى الاستخدام وتعبر عن مكون متعدد يشمل «التحليل المستقبلى» والدراسات أو الأبحاث المستقبلية .
 - ٢- أن تعبير "FUTURESTICS" لا يقصر المجال على الأنشطة العلمية البحثية الصارمة فقط ، لأن من فضائل كلمة «المستقبل» .. أن لكل انسان نصيب معلوم فيها .. وكل إنسان يمكنه لعب دور فى مستقبله ... وبالتالي فإن تعبير «علم المستقبل» Futuroloy يظل قاصراً ... وليس معبراً عن ألوان الطيف فى هذا المجال .
 - ٣- أن كلمة Futuristics تجنبنا مشكلة "S" الملكية فى كلمتى Future Studies أم "Future's studies" أى اللبس الناتج من تعبير «الدراسات المستقبلية» أم دراسات «المستقبلات» .
 - ٤- أن مقطع "ics" يعنى مجال بأكمله ... وأنشطة متعددة فى إطاره ...
 - ٥- أما أفضلية تعبير Futuristics على تعبير Futurism أن الأخير يعبر عن مفهوم فلسفى .. أى فلسفة المجال أو اسلوب التناول فيه فقط ... لذلك كانت الأولى أحوى لأنها تتضمن وجود فلسفات لتناول المجال .
 - ٦- كذلك فإن تعبير "Prognostics" يقصر الفهم على أدوات وطرق تحليل المستقبل فقط .. وكلمة Futurable أيضاً تقصر المعنى على أى تصورات وتطورات ممكنة للمستقبل .
- الخلاصة أن كلمة "Futuristics" التى يصعب ترجمتها فى كلمة واحدة على وجه الدقة إلا أنها تعنى الكلمة التى أصبحت مستقرة للإشارة إلى كل مجال «المستقبلات» أى ذلك المجال الذى يتسع للمفاهيم التالية:
- (١) طرق تحليل التكهن بمسارات المستقبل .
 - (٢) تقديم سيناريوهات مستقبلية .
 - (٣) الإشارة إلى بنك للبدايل المستقبلية المتاحة .
 - (٤) الاستعانة بأصحاب الرؤى Visionists وهم ليس من الشرط من الباحثين أو العلماء بل هم أناس لهم فطرية خاصة وكارزما خاصة تمكنهم من التكهن أو التنبؤ .

(١) راجع كتاب صادر عن جمعية مستقبلات العالم بعنوان «دراسة المستقبل : مقدمة فى فن وعلم فهم وتشكيل عالم الغد» .

The Study of the Future: An Introduction to understanding and shaping Tomorrow's world, published by world future society, Maryland, U. S. A 1977.

(٥) المجال يعين الدراسة الحاسوبية والحسابية للتطورات التكنولوجية أو المجتمعية أو الاقتصادية ... وتقييم نتائج مثل هذه الدراسات^(١) .

لذلك يُعد تعبير الـ Futuristics حاوياً للعلم والفن والحدس . وللأخلاقيات التي ينبغي وأن تتوفر في أى مجال إنسانى - خاصة المستقبليات - وللتعامل مع أنماط وأنشطة التفكير وعلاقتها بالواقع المعاشى .

١- ماذا عن مفهوم «المستقبل» ذاته (Future) ؟

مفهوم «المستقبل» ذاته موضع رؤى مختلفة عبر الثقافات وفي داخل كل ثقافة ... ومن التمارين التي تقدم للطلاب في كورسات تدريس المستقبليات هو وضع أربع صور لفهم المستقبل لكي تبدأ من خلال مدركات الطلاب الحلقة التدريبية والمناقشات ... ولعل من المفهوم رصد هذه الصور الأربعة وهى :

(أ) صورة ألعاب الملاهى

أى إن المستقبل مثل «سكك حديد الملاهى» التي يركبها رواد الملاهى فتتحرك بهم القاطرة من فوقها لتدخل بهم من مكان مظلم إلى آخر وتتحرك بفجائية من اليمين إلى اليسار وتنزل بحدة من مكان مرتفع إلى منخفض بشكل مفاجئ والعكس ...

(ب) صورة النهر الضخم

أى أن المستقبل هو بمثابة «نهر ضخم» تنساب فيه الحركة القوية للتاريخ التي تحملنا معها وتحركنا وأن أغلب محاولتنا لتغيير مسار هذه الحركة بمثابة القاء بعض الحصى فى هذا النهر اقصى ما تفعله هو مجرد موجات ضعيفة فى المياه ... ويكاد ألا يكون لها أى تأثير ... وأن أى تغيير قد يحدث لمسار النهر لن يكون إلا بفعل كارثة طبيعية كزلزال كبير أو انزلاقات أرضية ... ولذلك فإن أقصى ما نفعله ألا نحاول تغيير مسار حركة النهر ولكن نجتهد فى السير بعيداً عن الدوامات وأماكن الخطر فى مسار النهر .

(ج) صورة المحيط العظيم

أى أن المستقبل هو «محيط عظيم» حيث يوجد لدينا أكثر من مسار نسلكه لنذهب إلى الأماكن التي نريدها عبر هذا المحيط . وأن البحار الجيد هو الذى يستفيد من حركة الرياح وحركة تيارات المياه وأن يكيف نفسه ويحطاط بالنظر

ثانياً : ماذا عن الخريطة

الذهنية لأهم المفاهيم المحورية فى مجال المستقبليات ؟ وهل من مستويات أو دلالات معينة لهذه المفاهيم من حيث الممارسات الثقافية من بلد إلى آخر ؟! وماذا عن فهم الواقع الثقافى العربى الإسلامى لهذه المفاهيم ؟

الثاقب وملاحظة ما يحدث امامه أثناء عملية الابحار خاصة عند وجود الشبورة الكثيفة حتى يتمكن من الوصول إلى المكان الذى يقصده بسلام .

(د) صورة لعبة الزهر

أى إن المستقبل عشوائى تماماً ... كما لو كان مثل لعبة الزهر .. كل ثانية يحدث فيها مئات والألف بل وملايين الأحداث التى كان يمكن أن تحدث بأسلوب أو بطريقة أو أخرى .. وكان لها أن تنتج مستقبلاً غير ذلك الذى حدث .. فالرصاصة العشوائية قد تقتل رجل ولا تقتل غيره . والعالم قد لا يكتشف شيئاً وقد تقوده الصدفة البحتة لاستكشاف البنسلين مثلاً .. أى أن الصدفة محورية عندما نتحدث عن المستقبل ... وكذلك «الخط الجيد» أو «الخط التيسر»^(١) .

وبعد رصد هذه التصورات الأربع عن الرؤى المتعددة لفهم مفهوم المستقبل يسأل المعنى بحلقة التدريب عن المستقبلات أربعة أسئلة مثل :

- أ - أى صورة من الصور الأربعة التى تصف رؤيتك لمفهوم «المستقبل» ؟
- ب - أى صورة تعتبر الأكثر صلاحية وواقعية من الصور الأربعة ؟
- ج - هل لديك ما تقوله لتثبت أى الأوصاف أصح من الأخرى ؟
- د - ماذا عن تبعات تبنى كل صورة من الصور الأربعة على المجتمعات أو الثقافات التى تبنى صورة بعينها وترفض الصور الأخرى ؟

هذه الأسئلة الأربعة تمثل حجر الأساس للمناقشة وعلى المدرب الراعى الا يسمح بأن تنزلق المناقشة لتصل إلى تبنى وجهة النظر الأولى أو الرابعة (أى لتكن هذه النقطة هى اجندته غير المعلنة من عملية التفاوض الجماعى داخل حلقة التدريب ولكن عليه أن يوضح صلاحية وجهات النظر الأربعة فوجهة النظر الأولى تقول :

«بأننا محكمون بظروف خارجة عن سيطرتنا وحرية تصرفاتنا» .

والثانية تقول : أن تغيير المسار أو الثقافة هو مهمة صعبة للغاية ونكاد لا نملك حيال ذلك شيئاً ولا علينا إلا التكيف الذكى .

والثالثة تقول «بأنه ويتوفر بعد النظر الثاقب والمرونة والاصرار لدينا نستطيع أن نختار ما نريده ونستطيع أن نحققه» .

والرابعة تقول : بأن عامل الصدفة قوى للغاية فى كل شىء يحدث والشخص

(١) راجع الكتاب الكلاسيكى التالى :

Kauffman, Draper, Teaching the Future: A Guide to Future - Oriented Education, ETC Publication California 1976.

العاقل أو المجتمع الراشد يحاول ألا يترك للفرص أو الصدف السيئة أن تتحكم في قراراته ويحاول استغلال الفرص أو الصدف الجيدة لصالحه ولصالح اختياراته أن معظم خبراء المستقبليات يتبنون صورتى «النهر» و«المحيط» أى (ب) ، و (جـ) ويتفاعلون فى إطاريهما أكثر من تبنيهما لكل من (أ) و (د) .

حيث أن صورة النهر تتطلب التكيف أولاً لتأتى بعد ذلك صورة المحيط لاختيار المسار والسيطرة الأكثر على مقدرات التدخل الإيجابى .

٢- ماذا عن مفهوم «المستقبل ودراسته، فى العقل العربى؟

[أو عندما يسأل أحد خبراء المستقبليات : لماذا يعارض قطاع من المسلمين فكر المستقبليات ؟!]

... سألتى جيروم جلن Gerome Glenn ، أحد خبراء المستقبليات المعروفين عالمياً فى أول لقاء به فى مصر منذ عدة سنوات ، هل هناك ما يمنع المسلمين عقائدياً من الخوض فى فكر المستقبليات ؟!..

... لقد لاحظت أن السائل يصيغ السؤال أعلاه بنبرة استفسارية ما بين معرفة الإجابة والحاجة للتأكيد .. ولقد صحت توقعاتى ... فالرجل لديه معرفة جيدة عن موضوع سؤاله وعنده الإجابة فى كتابه الذى أهدها إلى "وكان بعنوان «العقل المستقبلى»^(١) حيث يشير إلى إسهام العلماء المسلمين فى فلسفة الفكر المستقبلى عندما يشير تحديداً للعالم والفيلسوف المسلم الكندى^(٢) .

ولكن حاجة السائل للتأكيد جاءت من جراء سماعه لآراء «نخبوية» تتردد فى الإجابة الحاسمة من أن الفكر الإسلامى الصحيح يدخل فى صميم الصيغة الفاعلة والأخذ بالأسباب وأن هذا الأمر لا يتداخل عقائدياً مع الإيمان بأن الله سبحانه وتعالى عنده علم الغيب ... وأنه علام الغيوب ...

ولكن وكالعادة مع الأسف تصل إلى الغرب من واقع تفاعلاتنا إشارات متناقضة فى مثل هذه الأمور .

ومن الطريف أنه وبعد سنوات طويلة من لقائى هذا عن موضوع علم المستقبليات من المنظور الإسلامى أعود هذه الأيام وافتح ملفات قديمة لم أكن قد

(١) راجع :

Glenn, Gerome, Future Mind: Artificial Intelligence, Acropolis Books LTD. Washington D.C.

(٢) السابق ص ٢١ .

★ ابن خلدون والتشوف المستقبلي

قرأتها بعناية كافية في وقتها وعدت إليها وأنا أكتب هذه الدراسة اليوم ومنها مقال متميز للمفكر العربي د. أحمد صدقي الدجاني^(١) حيث يذهب إلى اعتبار علم المستقبلات الامتداد الطبيعي لعلم التاريخ وأنه طبقاً للبعض كابن خلدون يدخل في إطار علم الاجتماع التاريخي .. كما اثار إلى استخدام ابن خلدون لمفهوم «التشوف المستقبلي» على أن الدجاني يقول :

«أنه لا يطمئن إلى تسمية مجال المستقبلات بعلم المستقبلات «أخذاً في الاعتبار أن حد العلم عند علمائنا هو «الاستيقان والتبين» . وأنها في حضارة تحكمها رؤية مؤمنة تؤمن بالغيب وأن الله سبحانه هو «عالم الغيب فلا يظهر على غيبة أحداً إلا من أرضى من رسول» وبعض المستقبل يقع في دائرة الغيب...»^(١) .

ولاشك أن أي مسلم يتفق مع د. دجاني في مسألة الغيب وأن علمه عند الله سبحانه وتعالى فقط ... إلا أن مساحة الفعل المتاحة للإنسان إسلامياً هي مساحة كبيرة وأمرنا الله بالسعي فيها وهي مساحة تختمل أن ننشئ فيها «علم للمستقبل» ... وإن كان هناك آراء عالمية تقول بهذا أو تفنده فهي مسألة من وجهة نظري المتواضعة تظل في حيز المساحة التي أمرنا الله بالسعي لمكثها . وهنا نعود لنستكمل مناقشة صور التفكير في المستقبل الأربعة التي رصدها درار كوفمان Drper Kauffman في كتابه الكلاسيكي الهام بعنوان «تدريس المستقبل» والمشار إليه آنفاً ... حيث أن ما يرتبط بهذه الصور ومناقشاتها بشكل أكبر يتمش في طرح مفاهيم الحتمية والحرية بالمعنى الغربي (Fatalism & behaviourism) أو بمعاني الجبر والاختيار أو هل الإنسان مخير أم مُيسر ؟ طبقاً لمفردات الفكر الإسلامي .

وهنا يكون السؤال المحوري هو : هل الأحداث التي يمر بها البشر حتمية وقدرية ومكتوبة ولا فكاك منها ؟ وأن أي أسباب تؤدي إلى نفس النتائج ؟ أم العكس ... حيث يوجد مجال للتدخل والاختيار ؟! ولقد واجه العلماء في مجالات متعددة نفس هذه الأسئلة ، عندما قادتهم الصدفة البحتة إلى اكتشاف أعظم الاكتشافات كما وجدت نظريات عديدة في مجال الطبيعة تتحدث عن انتظام الكون وحتمية قوانينه حتى أن نظرية الفوضى Choeos theory تقول بأن ما يبدو وعلى كونه فوضى من حيث الظواهر تحكمه قوانين حتمية ومنظمة ومنفصلة لفهم الأمور

(١) راجع الدجاني ، أحمد صدقي «رؤية عربية لعلم دراسة المستقبل» ، الأهرام ١٩٩٤/٤/١٩ .

المنتظمة والتي تبدو فوضوية^(١) ^(٢) .

خلاصة هذا الأمر أن علم أو مجال المستقبليات ينابه من المناقشات نفس تلك الجدليات التي دارت على مستوى الحوار الدينى والفلسفى من أن الإنسان مخير أم مُسير ؟ وهل هناك قدرية مطلقة أم هناك مساحة لاختيارات الإنسان ؟!

٣- فماذا عن الفهم القيمى لمفاهيم المستقبليات في واقعنا العربى ؟!

الخلاصة المنطقية التى انتهى إليها علماء الدين وأيضاً العلماء والفلاسفة رغم اختلاف وجهات نظر بعضهم البعض ومواقفهم إلى أن كل الأمور قد قُدرت سلفاً من قبل الخالق العظيم الذى خلق هذا الكون وإن علمنا قليل مهما جاءنا من العلم ... وهذا ما فسرهُ الشيخ الشعراوى لقوله تعالى : «أتى أمر الله فلا تستعجلوه» أى أن كل شئ قد كُتب وما نحن إلا مطلقين على ما قد كتبه الله سبحانه وتعالى ونراه عبر سنوات عمرنا ما مضى منها وما هو قادم ... ولكن أمر الله تعالى الواضح للإنسان أن يسعى ويأخذ بالأسباب وأن «من يعمل مثقال ذرة خيراً» سيرها وتكتب فى أعماله ومن «يعمل مثقال ذرة من شر» سيرها وتكتب فى أعماله .

٤- تنوعات أساليب الأخبار عن المستقبل فى القرآن الكريم وأمر الصيغة الفاعلة :

يخبرنا القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة عن المستقبل بصيغ وأساليب عديدة نرصد أهمها فيما يلى :

[١] أسلوب المزج بين الأخبار عن المستقبل وأمر تبنى الصيغة الفاعلة من قبل الإنسان فالإخبار عن المستقبل من حيث كون الغيب الذى علمه عند الله وحده إلا ما أطلعنا عليه فى محكم آياته يرتبط بأمر الله لنا بأن نسعى ونعمل ونأخذ بالأسباب وهذا ما علينا أن نقوم به ... وكمثال من عشرات الأمثلة نرصد هنا هذا المزج الالهى من خلال سورة الزلزلة - كمثال ضمن أمثلة عديدة - حيث يقول الحق جل فى علاه :

﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا (١) وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا (٢) وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا (٣) يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا (٤) بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا (٥) يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ (٦) فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (٨)﴾

(١) لتفسير نظرية الفوضى من ناحية ما تبحث فيه فى علوم الفيزياء والعلوم الاجتماعية راجع لكاتب السطور مقال بعنوان «العرب ونظرية للفوضى» جريدة البيان الإماراتية / / ١٩ .

(٢) راجع بخصوص جدلية الجبر والاختيار مقال د. حازم البىلاوى بعنوان «ماذا لو» ، الأهرام ٢٠٠٢/١٢/٨ .

وهنا نلاحظ بوضوح القدرية والحتمية فيما يتعلق بما كتبه وقدره الله والتي لا تتناقض مع ما أمرنا الله به من السعى للعمل وأخذ الصيغة الفاعلة في أفعالنا وفي حرية الفعل بالخير أو بالشر .. ولكل تبعاته ومسؤوليته .

[٢] اسلوب الإخبار المستقبلي عن آيات الله وقدرته سبحانه لتحدى الماديين والكفار الذين لا يؤمنون بعظمة الخالق وقدرته ولا يوقنون آياته ودلائل عظمة خلقه وتديره لكل صغيرة وكبيرة في هذا الكون :

أى خطاب للظالمين والجائرين الذين يظنون أنهم وبعلمهم دون إيمانهم قد أصبحوا أسياد الأرض فلا يقيمون العدل والحق وتأخذهم العزة بالأثم .. فيقول الخطاب المستقبلي هنا : «وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ (٥٠) ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيَكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ (٥١)» (الأنفال : ٥٠ ، ٥١)

ويقول الحق جل في علاه عمن يظن بضرورة أنه بالعلم القليل الذى جاءه إنما تمكن من السيطرة على الأرض التى سخرها الله للإنسان بأمره ليرزقه فيها : «إِنَّمَا مِثْلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٢٤)» (الآية ٢٤ - سورة يونس)

[٣] اسلوب الإخبار المستقبلي عن استمرار كشف الله سبحانه وتعالى عن محدودية علم الإنسان حتى لا يغتر ويتواضع لله وللبشر ...

يقول الحق جل في علاه فى إخباره باقتراب نهاية العالم : «وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ (٨٢)» (الآية ٨٢ سورة النمل)

ويقول الحق سبحانه وتعالى : «سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوْ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (٥٣)» (الآية ٥٣ سورة فصلت)

[٤] اسلوب الإخبار بالمستقبل لطمأنة المؤمنين الذين «يستعينوا بكيد الله الطيب لمواجهة كيد الكائدين ..

وهنا نجد سورة الروم التى دلت عن التنبؤ بحدث غيبى هام ... أخبر عنه القرآن

الكريم قبل حدوثه ، ألا وهو انتصار الروم على الفرس فى الحرب التى دلت عن التنبؤ بحدث غيبى هام ... أخبر عنه القرآن الكريم قبل حدوثه ، ألا وهو انتصار الروم على الفرس فى الحرب التى ستقع قريباً بينهما ، وقد حدث كما أخبر عنه القرآن ، وبذلك تحققت النبوءة ، وذلك من أظهر الدلائل على صدق محمد ﷺ فيما جاء به من الوحي ، ومن أعظم معجزات القرآن فلقد كان بين فارس والروم حرب ، فغلبت فارس الروم ، فبلغ رسول الله ﷺ وأصحابه فشق عليهم ، وخرج المشركون بذلك لأن أهل فارس كانوا مجوساً ولم يكن لهم كتاب ، والروم أصحاب كتاب فقال المشركون لأصحاب رسول الله ﷺ إنكم أهل كتاب ، والروم أهل كتاب ، ونحن أميون ، وقد ظهر إخواننا من أهل فارس على إخوانكم من الروم ، فلنظهروا عليكم فقال أبو بكر الصديق ... لا يقر الله أعينكم فأنزل الله السورة^(١) يقول الحق جل فى علاه :

﴿الَّذِينَ هَازَمُوا رُومَ (١) غَلَبَتِ رُومُ (٢) فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ (٣) فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ (٤)﴾ (الآيات ١ - ٤ سورة الروم)

[٥] المستقبل - إذن - يتطلب إعداد القوة والأخذ بالأسباب كلها :

يقول الحق سبحانه وتعالى : ﴿وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ . والآية تبدأ بفعل أمر يفيد الحاضر والمستقبل ... وإعداد كل أنواع القوة الاقتصادية والدبلوماسية وكل أشكال القوة وتأتى القوة العسكرية بعد ذلك (ومن رباط الخيل) وفى ذلك ما يشير إلى أهمية اعتبار مفهوم القوة الشاملة بأبعاده المختلفة والسعى لاكتسابها كاملة .

... خلاصة القول فى هذا السياق أن هناك أساليب متعددة للنظر إلى مفهوم المستقبل واعتباره والاستعداد له بالصيغ الفاعلة المطلوبة .. مع النظر والاعتبار بقرص الأولين وما فيها من ربط بين المستقبل والماضى ... كما أن استحضار مسيرة الرسول ﷺ وأحاديثه الشريفة تتضمن شواهد كثيرة على ضرورة تبنى «النظر والرؤية المستقبلية والأخذ بالصيغة الفاعلة» بعد التوكل على الله سبحانه وتعالى ... ولهذا تفاصيل كثيرة فى سياق آخر ، ويشير إلى هذا الأمر فى سياق حديثنا عن «النبوءات» فى خامساً بهذه الدراسة .

(١) لمزيد من التفاصيل راجع على سبيل المثال الصابونى ، محمد على صفوة التفاسير - المجلد الثالث ، دار القرآن الكريم ، بيروت ط ٤ ، ١٤٠٢

• ماذا عن أهم المفاهيم التقنية الأساسية فى مجال

المستقبلات ودلالاتها المهمة لفهم طبيعة المجال برمته ؟!

لابد لفهم ألوان طيف مجال المستقبلات ومستوياته المتعددة ، أن نرصد هنا أهم المفاهيم التقنية التالية المستخدمة وهى :

[١] الفرق بين البيان أو التنبؤ المستقبلى المؤكد، (Prediction) والتنبؤ المستقبلى المحتمل (Forecast) :

من الأخطاء الشائعة لغير المتخصصين استخدام المصطلحين بشكل غير مختلف .. خاصة فى الصحافة ، فإذا ذكر أحد خبراء المستقبلات مثلاً : إذا استمرت معدلات النمو السكانى فى مصر مع ازدياد الاستهلاك والاستيراد فسوف تكون هناك كارثة محققة للاقتصاد الوطنى فى عام كذا فى المستقبل فإننا نجد تغطيات اعلامية تقول بوقوع الكارثة فى عام عام كذا لاسمح الله ... فى الوقت الذى يتحدث هذا الخبير على احتمالات فى ظل وجود عوامل قائمة ... ولكن إذا ما تمت السيطرة على هذه العوامل لن تحدث الكارثة بل على العكس قد يحدث الازدهار إذا تم عبور مرحلة السيطرة وتم تغيير شكل المعادلة الراهنة .

وللبيانات المستقبلية المحتملة Forecasts عدة سمات مهمة ليكون البيانات أقرب للتوقع الأدق وهذه السمات هى .

[١] الوضوح "Clarity" البعيد عن الغموض أو بالحد الأدنى منه . ووجود إطار زمنى محدد Time Frame وبافتراضات واضحة .

[٢] القابلية للتصديق (plausibility) :

أى أن تتسم بالإتساق وأن توضح أى تناقض قائم بين المعلومات أو القناعات الراهنة .

[٣] القدرة المتخيلة على التشغيل (Imagintian) :

أى أن يتسم ببيان المستقبل المحتمل بخيال جيد أى ذلك الخيال الذى قد يقبله أو يرفضه البعض ولكن لا يمكن إثبات زيفه ... والخيال الجيد فى بيان المستقبل بخصوص أزمة ما يسمح بفهم حجم الأزمة أو فى الفرص الجيدة التى قد تحملها^(١) .

(١) السابق Kauffman (65 - 66 pp) ..

٤) التبرير (Justification) :

أن البيان المستقبلي المحتمل لا بد وأن يتضمن في عناصره ما يبرره من العناصر السابقة كلها . ولكن أهم عنصر في التبرير هو أن يضمن حجة argument على مستوى مقنع ورفيع من الناحية العقلانية rational argument .. وفي ذلك لا بد من الإشارة إلى مستويات الاختيار للتحرك المناسب ولا بد هنا من الإشارة إلى أن التبرير لا يعنى دليل أو برهان مؤكد Proof ...^(١) .

وهناك عدة أنواع للبيان المستقبلي المحتمل Forecast وهي : البيان الأولي المحتمل primary Forecast ... وهو بيان لخاصية حدثت في الماضي واستمرت في المستقبل وفي هذا المعنى يطلق تعبيرات استخلاص الخاصية tvend extrapolation ، والاسقاط المستقبلي (projection) أما البيان الثاني Secondary Forecast وهو تنبؤ عن أى احتمال مستقبلي دون أن يرتبط بخاصية حدثت في الماضي . أما البيان الثالث Tertiery Forecast فيشير كل في طبيعته إلى تدخل العامل البشري لصياغة الحدث المحتمل .

■ السيناريو وأنواعه : Scenario

نعرضنا فى كتاب سابق لمعنى السيناريو وأنواعه^(٢) وأساليب صياغته واضفنا بعد النظر إلى صيغة السيناريو على أساس من أساليب بناء صياغة الحجج Argument building ونقاط القوة والخلل بها بشكل من التفصيل .

ويهمنا هنا أن نشير بإيجاز إلى أنه توجد أساليب عديدة لصياغة السيناريو وهو فى أغلب الأحيان أسلوب تصويرى لمسار محتملة للأحداث عادة ما يتم وصفها باستخدام أفعال الماضى كماضى كأنه قد حدث بالفعل على منوال فنية السرد القصصى على أن يعطى ذلك الوصف (الماضى) بتاريخ مستقبلي .

■ تحليل الخاصية (خاصية الأحداث) : Trend Analysis

المقصود بالخاصية هو رصد نمط الأحداث التى تحدث فى الماضى ورصد إمكانية استمرارها فى نفس الاتجاه أو اختلاف خصائصها عن الماضى فى المستقبل القريب أو البعيد^(٣) .

■ النبوءة : Prophecy

أى بيان مستقبلي لا يتعلق بإجراءات امبريقية أو علمية معينة أو محددة .

(١) السابق Kauffman (65 - 66 pp) ..

(٢) حسن ، محمد وجيه ، راجع كتاب سيناريوهات الحرب والسلام : دبلوماسية المسار الثانى من منظور اللغويات الاجتماعية والسياسية ، دار المعراج الدولية للنشر ١٤١٩ هـ ، ١٩٩٩ م . الرياض . (ص ٨٣ : ص ١٠٢) .

(٣) السابق ص ٤٣ (وهناك تطبيق لتحليل الخاصية فى المرجع السابق اعلاه فيما يتعلق بعملية السلام العربية الإسرائيلية .

عناصر وضع وصياغة التنبؤ الاحتمالى :

المنظور التقنى

تمهيد مطلوب :

إذا كان هذا العصر قد سُمى بعدة مسميات مثل «عصر الفضاء» و«عصر المعلومات» و«عصر التكنولوجيا» وإلى ما ذلك من مسميات ، فلا شك أنه كذلك «عصر المستقبلات» ، بمعنى النزوع إلى المستقبل والتخطيط العلمى له فى كافة نواحي الحياة .. ولذلك علت صحيات المعنيين بقولهم أن المستقبل هو ما نفعله اليوم ... وتردد مصطلح «صناعة المستقبل» أى دون الاكتفاء بانتظاره وتشوفه فقط ... ولذلك كان هناك اهتمام كبير على مستوى الدوائر العلمية الدولية على صعيد التخصصات المختلفة بتطوير أساليب وتقنيات التنبؤ الاحتمالى FORECAST ... ولعل من التصنيفات المؤسفة - ولكنها الواقعية - أنه قد تم تصنيف العالم إلى شمال متقدم وجنوب نامى أو بين اغنياء وفقراء - ولكن هناك تصنيف أكثر دقة من وجهة نظرنا وهى العالم بين من يعرفون ومن لا يعرفون ... الخطر الكبير الذى يحدث لامتنا العربية الإسلامية والحقيقى هو أن تتسع الهوة فى المعرفة وتفعيلها والاستفادة منها لأحداث النهضة والتقدم . والمأساة الحقيقية أننا وبالفعل لسنا كأى أمة .. لأننا أمة كان لها فضل حقيقى فى تقدم العلوم والمعارف الإنسانية ... ولا سبيل أمامها إلا أن تسارع بحماس واستنهاض لكل الطاقات الخلاقة ... ففى خضم هذه الثورة العلمية المعرفية والسباق الحميم بين الأمم لاكتسابها وجعلها واقع فى أسلوب التفكير لدى الفرد والمؤسسة وإدارة الجهود الجماعية «وتحليل النظم» من خلال «علم قد استقل وسمى بهذا المسمى ، لا يزال واقعنا العربى ماضوياً فى الأساس ولا يزال الإدراك العام المنعكس تماماً فى واقع الممارسة الحقيقية بنظر إلى هذا المجال الحيوى لكل مناحى الحياة - بل للأمن القومى المصرى العربى - بشكل مختزل ومبتسر ومتجسداً فى برامج كثيرة فى الاعلام العربى عن كشف الطالع .. وماذا فى النجوم عنك؟! وأبواب الأبراج» الثابتة فى الصحف والمجلات ، بينما لا يزال ينظر إليه من البعض المتجمد على كونه «تدخلاً فى الغيب والعياذ بالله» وهناك من ذكر لى وهو محسوب على النخبة ... «إن هذا المجال بمثابة رفاهية علمية لا ضرورة لها فى واقعنا ... ويكفى أن ندير شؤون الحاضر ليمر على خير وسلام!!» ... بينما يرى قطاع آخر «أنه وسائل الآخرين لاختراقنا!!» وكأنه لا يوجد إلا هذا المستوى الخفيف!! وكأنه لا يوجد أسلوب بل أساليب لجعل مثل هذا المجال السياج القوى والقومى لعدم الاختراق بل عنصر من عناصر القوة الشاملة لمن يريد أن يدير هذه المباراة المطلوبة بالقطع .. وعموماً الموضوع قديم ... وقصته هى قصة ابن رشد

★ «المستقبل ما نقوم به اليوم

من عمل ..»

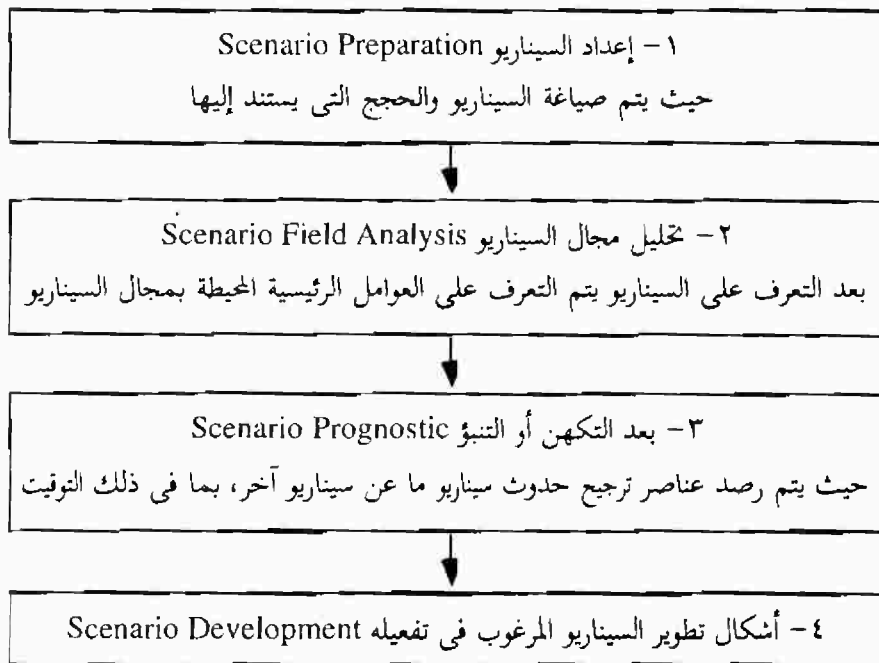
وسقراط وجاليليو وكل من كان إنجازهم قائماً على رؤية للمستقبل حين تم تكذيبهم وتأطيرهم ووصفهم إما بالمارقين أو الجاحدين أو «الخارجين» وإلى ما ذلك من أوصاف من لا يعلمون لمن وقفهم الله للعلم ...

إن المعضلة اليوم لا تتشكل فقط فيما سبق من تحليل ولكنها تكمن كذلك في حالات من استغلال العلم المستقبلي خاصة اسوأ استغلال كما نشاهد اليوم في أبحاث منظرى صدام «الحضارات» و«حروب الهوية» وكما رأينا مؤخراً ، فهناك من غلف تحركاته في هذا الإطار تحت شعار «دراسات المستقبل» وهي أبعد ما تكون عن العلم والاخلاق معاً .. نعود بعد هذا التمهيد المطلوب للقول بأننا بحاجة إلى مؤلفات عديدة تحتاجها المكتبة العربية كي نرصد من خلالها أحدث وأهم تقنيات استشراف المستقبل وأساليب التنبؤ الاحتمالي المستقبلي وهنا وبالإضافة إلى ما رصدناه في كتابنا بعنوان «سيناريوهات الحرب والسلام»^(١) نرصد هنا مايلي وبإيجاز أولى سيكون له تفاصيله في سياق آخر ؛ حيث أن الهدف هو الإحاطة الأولية بخريطة أهم هذه التقنيات .

١٧ الإدارة بالسيناريو SCENARIO MANAGEMENT في عمليات التفاوض

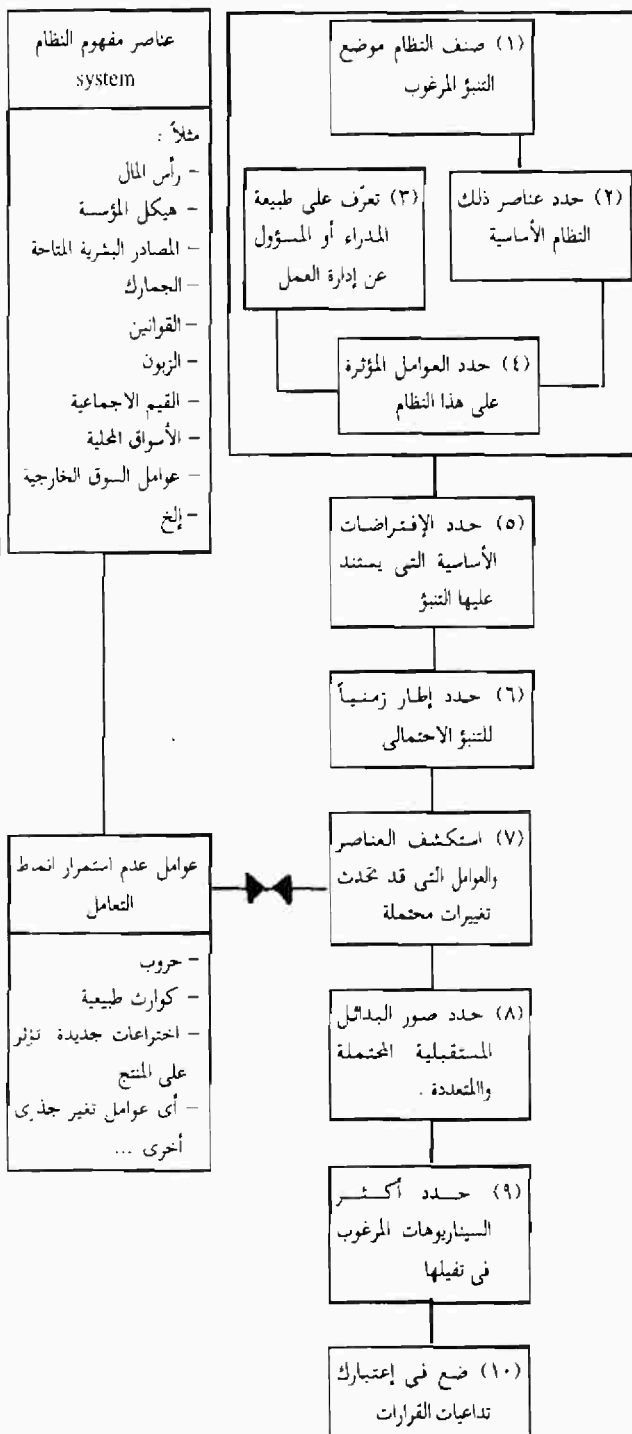
نعنى بالإدارة بالسيناريو أن يتم وبعد صياغة سيناريو ما فى سياق ما مراعاة الخطوات القائمة بالخريطة الذهنية التالية :

شكل رقم (١) الإدارة بالسيناريو



[٢] الخريطة الذهنية لاهم خطوات عملية التنبؤ الاحتمالي لفهم تداعيات موقف تفاوضي ما (Forecast)

شكل رقم (٢) خطوات إجرائية لعملية (التنبؤ)



- * ١- فكر فى مؤسستك أو منظمتك أو فى الأسواق كنظام System متكامل مركب بطبيعته وحدد مكوناته بدقة.
- * ٢+٣ حدد أكثر المكونات أهمية بهذا النظام المتكامل ووضح علاقاتها وترابطها ببعضها البعض من منظور مستقبلى .
- * ٤- حدد العوامل المؤثرة فى هذا «النظام» مثل زيادة السكان، التغير الاجتماعى التكنولوجى المساعدة وإلى ما ذلك من أمور قد يكون لها تأثيرها أو تداعياتها على «النظام» .
- * ٥- كل تنبؤ يعتمد على أحكام عن صحة أو عدم صحة أسلوب إدارة «النظام» ولذلك يتعين تحديد الافتراضات الأساسية فى عملية التنبؤ بأكبر قدر من الدقة .
- * ٦- حدد سنة أو المدى الزمنى بالسنوات للتنبؤ ، فهذا من أهم خطوات التنبؤ .
- * ٧- حاول استكشاف عناصر الخطر أو المخاطر القائمة على «النظام» بما فى ذلك أى حروب أو كوارث أو إلى ما ذلك مما قد يؤثر على طبيعة العمل فى إطار «هذا النظام» أو ذاك .
- * ٨+٩- ضع صوراً للبدائل المستقبلية وركز فى اختيارك على أفضل البدائل التى تريد تحقيقها وتفعيلها فى حدود المتاحة من الإمكانيات .
- * ١٠- والآن يمكنك الرؤية الشاملة للخريطة الكلية لعملية التنبؤ الاحتمالى وإمكانية التكيف وفهم ديناميكية «النظام» الذى تتعامل معه .. والتعرف على المصادر البشرية والعدد المراد والتفويضات المطلوبة لهم وإلى ما ذلك من إمكانيات وأفعال .

(١) لمزيد من التفاصيل راجع American Demographics عدد مارس ١٩٩٥ ، وهذه الخريطة التي وردت بذلك الدورية مأخوذة عن مؤسسة Coates & Jarret المعروفة وجاءت بعنوان «لماذا تحقق التسويعات؟» .

[٣] تقنية مصفوفة التأثير والتأثر المتبادل ما بين المستقبلات والتفاوض

CROSS-IMPACT ANALYSIS

تستند هذه التقنية على الافتراض القائل بأن داسة أى ظاهرة أو موضوع لابد وأن يراعى فيه عملية التأثير المتبادل والتأثيرات المتداخلة لموضوع أو ظاهرة على أخرى ، فإذا قمنا بتوسعة شارع ما عليه ضغط كبير دون رؤية مصبه ... كانت توسعته غير ذات فائدة وإذا انشئنا المدن بأسلوب رد الفعل ... أى عندما نعالج ظاهرة التكسد مثلاً ببناء كوبرى ثم نكتشف أن الأمر ليس مجرد إضافة كوبرى ... ولكن كان علينا أن نتبنى رؤية كلية متكاملة للحركة فى المدينة وفى تنظيم المرور وفى اتباع تنفيذ الالتزام بقواعد المرور وتعليم الناس سلوكياته فى الإعلام والتعليم ومراعاة أن يكون عمل إنشاء المدن عمل «مستقبلى بطبيعته» وعمل عبر التخصصات المتعدد .. لو فعلنا لكنت مدناً أفضل بكثير من أسلوب علاج «رد الفعل» ثم «رد الفعل» على «رد الفعل» الذى رأينا ونراه وسنراه طالما أن مثل التقنية التى نتحدث عنها هنا على سبيل المثال لا الحصر لم تراعى ولم تعرف ولم تطبق؟! فكانت النتيجة اداء عشوائى فى كثير من الأحيان ووجود عشوائيات كثيرة! وفيما يلى شكل تطبيقى لتوضيح نبذة سريعة على هذه التقنية من خلال الشكل التالى الذى نرصده ونعقب عليه بالتوضيح .

شكل رقم (٣) عينة تطبيقية لمصفوفة التأثير المتبادل فيما يتعلق بـست قضايا كوكبية^(١)

السكان	البيئة	المصادر	الاقتصاد	الإدارة الدولية
Population :	Food :	Environment :	Resources :	Economies :
Global Management :				
a) Continued growth b) Birth control c) Gender selection d) Increased death rate	1. a) -- b) ++ c) + d) 0	2. a) -- b) + c) + d) ++	3. a) 0 b) -- c) -- d) +	4. a) -- b) + c) ++ d) --
Food : a) Green revolution b) Expanded food sources c) More equal distribution d) Hunger	6. a) -- b) -- c) -- d) ++	7. a) -- b) -- c) 0 d) +	8. a) -- b) -- c) 0 d) +	9. a) 0 b) + c) 0 d) --
Environment : a) Go to non-fossil fuels b) Abandon "poison" tech. c) Limit industrialization d) Defensive adaptation	11. a) 0 b) 0 c) 0 d) +	12. a) + b) -- c) 0 d) --	13. a) ++ b) 0 c) + d) --	14. a) -- b) -- c) ++ d) --
Natural Resources : a) Increased exploitation b) Modernize c) Restrict demand d) De-modernize	16. a) 0 b) 0 c) + d) +	17. a) ++ b) -- c) -- d) --	18. a) b) ++ c) + d) --	19. a) + b) ++ c) -- d) --
Economies : a) Continued growth b) No-growth economy c) Limit on goods only d) Limit goods only in West	21. a) -- b) + c) ++ d) 0	22. a) ++ b) -- c) + d) +	23. a) -- b) + c) + d) +	24. a) -- b) + c) + d) +
Global Management : a) Continued nation-state b) Gradualist c) Unionist d) Federalist	26. a) -- b) -- c) 0 d) +	27. a) -- b) 0 c) + d) ++	28. a) -- b) -- c) ++ d) --	29. a) -- b) 0 c) -- d) +
				30. a) -- b) 0 c) + d) ++
				25. a) ++ b) -- c) -- d) +

من خلال الشكل رقم (٣) يتضح كيف يمكننا تطبيق «مصفوفة التأثير المتبادل» على أى ظاهرة أو موضوع نخطط له أو نتفاوض بخصوصه فهذه التقنية وغيرها مما يساعدنا على فهم الموقف التفاوضى أى كان وخصوصاً اعتبار دراسة تبعاته المستقبلية ، فما نتخذه من قرار فى أى موقف تفاوضى أى كان دون النظر إلى تبعاته المستقبلية والنظر إلى تركيبته المعقدة وما يتداخل وما يؤثر فيه ، لكان التفاوض لحظى وأقرب إلى الفشل خاصة فيما يتعلق بالقضايا المهمة والمعقدة .

فعلى سبيل المثال لا الحصر اخترنا مثلاً تطبيقاً لهذه التقنية فيما يتعلق بستة مشاكل دولية وهى «السكان» ، «الغذاء» ، «البيئة» ، «المصادر» ، «الاقتصاد» ، و«الإدارة الدولية لهذه الموضوعات حيث أنها تتطلب جهوداً دولية مشتركة بطبيعتها ، نرى فى قراءة المصفوفة أن لهذه المشاكل الستة ٢٤ من المخرجات المتوقعة التى ينبغى رؤيتها بشكل متكامل كما فى الشكل رقم (٣) السابق . ومهمة تدريس هذه المصفوفة مثلاً فى كورسات فى العملية التعليمية (وهو الأمر الذى لم يحدث بعد فى معاهدنا وكلياتنا وأصبح فى مناهج الدول المتقدمة) ليس مجرد حل فقط للمشاكل المذكورة ولكن الأهم هو إيجاد وتربية وخلق العقلية العلمية المنظمة التى تتعامل مع الموضوعات والمشاكل بأسلوب علمى ومنهجي .. أما إدراك النتائج (فهو دائماً يعتمد على عوامل عديدة أهمها توفيق المولى عز وجل بعد الأخذ بالأسباب ... بكل الأسباب .. فهذا هو التكليف الذى على الإنسان الإلتزام به إلى آخر لحظة فى حياته ..).

وكما توضح هذه التقنية - وكما فى الشكل رقم ٣ كمجرد مثال - يكون هدف تعليم هذه التقنية أن ينظر المشاركون أو الطلاب بشكل منتظم لطبيعة التداخل بين المشاكل الستة وإلى النتائج المتوقعة لتفاعلها مع ٢٤ بند آخر ، وعليهم أن يقوموا بوضع علامة (+) أو (-) أو (صفر) .. أى بالتقدير الإيجابى أو السلبى أمام كل عنصر كما هو فى الشكل (٣) ... ويقومون بذلك بشكل مرتب ... ثم ينظرون إلى عينات بعضهم البعض بحيث يدركون فى النهاية كيف تؤثر مشكلة السكان مثلاً على «الغذاء» و«البيئة» و«المصادر» و«الاقتصاد» ، و«الإدارة» ... فمثلاً إذا خرج الطلاب أو المشاركون فى السمنار أو الدورة التدريبية بنتيجة مفادها «أن نمو السكان المستمر سيجل أمر حل مشكلتنا الزراعية صعباً فسيضعون فى مصفوفة السكان فى أول الشكل (- -) عند «استمرار السكان مع الغذاء كما هو موضح . ويوضع (-) فقط عندما تكون الصعوبة ليست شديدة و (+) أمام الناحية الإيجابية لحل المشاكل و (++) عندما يكون الأمر أكثر إيجابية نحو الحل ... أمام (الصفر (٥)) فهو يدل على عدم وجود أى تأثير .

الخلاصة أن المصفوفة عندما يتم وضعها والتعامل والتفكير فى إطارها من شأنها

إحداث الإدراك الأكبر للتأثيرات الأساسية المطلوبة تداركها فى عمليات الاستباق والنظرة المسبقة للقرار أو لفهم موقف ما بشكل متكامل لفهم الإيجابيات والسلبيات بمنهجية علمية ... وتظل هناك العديد من التفاصيل بخصوص ترجمة وتفسير نتائج المصفوفة ... ولكن الهدف هنا الإشارة العامة لفكرة هذه التقنية .

٤- قائمة بتقنيات حيوية أخرى ما بين المستقبلات ولغويات التفاوض .

لا يتسع المجال هنا فى هذه الدراسة إلى سرد وشرح وتطبيق أدوات تقنية أخرى عديدة لا نخدمنا فقط فى مجال المستقبلات بل تعد فى غاية الأهمية خاصة بعد أن تتمكن من تطويرها وتطعيمها والإضافة لها أو الطرح منها حسب حاجة التحليل فى عمليات التفاوض المتعددة الجماعى منها أو الفردى فى السياقات المتعددة ... والتي يتعين إدراجها فى كورسات للغويات التفاوض فى جامعاتنا ومؤسساتنا ... وفيما يلي رصدًا فقط لمسميات هذه التقنيات التى ستكون موضع تفاصيل عديدة فى سياق آخر لكتاب السطور وهى :

* دولاب المستقبلات FUTURE'S WHEEL

وتعنى بدراسة الجوانب غير المباشرة أساساً للظاهرة أو الموضوع موضع الدراسة وتداعياته من الجوانب المختلفة .

* استخراج الخاصية TREND EXTRAPOLATION

وهى طريقة لاستخراج خاصية ما بتحليل بيانات ذات حجم كبير وذات طابع تاريخى .. أى على فترات زمنية وتتخذ أشكال الرسوم البيانية أو برامج SOFTWARE خاصة بذلك .

* التحليل الارتجاعى REGRESSION ANALYSIS

ونقطة التركيز تتعلق بالعلاقات السببية أى دراسة السبب وأثره والتعرف على أصل الموضوع أو الأشياء .

* ديناميكية النظم SYSTEM DYNAMICS

ويستهدف من خلالها دراسة كل نظام فى موضوع ما وعلاقته بنظم أخرى ، وعادة ما تستخدم هذه التقنية لتحديد أى عوامل تتفاعل مع عملية التطور والتطوير سواء فى تطور وتطوير التكنولوجيا على وجه الخصوص أو فى مجالات أخرى تعتبر هذه التقنية وما نتوصل إليه من خلال توظيفها بمثابة مدخلات ، INPUT مهمة لبناء السيناريو على أساس تحليل قوى .

* المقارنة التاريخية Historical ANALOGIES

تستخدم لدراسة ما قد يتشابه تاريخياً .. لتحديد حجم الأخطاء وأوجه القصور حتى لا يكون الثمن فادحاً ومتكرراً فى نهج حل المشاكل المتشابهة التى حدث ولها مثيلاً ومن أجل استيضاح مجالات الاختلافات بين الموضوعات أو الحوادث المتشابهة أو التى تبدو متشابهة وكذلك تحليل أساليب الآخرين الذين واجهتهم المشكلة (موضوع التشابه) للاستفادة من ذلك ، وهذه الطريقة لا يعتد بها إلا بتوافر المادة DATA ذات العلاقة .

* النمذجة الحاسوبية والمحاكاة

Computer Modeling & Simulations

وهذا موضوع متسع للغاية ويحتاج إلى تفاصيل عديدة ويدخل فى إطاره ما سُمى بالحقيقة الافتراضية أو المتصورة أو «توهم الحقيقة» (virtual Reality) وأساليب المحاكاة على شاشات الحاسوب^(١) .

* تحليل الحجج كأساس لبناء السيناريو

Argumentaion Analysis

والإسهام الأساس يأتى من علم اللغويات أساساً إلى مجال المستقبليات ولقد كان لكاتب السطور أكثر من بحث فى هذا السياق^(٢) ويكون التركيز هنا على سلامة الحجج وعناصر صياغتها وتجنب أوجه الخلل التقنية المتعلقة بهذا الموضوع .

* تحليل الأسئلة - وإدارة المقابلات

Question Analysis INTERVIEWJNG MANAGEMENT

وهو الأمر المستمد أساساً من دراسات علم اللغويات كذلك^(٣) .

(١) بخصوص تفاصيل تقنيات المستقبليات راجع على سبيل المثال لا الحصر المرجع التالى :

Millett, stephen & Hanton, Edward, Amanager's Guide to Technology Forecasting and strategy Analsis Methods, Battlle Press. Columbus, 1991 .

(٢) على سبيل المثال لا الحصر راجع كتاب «سيناريوهات الحرب والسلام» لكاتب السطور (مرجع سابق) (انظر ص ٢٠) بهذه الدراسة .

(٣) راجع لكاتب السطور كتاب «التفاوض وإدارة المقابلات» العبيدكان ط ١٩٧٧ وط ٢٠٠١ الرياض .

* تحليل التواصل عبر الثقافات وإدارة الاختلافات الثقافية

MANGING CULTURAL DIFFERENCES

وهذا أيضاً من إسهامات اللغويات العرقية ودراسات التواصل عبر الثقافات ... وهناك المئات من هذه الدراسات وهذا الموضوع الحيوى للغاية ولقد تناوله كاتب السطور فى إطار منظورة اللغويات التفاوض فى أبحاث متعددة^(١) ولعل فى إطار هذا السياق نواجه تحدياً كبيراً يهدفنا من خلال دراسات «صدام الحضارات» التى حازت على أكبر قدر من التفعلى الخاطى والمنهجية الضعيفة وكذلك نواجه تحدياً آخر فى دراسات تدخل فى باب «النبوءات» (PROPHECIES) .

والخطورة وكما سنوضح فى نهاية هذه الدراسة أكثر أننا لدينا فى عالمنا لعربى دراسات قليلة جداً ونادرة عن موضوع النبوءات ولكن الخطر الذى يواجهنا اليوم والتطرف الحقيقى هو القادم من الغرب لأنه وكما فى حالة «صدام الحضارات» هناك تفعيل خطير جداً لفكر النبوءات الدينية فى الغرب خاصة تلك النبوءات التى يزعم اصحابها أن هدم المسجد الأقصى وإقامة المعبد اليهودى على انقاضه شىء ينبغى احداثه والقيام به ... وهنا وفى دراسة منفصلة لنا عن النبوءات وحطرها لاحظنا أن النبوءات فى أدبيات الواقع العربى الإسلامى لم تتعدى سوى أسلوب السرد بما يعتقد فيه من أشراط وحوادث الساعة وعلامات يوم القيامة وطبيعة الفتن التى ستحدث بينما تتخذ «النبوءات الواردة من الغرب» شكلاً خطيراً من التفعيل والسعى لتحويلها حقيقة على أرض الواقع !! .

دلالات لتحديات الدور المصرى!

مما سبق نقول بأن ما نستخلصه فى نهاية هذه الجزئية يتعلق بأهمية ننس هذه التقنيات وتطويرها واستخدامها من منظور لغويات التفاوض لتعميم الفائدة منها أكثر من عمليات التفاوض الجماعى اللازم لكل الأعمال التنموية وتنمية مصادرنا البشرية حيث أنها تمثل الأدوات الرئيسية لاشاعة الابتكار وعقلية حل المشاكل والمبادرات الخلاقة بعيداً عن النمطية والاحتقان السلبي والتلقينية والتقليدية التى أصبحت فى مستودعات التخلف والتسحلف ويعتنى بها ويتبناها المهمشون من أصحاب نظريات تعميق التخلف والجمود والركود وإيقاف الحراك الطبيعى والمتقدم لدى كل من يسعى للبناء والنمو والعمل الجماعى الخلاق .. فإذا كنا نتحدث هنا

(١) راجع على سبيل المثال لا الحصر لكاتب السطور ، كتاب مقدمة فى علم التفاوض الاجتماعى والسياسى ، عالم المعرفة ، الكتاب ١٩٠ لسنة ١٩٩٤ - الكويت .

HARISS, PHILIP & MORAN, MANAGING CULTURAL DIFFERENCES, GULH : راجع بالإنجليزية المرجع التالى : PROFESSIONAL PUBLISHING HAUSTON TEXAS U. S. A. 1999.

فى هذه الدراسة عما اطالب به ويطالب به كل من يبغون تقدم هذه الأمة ويسعون لذلك وهو زرع وتدشين برنامج ثقافى علمى جديد (NEW SCIENTIFIC CULTURAL SOFTWARE) كأساس لانطلاق وتفعيل الدور المصرى فى كافة المجالات التنموية عربيا وإسلامياً ودولياً .

حيث أن هذه التقنيات مطلوبة كمهارا للتعامل مع تركيب وتعقيد الكثير من الموضوعات والقضايا وللتغلب فى الوقت فى تفاعلاتنا ... إن عناصر هذه التقنيات كمهارات مطلوب أقصى حد لتعميمها فى كافة المجالات لتمثل عملية ابدال واحلال مطلوبة ... ابدال بنية التقدم بينية التخلف وإحلال نظام النمو العلمى الثقافى السليم بخزعبلات ثقافة التلقين والآندهاش والاحتقان «والمفعولية بها» ... ولقد أشرنا كذلك إلى تقنيات وتحديات عمليات التواصل عبر الثقافات ... حيث يناط بالدور المصرى التصدى لكل دراسات وأفكار «صدام الحضارات» وتفعيل نبوءات الحروب الدينية المدمرة القادمة خاصة من الغرب واستبدالها بقيم وممارسات حوار الحضارات والتفاعل البناء بين أصحاب الديانات المختلفة .

إنه ومن باب استكمال الرؤية الشاملة لخريطة مجال المستقبلات يتعين علينا أن نطرح السؤال التالى : من يمارس المستقبلات ؟! وهنا نرصد المستويات التالية :

(١) كل إنسان ينظر إلى مستقبله بطريقته وأسلوبه الخاص ما بين التفاؤل والتشاؤم والاعداد والتخطيط من عدم ذلك ...

(٢) العرافون والمنجمون و«أصحاب البلورة السحرية» ، ومقدمى برامج الابراج فى وسائل الإعلام .. الذين يستخدمون بعض المعلومات مع الحالة النفسية لطبيعة المتلقى المهتم بهذه البرامج عادة .

(٣) أصحاب الرؤى بعيدة النظر Far-sighted visions أو من لديهم القدرة الفطرية على تخيل صور المستقبل (Visionists) فى المجالات المختلفة وهؤلاء من أصحاب الخبرة المتراكمة عادة .

(٤) أصحاب القدرات التخطيطية المنهجية الخاصة فى التعامل مع المستقبل وعوامله .

(٥) خبراء / علماء المستقبلات ممن يستخدمون طرق وتقنيات استشراف المستقبل ... وهؤلاء ينقسمون إلى خبراء مستقبلات على المستوى النظرى Theoretical Futurists أو بمعنى أصح خبراء المستقبلات الأكاديميين Academic Futurists وهم كالأكاديميين فى أى مجال ، ممن لديهم رؤية شاملة ومقارنة فيما يتعلق بتاريخ تطورات مجال تخصصهم ، وإدراك واسع المستوى من الاطلاع على الأحداث والمتغيرات من حولهم . كما أن المنوط بهم عادة تدريس ما يتعلق بالمستقبلات ، خاصة فى مجال تخصصهم

ثالثاً : من يقوم بممارسة المستقبلات ؟ وماذا عن واقعنا الثقافى فى هذا الصدد ؟

والقدرة المتميزة على اختبار وانتاج طرق التحليل وتدريب المصادر البشرية لاستخدام طرق التفكير المتعددة عن المستقبل ... أما خبراء المستقبليات التطبيقيين Applied Futurists : ... فهم نوع مختلف من المستقبلين الأكاديميين ، فهم يمارسون تطبيق طرق المستقبليات ويعملون في الشركات والمؤسسات الحكومية أو الخاصة التي تستعين بهم ... وهذه وظائف تشغلها أعداد كبيرة (في الغرب المتقدم ولا نجد لها مثيل في الدول النامية) (ولمزيد من التفاصيل بخصوص المستقبلين الأكاديميين والتطبيقيين وملامح مؤهلاتهم وأنشطتهم وأعدادهم وتأهيلهم ، أحيل القارئ المعنى إلى بحث مهم في هذا الصدد كتبه واحد من أهم علماء المستقبليات وهو جوزيف كوتس Joseph F. Coates والذي يرأس مؤسسة من أهم مؤسسات استشراف المستقبل في مجال التنبؤ التكنولوجي (Technological Forecasting) وهي مؤسسة كوتس وجاران^(١) .

(٦) أصحاب القراءات الخاصة للتاريخ لفهم المستقبل وهم عادة قطاع من المتخصصين في التاريخ ورجال الدين المعنيين بالنبوءة الدينية (Prophecy) .

صور الممارسة بين الواقعين الدولي والواقع العربي

(١) ما بين التنبؤ والنبوءات :

... في إطار المستويات الست المقدمة التي توصف واقع من يمارس التفكير والتعامل مع المستقبل ، لا توجد لدينا مثلاً إحصائية دقيقة عن كل مستوى من هذه المستويات ولكن هناك مؤشرات واضحة كأن نقول إن من أخطر ما يحتاج هذا المجال اليوم هو شيوع نظريات الصدام الحضارى التي هي أقرب إلى التفعيل السياسى عنها رصد لتطورات موضوعية تقول بصدام الحضارات والصورة الأكثر صراحة منها في هذا الصدد هي شيوع «النبوءة الدينية» من حيث السعى لتفعيلها في الغرب أساساً خاصة فيما عرف بالنبوءات المتصهنة بهدم الأقصى وبناء المعبد وإلى ما ذلك من تخريب لا يقره أى من العقول المنصفة في عالمنا وهو الأمر الذى رصدناه في سياقات عديدة سابقة^(٢) .

وخطورة أمر النبوءات الدينية أن تتحول الساحة الدولية إلى تفعيل متبادل بين أصحاب النبوءات المتعددة من الأديان المختلفة .

(١) راجع : Coates, Joseph, Technological Forecasting & Social Change 66, 313 - 321 (2001)

(٢) سيناريوهات الحرب والسلام لكاتب السطور ، مرجع سابق .

(ب) ما بين العزاف والمنجم وعالم المستقبلات والمخطط الإستراتيجي !!

من طرائف القول أن الرئيس الأسبق ريجان كان دائماً ما يسمح لعرافة مشهورة بالتردد دائماً على البيت الأبيض ليستمع إلى ما تقوله ... وهناك من لا يزال يردد مقولات العراف المعروف فسترو دا موسى ... ولكن على النقيض من ذلك نجد من الكلمات الشهيرة للرئيس الأسبق جون كيندي قوله : «إن هذه الأمة قادرة على وضع إنسان على ظهر القمر بعد عشرة سنوات من الآن واعادته سالماً إلى الأرض ...» ... فكان هذا مثلاً على القدرة على التخيل والتخطيط والتنفيذ الدقيق لسيناريو معياري محدد . (Normative Scenario) ...

(ج) ما بين خبراء المستقبلات وبرامج الابراج والبلورة السحرية :

إزدهرت في واقعنا العربي ومع الأسف في معظم الفضائيات العربية برامج الأبراج والبلورة السحرية بدلاً من التعامل مع فكر المستقبلات العلمي والسعي إلى نشره وترسيخه في الواقع الثقافي وليس هذا فقط ... فلقد تطرقت برامج إعلامية ومناقشات أخرى عديدة للحوار حول المستقبلات بعقلية وهاجس المؤامرة فلم ترى الفرص والأهمية القصوى لهذا المجال ليس في التنبؤ بقدر ما هو ترسيخ للعقلية العلمية النقدية والابداعية في الاعلام والتعليم كما هو حادث في الدول المتقدمة بل كل ما تطرقت إليه عقلية التأمر إلى أن كل شيء مؤامرة واستهداف ومن ثم فلا ترسخ سوى عقلية التخندق والتسحلف والتفوق واللافعل لينطبق علينا القول «إذا لم يفكر أبناء منطقتنا في مستقبلها وتفعيل السيناريو الأفضل لها ... فكر لها الآخرون ليفعلوا أسوأ سيناريو لها !!» ... وهنا نحن نرى ملامح وبودار ونتيجة سيطرة عقلية التأمر السلبي وصيغة اللافعل والاندحاش والتفوق في حالة «المفعول به» وكراهية الحركة الإيجابية التي أمرنا الله سبحانه وتعالى بها لما فيه صالح هذه الأمة .

بالرغم من اهتماماتنا بتدشين أكبر المتاحف الأثرية في العالم - وهو أمر محمود فنحن ولا شك من أكبر مستودعات العالم المملوءة بأعظم الآثار ... وفي هذا تنشيط جيد للسياحة ... كما أن لدينا اهتمامات كبرى بافتتاح العديد من القنوات الفضائية بما يكفي ويزيد كثيراً جداً عن حاجتنا ... كما أن لدينا اهتماماً كبيراً كذلك بكرة القدم ولاعبها ومدربها ... إلا ما نحتاج إليه على سبيل أحداث التوازن المطلوب .. أن نسعى لإنشاء مجامع الفكر المستقبلي الكبرى التي تكون قادرة على منع الأزمات واستباقها بدلاً من أن تدهمنا الأزمات فنبداً في الإدارة المتأخرة جداً لها فلا يكون العائد كما ينبغي وأن يكون ... بل أن مهمة مثل هذه المجامع لا بد وألا تكون لمنع واستباق الأزمات فقط بل الإدارة بالسيناريو لعبور فجوات الإدارة التي نعاني منها على

رابعاً : ماذا عن مساحات

التفاوض المهجورة على

الصعيد الثقافي الداخلي؟

وماذا عما يتعلق بتطور

مشروعات أو مجامع الفكر

المستقبلي الدولية ؟ وماذا

عن الابعاد المفتقدة التي لا

تزال من اكبر عوائق

تدشين مجامع فكرية
مستقبلية كبرى فى واقعنا
الثقافى العربى يكون من
شأنها استباق ومنع
وإدارة الازمات من ناحية
والسعى لتحقيق اجندتنا
الوطنية من خلال فكر
وثقافة التفاوض الإيجابى
والإدارة بالسيناريو؟

كافة الأصعدة ... ولا شك اننا بحاجة إلى الإدارة بالسيناريو فى أمور فى غاية الأهمية والحيوية ، وهو الأمر الذى تناولناه تفصيلاً فى أكثر من دراسة سابقة من منظور لغويات التفاوض^(١) وهنا نعود لتكرار عناوين هذه السيناريوهات التى تحتاج إلى إدارتنا وتدخلنا الإيجابى وتمثل فيما يلى :

(١) أن هناك سيناريوهات صراعية فى إطار الإسلام والغرب ولا بد من السعى لاحتواء آثارها السلبية .

(٢) أن هناك من هذه السيناريوهات ما يتعلق بالصراع العربى الإسرائيلى وما يمثل محاولة دوائر بعينها لتفعيل صراع الحضارات فى إطار الصراع العربى الإسرائيلى فى اتجاه إحداث المزيد من الاستعداد للعرب والمسلمين وهو الأمر الذى ينبغى احتوائه وفك الاشتباكات الخطاطنة على الساحة الدولية .

(٣) أن هناك سيناريوهات لهيمنة العولمة المتوحشة المبنية على إزالة الشرعية الدولية والقيم الإنسانية وتفعيل سياسات الهيمنة ذات القطب الأوحده ومحاولة إلغاء أشكال التعددية وحقوقها تصل إلى حد شن حروب هوية .. معلنة فى أحيان وغير معلنة فى أحيان أخرى أكثر .

(٤) أن هناك سيناريوهات أخرى تعاونية فى الغرب تنفى الصور السلبية عن العرب والمسلمين وتؤكد على حوار الحضارات وتأسيس مساحات مشتركة للتعاون وللمباراة غير صفرية على الأصعدة المختلفة ولا بد من تعميق هذا التوجه من قبل العالم العربى الإسلامى .

(٥) أن هناك سيناريوهات تعاونية فى إطار التحديات التى يبحث فيها العالم بطبيعة احتياجات كل الدول ولا بد من تفعيل أقصى قدر من الفائدة من خلالها

إن مثل هذه التحديات تحتاج ضمن ما تحتاج إليه فى إطار التعاون الدولى الإيجابى توضيح الرؤية الإسلامية والعلمية المعبرة عن أجندة الدول العربية الإسلامية والحفاظ على قيم الخصوصية الثقافية الإسلامية فى إطار تفاعلات هذه الدول مع دول العالم الأخرى ، وهذه السيناريوهات لا تدخل فقط فى العنوان المباشر للإسلام والغرب أو عنوان «حوار الحضارات» الذى أصبح يراه كثيرون فى واقعنا بعد أحداث سبتمبر ٢٠٠١م ، بل أنها تتخلل مناقشة نماذج علمية تنمية تطرح من أجل تفعيل التعاون الدولى على الأصعدة المختلفة وترك بعد الخصوصية الثقافية والأجندة التفاوضية الخاصة بنا كما يحدث فى أحياناً كثيرة يضعنا فى خانة تؤدى إلى مزيد من التهميش .

(١) راجع على سبيل المثال ، حسن ، محمد وجيه ، حروب الهوية ومستقبل التفاوض مع الغرب : نحو المشروع العربى لإدارة النوازل الدولية واستباقها ، المكتبة الأكاديمية ، ٢٠٠٢م .

العلم بين العالمية والخصوصية الثقافية

فعلى الرغم من التسليم بوجود أمور ونماذج كثيرة تدرج تحت مفهوم العلم المحض دوليا بغض النظر عن ثقافة ما ، إلا أن هناك الكثير مما يقال عن منظور ثقافى للعلم^(١) .

وسنوضح ذلك الأمر بجلاء من خلال تطور مشروعات استشراف المستقبل من هذا البعد على وجه الخصوص ولكن لابد أن نوضح هنا كذلك أن واقع التفاعلات الدولية قد أثبت هذا التداخل فى أكثر من سيناريو ، فعلى سبيل المثال لا الحصر راجع تلك التفاعلات التى دارت فى سيناريوهات مؤتمر الأمم المتحدة للسكان والتنمية بالقاهرة عام ١٩٩٤م (UN ICPD) وما تلى ذلك من مؤتمرات على نفس هذا المحور على كونها تتضمن أجندة غربية أساسا مخالفة تماما للثقافة والتقاليد العربية الإسلامية فى تعريف مفهوم «الأسرة» والعديد من المفاهيم الأخرى على سبيل المثال ، فكان للأزهر أن يتدخل وكان للوفود العربية الإسلامية المشاركة أن تتدخل وتطالب بتعديل وثيقة المؤتمر^(*) .

وعندما شاركت فى فعاليات المؤتمر المشترك لجمعية مستقبل العالم والمشروع الألفى لاستشراف المستقبل لجامعة الأمم المتحدة ، قابلت فضيلة الإمام الأكبر د. سيد طنطاوى شيخ الجامع الأزهر وسألت فضيلته أى محور من المحاور الخمسة عشر التى يناقشها هذا التجمع الدولى الكبير تود أن تتحدث عنها ، فاختار فضيلته «محور البيئة» موضحا أن هناك منظور إسلامى لابد من تناوله وتوضيحه فى التعامل مع مشاكل البيئة الراهنة ، وأجاب فضيلته عن الأسئلة التى طرحها المؤتمر للتفاعل بشأنها فكان طرحه من المنظور الإسلامى موضع التقدير الكبير وكذلك كان طرح فضيلة الدكتور/ حمدى زقزوق وزير الأوقاف فى مجال الإجابة عن سبيل حل الصراعات العرقية من المنظور الإسلامى كذلك موضع التقدير حيث أجاب أيضا عن أسئلة هذا المحور التى وضعها خبراء المشروع الألفى ولقد وردت آرائهما هذه فى تقرير المشروع لعام ١٩٩٦م ... إن المنظور الثقافى للوسائل العملية هو منظور ملع ولعل الأمثلة أكثر من أن تحصى ولعلها كثيرة وتداخل ، بل وتتفجر أحيانا فى مناقشات

(١) راجع على سبيل المثال كتاب مهم لكاتبه Green, Themas بعنوان «الحدود الثقافية للعلم» "Cultural Baundarues of Science" ، ولقد قدم لهذا الكتاب د. زياد قطب فى قراءة تحليلية نشرت بمجلة عالم الفكر ، الصادرة عن المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب - الكويت - المجلس التاسع والعشرون - العدد الثانى أكتوبر / ديسمبر ٢٠٠٠م .

(*) قام كاتب السطور بإدارة دورة تدريبية عن آليات التفاوض فى المؤتمرات الدولية ، نظمها المركز العربى للطفولة للجمعيات الأهلية المشاركة فى المؤتمر من أجل إعداد أجندة تحالف تهدف إلى التدخل الإيجابى فيما يمكن تعديله فى الوثيقة الربحية (سبتمبر ١٩٩٤م) .

لمزيد من التفاصيل راجع لكاتب السطور مقال تفصيلى عن واقع المؤتمر وتداعياته جاء بعنوان «البعد الثقافى ومساحة التفاوض مع تداعيات مؤتمر السكان والتنمية» صحيفة البيان ١٨/١٢/١٩٩٤م .

نزع أسلحة الدمار الشامل والنظرة إلى مشاكل السكان والجريمة والبيئة والفجوة بين الأغنياء والفقراء وأساليب العمل والعمالة وعوالة الإعلام ، ولعل من أكثر الأمثلة الأخيرة صراحة والتي توضح اختلاط ما هو علمي بما هو ثقافي في إطار خطورة عوالة الإعلام وصبغه برؤية أحادية تسهم في سيناريو صدام الحضارات . ما سمي «النماذج العملية» التي استخدمت في الإعلام الأمريكي بالرسوم البيانية وتقنية الحقيقة الوهمية V. R. لتفسير كارثة سقوط طائرة مصر للطيران ، والتي ثبت بالتحليل العلمي المخالف فبركتها ولكن الفبركة العلمية لعبت دورها مع الزج بنظرية أخرى وهي «نظرية الانتحار» بأدلة وهمية وعشبية استندت إلى الإساءة لكلمات ومفاهيم إسلامية مثل «توكلت على الله» لتعني فقط انتحار طيار وقته للركاب الأبرياء من باب أنها تستخدم في ساعات اليأس والإقبال على الإنتحار والإرهاب !! وإلى ذلك من افتراءات على مفاهيم وقيم الدين الإسلامي كعادة دوائر بعينها في الإعلام الغربي . ولقد تناولت هذا الموضوع في حينه في مقال بالأهرام بعنوان «جرائم اللغة وإدارة كارثة الطائرة المصرية»^(١) .

وفي خلاصة هذا التمهيد نقول أنه إذا كانت هناك مساحات أصفها بأنها مساحات شاغرة أو مهجورة لم نستغلها أو نخوض فيها بشكل مقبول لصالح أجندتنا العربية الإسلامية ، فإن أهم مساحات التفاوض الاستباقي المهجورة تتمثل في عدم تدشين مشروع عربي للاستشراف بالمعنى الديناميكي المتكامل والتفاعلي المستمر دون التقيد بفترة زمنية محددة من أجل تحديث النتائج بشكل مستمر نتيج التعامل مع إيقاع التغيير المتلاحق وغير المسبوق والذي أعطى لمعنى التغيير معنى جديد وكذلك من أجل التفعيل الإيجابي للسياسات التنفيذية على صعيدى دبلوماسية المسار الأول الرسمي ودبلوماسية المسار الثانى والتي تتخذ أشكالاً متعددة وتداول في إطارها أغلب عمليات التفاوض في هذا العصر .. ولقد تناولت هذا البعد بقدر كبير من التفصيل في كتابى بعنوان سيناريوهات الحرب والسلام : دبلوماسية المسار الثانى من منظور اللغويات الاجتماعية والسياسية^(٢) .. ولتوضيح ما نقصده بالمشروع العربى لاستشراف المستقبل ، نقول أنه مثلاً لا يمكن لأى محلل موضوعى لقضايا عصر العولمة أن يخفق في التعرف على حجم التعقيدات الكبيرة التى تواجه وستواجه المفاوضات الممثل للواقع العربى الإسلامى فى التعامل معها .. والتي تتطلب معالجة عقلانية وعلمية بعيداً عن حالات الانفعال والاندهاش والإحباط التى نراها شائعة فى تناول الكثيرين فى واقع تفاعلاتنا ... وهذا لا يؤكد على أننا بحاجة

(١) راجع حسن ، محمد وجيه : «جرائم اللغة وإدارة كارثة الطائرة المصرية» ، الأهرام ، ١١/٢٤/١٩٩٩ م .

(٢) راجع حسن ، محمد وجيه ، مرجع سابق .

★ مفاوضات الجات كمثال لمساعدات التفاوض المهجورة!

ماسة بجانب العقلانية والعلمية إلى نوع من التفاوض النضالي الذى يقاوم كل إحباط وصعوبات ، وأن يكون مدعوماً بقاعدة بحثية متميزة تتخصص فى قضايا المستقبلات من حيث التقنيات والبعد المعرفى ؛ فبالإضافة إلى ما أوضحنا فى الجزء الأول من هذه الدراسات من سيناريوهات تتطلب التفاوض معها على أساس علمى فى المقام الأول ، فإننا نود أن نضرب مثالا آخر لا يقل أهمية للتدليل عما نقصده بذلك وليكن من واقع المفاوضات التجارية الخاصة بالجات والتي تحولت إلى إطار منظمة التجارة العالمية (WTO) والتي دخل المفاوضات مرحلة من مراحلها فى نوفمبر ١٩٩٩م فى جولة أخرى بمدينة سياتل بولاية واشنطن ، وتبعها جولات أخرى فى أماكن متعددة عبر العالم وكان آخرها فى مدينة جنوة التى شهدت اضطرابا عنيفا وسقط فيها أول قتيل يناهض العولة ، ويناهض النموذج الرأسمالى الغربى المتوحش الذى يبنى على مباراة صفرية . وبغض النظر عما حدث من اضطرابات واعتراضات لمقاومة «العولة المتوحشة» وهو الأمر الذى جاء فى صالح العرب ودول العالم الثالث عموماً إلا أن ما حدث لا يعنى أن يرفع المفاوضات الممثل لواقعنا شعار «وكفى الله المؤمنين شر القتال بل ينبغى أن يستثمر ما حدث من وقفة صارمة ضد طغيان العولة وعملية التحرك فى عدة اتجاهات ولعلنا فى هذا الصدد نلقت النظر مثلاً إلى أن المفاوضات عليه أن يلم مثلاً بجزئيات على مدى (٥٠٠ صفحة) غير المذكرات التفسيرية غير المتوفرة بسهولة لمفردات وعبارات فى غاية الخصوصية والدلالة والمرجعية ... كذلك عليه أن يلم بمواقف مالا يقل عن ١٢٠ موقف للدول الأطراف المشاركة ، كما أن عليه ألا يدخل لعملية التفاوض قبل أن يكون قد حضر جيداً لعمليات الضغط الجماعى LOBBYING مثلاً مع دول الجنوب ودول العالم العربى والإسلامى فى حالنا ... وبدون هذا الجهد الكبير الذى لا قبل لمفاوض ما على المستوى الفردى مهما بلغت مهاراته أن يقوم به وكذلك لا قبل لدولة بعينها التفاوض فردياً دون التحضير على المستوى المذكور ، من هنا نقول أنه لا يمكن بدون مثل فكرة المشروع العربى المقترح الذى ينبغى وأن يحشد خبيرة الطاقات البحثية التفاوضية ممن لهم باع على المستوى الدولى أن يحقق النتائج المطلوبة لصالح إحقاق حقوقنا وحماية أجندتنا من التعرض للإجحاف أو الإذعان والقبول لطرح الآخرين .

وإذا كان المثال السابق مهما لتوضيح مجرد جزئية لما نعنيه بخصوص الضرورة الملحة لمثل ذلك المشروع المقترح من أجل استباق الأزمات والتحضير المتميز لعشرات المواقف التفاوضية على العديد من الجبهات والمجالات فى ظل سيولة غير مسبقة وإيقاع متسارع وغير مسبوق يمر بها العالم .

وفى هذا الإطار العام لا غنى عن أن نعالج تحدى الصراع والتعاون عبر الثقافات فهذا مسن شأنه أن يشكل جوهر إضافاتنا لمحاور المشروعات المستقبلية فى عالم اليوم التى لا تزال مخففة فى التعامل العلمى الثقافى الفعال مع هذا التحدى .

من هنا فإن إدارة هذه السيناريوهات تحتاج منا إلى إيجاد قاعدة بيانات وقاعدة بحثية تحليلية على محاور هذه السيناريوهات بشكل ديناميكى ومستمر على أن يتم تحديثها وربطها بالسياسات التفعيلية داخليا ودوليا بناء على دراسة تداخل السيناريوهات وبناء المؤشرات التى توضح إتجاه حركة هذه السيناريوهات والتحرك على هذا الأساس لصالح مباريات التعاون والسلام المبنى على الحق والعدل وإحباط تفعيل الاستعداد الحضارى للعرب والمسلمين من خلال التحرك الإيجابى الجماعى الفعال ولا شك فى أننى أجد من الأهمية أن نجيب من خلال هذا الجزء عن الأسئلة التالية :

١- كيف يمكن إدارة سيناريوهات المستقبل لصالح أجندتنا التفاوضية على الأصعدة المختلفة من خلال إدارة مباراة غير صفيرية لصالحنا ولصالح الآخرين فى هذا العالم ؟

٢- ماذا عن أهمية إجراء الدراسات المستقبلية بالأسلوب التراكمى والأكثر اتصالا بحاجات ملحة فى العلمية التنموية من خلال المشروع العربى المقترح والتفاعل مع العالم من خلاله وكيف نعالج الخلل الراهن فى الدراسات المستقبلية فى عالمنا العربى على قلتها وندرتها وعدم الاهتمام الكافى بها من ناحية وأن نقدم رؤيتنا للدراسات المستقبلية من خلال نماذجنا العلمية ، خاصة وأن النماذج العلمية الغربية لاشك وأن بها ما يشوبها من انحيازات ثقافية وما السمات المنتظرة لهذا المشروع والتى تجعل منه ضرورة وملء لفراغ ومساحات تفاوض مهجورة فى واقعنا وعلى الساحة الدولية ؟

٣- كيف يمكن أن يقدم من خلال مثل هذا المشروع الرؤية الإسلامية العلمية المعاصرة على أصعدة التحديات المختلفة التى تواجهها الإنسانية فى هذا القرن ولماذا يحتاج إلى المظلة العربية الإسلامية ذات المنصات التفاعلية الدولية ؟

٤- ماذا عن العوائق الثقافية التى ينبغى التعامل معها لتفعيل مثل هذا المشروع والحصول على النتيجة المرجوة منه دون الاستكانة والتخندق والانزعال وترك هذه العوائق لتقتل مستقبل الأمة وتحركها الإيجابى ؟

الرؤية البحثية التكاملية المقترحة في إطار المشروع العربي الإسلامي الذي ينبغي وأن يكون

إذا أردنا توضيح أهم سمات المشروع العربي الإسلامي لاستشراف المستقبل ،
لذكرت ومن واقع خبرتي العلمية كعضو شارك في بعض فاعليات وندوات المشروع
الألفى لاستشراف المستقبل بجامعة الأمم المتحدة (على مدى عشرة سنوات) بعض
من هذه السمات الأولية من خلال الجدول التالي المقارن الذي يوضح حالة وأسلوب
القيام بالدراسات المستقبلية الاستشرافية مقارنة بما هو متبع ومنفذ في المشروع
الألفى كواحد من أهم وأكبر مشروعات استشراف المستقبل في عالم اليوم ، وفائدة
مثل هذه المقارنة الهامة هو أن تكون منطلقات العمل في مثل هذا المشروع متمشية
مع معطيات إدارة مثل تلك المشروعات الكبرى من ناحية وتخطي الواقع السلبي الذي
يتسم به الدراسات المستقبلية السابقة والراهنة الموجودة في واقعنا العربي الإسلامي
على قلتها وندرته من الناحية الأخرى . وفيما يلي هذا الجدول (رقم ١)^(١) .

(١) راجع حسن ، محمد وجيه بحث بعنوان «إدارة وضع الأزمات» ما بين المشروع الألفى لجامعة الأمم المتحدة والمشروع العربي الذي ينبغي أن
يكون ، مقدم في المؤتمر الدولي الأول لإدارة الأزمات والكوارث ، جامعة عين شمس وحدة بحوث الأزمات - أكتوبر ١٩٩٦ .

الفروق بين المشروع الألفى لجامعة الأمم المتحدة - كأحد النماذج الهامة لاستشراف المستقبل -
وسمات المشروع العربي الراهن ووضعيته

المشروع الألفى لجامعة الأمم المتحدة - كأحد النماذج الهامة لاستشراف المستقبل ومنع الأزمات	المشروع العربي الراهن
أولاً : المشروع لا يعتمد على فترة زمنية محددة (عشر سنوات مثلاً ..) بل إنه ممتد ويسمح بديناميكية كبيرة للتكيف مع المتغيرات السريعة .	المشروع العربي اعتمد ويعتمد إلى الآن على فترات زمنية محددة - والدراسات كلها التي ظهرت هي في إطار زمني محدد تنتهي بانتهاء المدة التي حددتها الهيئة التي تبناها . الأمر الذي نجد معه أن النتائج تصبح قديمة بعد فترة وجيزة .
ثانياً : المشروع يتبنى وسائل متعددة ويركز ويحصل على آراء تتسم بالفكر التمازجي بين العلوم المختلفة ويستعين بالخبراء من ذوى التوجهات المختلفة للنظر لنفس الظاهرة .. أى أنه هناك عبور لما قد نسميه «بالجزر المنعزلة» على صعيدى العلم والواقع .	لا يزال الفكر أحادى أساساً ويفتقد للرؤى التمازجية الحديثة إلى حد كبير ... ولا تزال الجزر المنعزلة سمة رئيسية في تفاعلاتنا العلمية على وجه الخصوص بل أن مناهجنا وممارساتنا ومراكز أبحاثنا وتجمعاتنا العلمية لا تزال ترسخ من هذا الأمر إلى حد بعيد وإلى الآن !!
ثالثاً : المشروع معنى أساساً وبشكل مكثف بتنمية أدوات التحليل والتنبؤ التقنية وتكثيف حلقات التدريب والتدريب على استخدامها بشكل رئيسى وفعال .	المشروع العربي بمراحله المتفرقة التي يمكننا رصدتها لا يزال بعيداً عن استخدام وتنمية الأدوات العلمية بالشكل اللائق .. وكثيراً من عناصر هذا المشروع كما توضحها كتب تنشر هنا وهناك ومؤتمرات كثيرة تتخاطب مع ما أسميناه بتحديات القرن القادم . لا تخرج في واقعنا عما اسميه بعقلية «ان واخواتها» أى بتسجيل وضع ما أو موقف ما في محاضر جلسة أو مؤتمر أو كتاب ما بعيداً عن «كيف وأخواتها» المعنية بالتقنيات وتنميتها بشكل مستمر مع غياب وجود هيئة عليا بعينها تتابع عملية الاستمرار والتنقيح والتطوير وتنمية الأدوات العلمية بالشكل الواجب وتكون على اتصال بالهيئات الأخرى المعنية بنفس الشأن وبشكل مستمر ومتواصل ويتناسق يحدث النفع المرجو منه .
رابعاً : المشروع يتضمن حلقات كثيرة تتصل بالهيئات الحكومية وغير الحكومية والمؤسسات المختلفة والأفراد والباحثين وأخيراً صانع القرار في دول العالم .	المشروع لا يزال مفتقدا للوصول للدوائر المختلفة من هيئات وحكومات ومؤسسات وأفراد وباحثين ولا يرتبط بعملية صنع القرار بشكل حقيقى وفعال .
خامساً : تتسم إدارة المشروع بديناميكية متطورة عالية لا وجود فيها لفجوة الإدارة بسماتها المختلفة .	المراكز القليلة والمشروعات فى هذا الصدد تتسم بإدارة تقليدية وعوائق كثيرة لانسحاب العمل ناهيك عن عقلية الوصاية الفكرية والإدارية المتبعة الموجودة فى واقعنا الثقافى .

ولعل من المهم هنا أن نرصد أهم محاور القضايا التي تدرج في إطارها أكثر من ١٨٠ موضوع حيوى تتناوله مراكز ومشروعات الدراسات المستقبلية الدولية ، والهدف هو أهمية النظر إلى هذه المحاور وتقديم رؤية تتوافق وأجندتنا ومصالحنا من خلال الرؤية التكاملية المقترحة في هذه الدراسة^(١) .

الفكر الإسلامى المعاصر وتحدى التعاون والصراع

وقد نضيف إلى تلك المحاور الدولية الخمسة عشر المحافل مسائل هامة وخاصة حيث لابد لنا أن ننظر بجد في طرح رؤية علمية إسلامية معاصرة تبنى على الرؤية التكاملية المقترحة في هذه الدراسة من منطلق ما يلي :

أ - إن الفكر الإسلامى العلمى هو فكر تكاملى بين العلم والدين وهو توجه يثبت منطقيته بعد إفلاس نظريات علمية رياضية أو علمية طبيعية فقط في تفسير ظواهر وسنن الكون ومشاكل الواقع المعاش في عالمنا المعاصر .

ب- إن توصيف معايير أخلاقية للممارسات الدولية أصبح من الأمور الضرورية لبقاء البشرية ، من هنا بدأت محاولات عديدة على المستوى الدولى تمثلت في جهود الكثير من مشروعات استشراف المستقبل وتمثلت في طرح ما عرف «بالطريق الثالث» "THIRD WAY" وغير ذلك من مفاهيم مشابهة .. والسؤال المطروح ويستحق البحث فعلا هو سؤال الكيفية وليس «الينبغيات» أو عقلية التوصيات بل أن تفاصيل هذه الأمور تثير السؤال الخاص «بكيف» ... أى كيف يمكن وضع معايير أخلاقية صارمة وسياسات تنفيذية ممكنة في أطر ومفاهيم حالة التفاعلات الدولية وحالة التفاعل عبر الثقافات ، ولابد أن تكون هناك رؤية إسلامية - علمية تثرى واقع التفاعلات في هذا الميدان وغيره مما يستلزم حضور الفكر الإسلامى المعاصر وهو أمر يحتاج إل دراسة تفصيلية أخرى .

ج- إن كل المحاور وكما ورد تحتل النظرة التفعيلية لها من منظور الأخلاقيات ومن منظور الخصوصية الثقافية العربية الإسلامية ولعل من محاور الاهتمام الرئيسى في إطار مثل هذا المشروع ، نرى إعطاء أهمية خاصة لمستقبل إدارة الاقتصاد الإسلامى ومواجهة التحديات والمشاكل التي يواجهها حاليا وفي المستقبل خاصة فيما يتعلق «بنوازل المال» وبخصوص ما يمكن أن يقدمه الاقتصاد الإسلامى ليس فقط للمسلمين ولدعم اقتصاديات وتضامن العالم العربى الإسلامى بطرق مبتكرة وتكاملية ، بل كذلك ما يمكن أن يقدمه لمستقبل البشرية لعلاج آفات الاقتصاد الرأسمالى الذى كثر عن أنيابه للعالم أجمع وتجسدت معارضات الدول عبر العالم في التظاهرات التي حدثت في

(١) لمزيد من التفاصيل راجع حسن ، محمد وجيه ، حروب الهوية - مرجع سابق (ص ٩٢ ، ص ٩٤) .

مؤتمر سياتل (نوفمبر ١٩٩٩م) وديفوس (فبراير ٢٠٠٠م) (*) وجنوة في ٢٠٠١م حيث سقط أول شهيد يناهض العولمة .

★ «الأخلاقيات الكوكبية» :

ولقد أثار تقرير المشروع الألفى لجامعة الأمم المتحدة والذي يصدره المجلس الأمريكى بالجامعة الصادر عن هذا العام ٢٠٠١م تفاصيل ورؤى عديدة تتعلق بالحوار الخامس عشر بعنوان «الأخلاقيات الكوكبية» كأحد محاور التحديات الخمسة عشر الأساسية وذكر : «أن المحاور الأربعة عشر الأخرى كلها تتطلب النظر إليها من البعد الأخلاقى^(١) كما ورد فى التقرير من خلال ممثلى أوروبا فى المشروع» أنه إذا أحققنا فى انتهاج نظام صارم يراعى الأخلاقيات الكوكبية فإننا وبحق نسير فى مسار صدام الحضارات .

أهمية وضرورة الرؤية التحليلية لتطور مشاريع استشراف المستقبل الدولية من أجل تحديد مواقع للتفاعل والتحرك على الساحة الدولية .

إن رؤية المنظور التاريخى لتطور هذه المشروعات ليمثل بعداً هاماً وضرورياً لاستجلاء السمات التى ينبغى أن تتجسد فى ذلك المشروع العربى الإسلامى المقترح لاستشراف المستقبل .. وذلك من أجل التفاعل الذى يستبِق الأزمات والتحرك بديناميكية مبادآت تدعم أجندتنا التفاوضية فى الطرح الدولى القائم واحتمل على المدى القصير والبعيد معاً بفاعلية مرتفعة الأداء وكذلك دعم تفاعل الجنوب - الجنوب والشمال والجنوب فى عالمنا . وهو بعد فى غاية الأهمية لتشكيل نظام دولى أكثر عدلاً .. وفيما يلى عرض تحليلى موجز لأهم مشاريع ونماذج استشراف المستقبل الدولى/الكوكبى :

١- نموذج حدود النمو :

كان من أول النماذج العلمية التى قامت ولا تزال تقوم عليها مشاريع ودراسات عديدة لاستشراف المستقبل بل سياسات تنفيذية لكثير من صانعى القرار فى دول

(*) وجهت لكاتب السطور دعوة من إدارة الخدمات المصرفية الإسلامية بالبنك الأهلى التجارى لحضور ذلك الحوار الذى أجراه البنك بين رئيس وأعضاء هيئة الفتوى والرقابة الشرعية مع رجال البنوك والخبراء وأساتذة الجامعات المعنيين ، وذلك فى ١٤٢٠/١١/٩ هـ الموافق ٢٠٠١/٢/١٥ م ، ولقد أكد ذلك الحوار على أهمية دعم الاقتصاد الإسلامى من خلال إدارة الخدمات المصرفية الإسلامية فى عصر التجارة الإلكترونية والعولمة مع المقارنة بما يحدث على صعيد البنوك التقليدية ، وأكد الحوار على ذلك الدور المتنامى للاقتصاد الإسلامى والعمل على تذليل العقبات التى يواجهها وتعميق الدراسات العلمية الخاصة بهذا التوجه من عدة زوايا مهمة لكى يقوم بالدور المنوط به فى دعم اقتصاديات العالم الإسلامى وتقديم ما يمكن أن يقدمه الفكر الإسلامى المعاصر فى هذا الصدد للعالم أجمع ، ولقد تأكدت لدى كاتب السطور قناعته بطرح فكرة تكاملية بين «فقه النوازل» وعلم التفاوض وإدارة الأزمات للتعامل مع أزمات راهنة واحتواء أخرى مستقبلية بخصوص محور الاقتصاد الإسلامى وما يواجهه من تحديات ، ولعل الأمر يحتاج إلى دراسة تفصيلية ، بل دراسات فى هذا الصدد ، وفى إطار المشروع العربى الإسلامى المقترح لاستشراف المستقبل لإدارة الأزمات ومنعها إن تمكنا من تدشينه وتفعيله .

(١) راجع تقرير المجلس الأمريكى لجامعة الأمم المتحدة على سبيل المثال لعامى ٢٠٠٠ ، ٢٠٠١م (ص ٣٧) محور : تحدى «الأخلاقيات الكوكبية» AC, UUU - The Millennium project State of the Future. 2000 - 2001 .

العالم المختلفة ما عرف بنموذج «حدود النمو» "LIMITS OF GROWTH" .. ومفاد هذا النموذج الذى تبناه نادى روما فى عام ١٩٧٢ أنه وإذا ظلت معدلات النمو السكانى وعمليات التصنيع وما ينتج عنها من معدلات متزايدة للتلوث فإن العالم بنظامه البيئى وما به من مصادر زراعية ومائية سيصل إلى أقصى طاقة استيعابية فى غضون مائة عام على الأكثر ثم يحدث الانهيار والفوضى ... ولذلك وجب التدخل للحد من النمو السكانى ... ولقد تمت مناقشة وتحليل هذا النموذج بشكل مكثف واختلفت الآراء حوله - خاصة فى مؤتمر السكان للأمم المتحدة الذى انعقد بالقاهرة ١٩٩٤م من حيث اختلاف المنظور الثقافى له وكذلك اختلاف تطبيقه من دولة إلى دولة وأن هناك تغيرات سياسية وتكنولوجية واجتماعية مركبة لا بد وأن تؤخذ بعين الاعتبار .. ولكن لا يزال لهذا النموذج تأثيره وأحدث الدراسات التى ظهرت مؤخرا جاءت بعنوان «لقد وصل النمو حدوده بالفعل ..» حيث يشير روبرت جودلان إلى «أن آثار النمو الراهن قد أثر بعمق على النظام البيئى ، خاصة فى مناطق بعينها فى العالم مثل البرازيل وغيرها حيث تم استهلاك النظام البيئى من حيث فقدان الغابات وتآكل وإنهاء التربة الزراعية بشكل سيكون له تأثيراته وتداعياته الغريبة والسلبية وكذلك فإن العالم كله بقاراته المختلفة يشهد انخفاضات كبيرة فى معدلات المياه الجوفية بالإضافة إلى تآكل الأوزون واضمحلال للنظم المدعمة للحياة (... BIODIVERSITY) وانقراض تام لكائنات من شأنها إحداث توازن بيئى فى العالم .. وهناك دراسات أخرى على درجة كبيرة من الأهمية تربط هذا النموذج برؤى عديدة فى ظل العولمة (ولهذا تفاصيل فى سياق آخر)^(١) .

اختلف هذا المشروع عن «حدود النمو» السابق فى استخدامه لبيانات ونظريات لاستشراف المستقبل من العلوم المختلفة ، ولكنه اتفق مع «مشروع حدود النمو» بالنظر إلى العالم على أنه نظام تتفاعل أجزائه ومناطقه ، وركز على المناطق المختلفة للعالم وعلى أهمية اتخاذ قرارات جماعية لتجنب كوارث محتملة .. وقدم المشروع نماذج رياضية اقتصادية وبيئية لرصد العلاقات المتداخلة بين النمو والبيئة والطاقة والغذاء والتنبؤ بالأزمات المحتملة على هذه الأصعدة ... أما الانتقادات التى وجهت لهذا المشروع فكان من أهمها :

(أ) أن المشروع مثله فى ذلك مثل مشروع «حدود النمو» يركز التحليل على المناطق من حيث المصادر الموجودة بها ، دون دراسة التغيرات المتعلقة بالمستوى السياسى والتكنولوجى .

٢- مشروع معهد ما ستشوسيتس
للتكنولوجيا والمعروف باسم
«الإنسانية عند نقطة تحول ..»
(١٩٧٤):

(١) راجع : Brown, Lester & Gary Graduer, Beyond Malthus World Watch paprer (43, Washington D. C. sep. 1998).

(ب) إن المشروع يعكس نموذج التفكير الغربى .. وكل الباحثين فيه من الخبراء الغربيين ، وهو مما يؤثر على عاملى التحيز العلمى والثقافى معا .

وهذا المشروع ينتقد كل من المشروعين السابقين من حيث أن تعريفهما لمفهوم «الأزمة الكوكبية» ينطلق من مشاكل وقلق الدول المتقدمة أساسا دون النظر إلى تغيير القيم الذى ينبغى وأن تتوفر لتغيير العالم لمواجهة المشاكل الكوكبية بشكل متكافئ وهناك تفاصيل منهجية أخرى بالأساليب العلمية التى تبناها المشروع ولا يتسع السياق لرصدها هنا .

٣- مشروع الأرجنتين المعروف

بنموذج بارليوتش (٧٥ - ١٩٧٦) :

٤- تقرير عام ٢٠٠٠ الكوكبى (١٩٨١)

ترجع أهمية هذا التقرير الذى قدم للرئيس الأسبق جيمى كارتر ، ليس فقط من منطلق أنه يوضح حالة المستقبل فيما يتعلق بالنمو الديموجرافى وحالة المصادر والبيئة فى عام ٢٠٠٠ والنتائج التى توصل إليها فى هذا الصدد ، إنما ترجع أهميته الحقيقية فى أنه قد تم النظر إليه على أنه نموذجاً علمياً يحتذى به ، ولقد تم تقديم دراسة حديثة نسبياً (عام ١٩٩٣) من قبل المعهد الألفى بولاية فرجينيا حيث قدمت لبرلمان الأديان الذى عقد فى شيكاغو ، وبيع منه مليون ونصف المليون نسخة ، وترجم إلى ثمانى لغات أجنبية ونتيجة الدراسة تقول إنه إذا استمرت سياسات العالم وقناعاته الحالية كما هى عليه ، فإن العالم فى القرن الـ ٢١ سيكون أكثر ازدحاماً وأكثر تلوثاً وأقل استقراراً سياسياً واقتصادياً وأكثر تدهوراً للبيئة وتعرضاً للعنف .. كما يشير التقرير إلى توتر علاقات دينية بين جماعات دينية وعرقية متعددة تحتاج إلى التدخل الإيجابى .

٥- دراسات ومشاريع الأمم المتحدة :

رؤية مسحية ونقدية

بما أن للأمم المتحدة سلطة معنوية خاصة مفترضة وينبغى وأن نرصد كل تفاعلاتها على الأصعدة المختلفة ، فإن رصد مشاريع استشراف المستقبل له أهميته الخاصة سواء على الصعيد العلمى أو على صعيد ارتباط هذه الدراسات بشكل خاص بصناعة وتنفيذ قرارات هذه المنظمة وتأثر دول العالم قاطبة بما تصدره المنظمة كممثل رئيس للشرعية الدولية مع الاعتراف بأوجه القصور القائمة .. ولو أن الدراسات المستقبلية العلمية فى إطار منظمة كمنظمة الأمم المتحدة من الممكن وأن ينظر إليها على أنها سبيل من السبل الهامة لتحسين أداء هذه المنظمة .

من هنا فسنحاول رصد هذه النماذج والمشاريع التى صدرت تحت مظلة الأمم المتحدة بشىء من التفصيل ، وهنا يمكننا تصنيف تلك الدراسات إلى صنفين وهما :

(أ) دراسات ومشاريع محدودة بفترة زمنية محددة (من قبل الأمم المتحدة) :

وفى هذا الإطار يمكننا رصد الدراسات الهامة التالية : رؤية كوكبية لعام

٢٠٠٠ (١٩٩٠) ، «الديون والبيئة (١٩٩١)» ، «المشاركة من أجل البيئة والتنمية : (١٩٩٢) ، التعبير : تهديد أم فرصة للتقدم الإنسانى ، (١٩٩٢)» ، أجندة للتنمية - د. بطرس غالى - (١٩٩٤) .. وكل هذه الدراسات وغيرها على درجة من الأهمية وتتعلق بتوصيات لقرارات دولية جمعوية فى محاور السكان والغذاء والفقر ، والإسكان ، البطالة ، نوعية الحياة ، الصراعات ، الأزمات المالية ، التبعات الاجتماعية للتكنولوجيا ، تجارة المخدرات ، التدخين ، إلى آخره .

(ب) دراسات ومشاريع غير محدودة بفترة زمنية محددة (المشروع الألفى للجامعة الأمم المتحدة) :

أى هذه الدراسات التى تمتد فى دراسة محاور ذات طبيعة كوكبية دون التقيد بمدة زمنية للانتهاء منها بل تكون مستمرة مع تقديم تقرير سنوى يتعلق بالبعد المعرفى وبيانات المحاور مع التنمية المستمرة لتقنيات التنبؤ المستقبلى التى تحتاج إلى هذا الامتداد لتطويرها والوصول بها إلى حالة من الصرامة العلمية المبنية على التحديث .. وهنا نجد ما سعى بالمشروع الألفى بجامعة الأمم المتحدة الذى تبنته الجامعة من عام ١٩٩٠ كواحد من أكبر المشروعات المستقبلية الكونية يعنى بالتعامل مع ١٥ محور مثل السكان والمصادر والصراعات ومحاور الدراسات الأخرى المذكور أعلاه ، فى المجموعة (أ) ولقد كلفت جامعة الأمم المتحدة - التى أنشئت عام ١٩٧٣ بقرار من الجمعية العامة للمنظمة ومركزها الرئيسى فى اليابان - كل من البرنامج الإنمائى للأمم المتحدة والمجلس الأمريكى للجامعة الأمم المتحدة واليونسكو بالاشتراك فى إدارة هذا المشروع ، وفى عام ١٩٩٦م أصبح المجلس الأمريكى للجامعة هو الفاعل الرئيسى لإدارة المشروع الألفى للجامعة وكذلك الممول الرئيسى له .. ونرصد فيما يلى المميزات وأوجه النقص التى يتسم بها هذا المشروع فيما يلى :

المميزات :

وتتمثل فى أنه وعكس المشروعات والدراسات السابقة فهو لا يتقيد بمدة زمنية بل أنه ممتد على أساس تحديث النتائج والتقنيات بصفة مستمرة لأن الدراسات الأخرى قد تنتهى صلاحية نتائجها بانتهائها فى حالات عديدة .

كذلك يعتمد المشروع على باحثين متميزين فى تخصصات عديدة .. فهو يتبنى فكرة العلوم التمازجية INTERDISCIPLINARITY من حيث كونها علوم مستقبلية حيوية تقلص من أوجه أحادية المجالات التى تعاني منها مؤسسات البحث والجامعات على مستوى العالم بنسب متفاوتة .. كما تسمح آليات المشروع وقنواته بالتفاعل بين الباحثين وصانعى القرار ويصدر تقريراً سنوياً هاماً عن حالة

محاوّر الدراسات الـ ١٥ وعن سيناريوهات المستقبل لأهم الدراسات عبر العالم فى المجالات المختلفة .

أوجه النقص :

وأهمها يتمثل فى أنه وبالرغم من محاولة المشروع التغلب على مركزية الفكر الغربى الأمريكى على الدراسات المستقبلية - وهو أمر أخذّه الباحثون المقيمون للمشاريع المستقبلية التى ذكرناها على أنه أكبر وجه من أوجه الخلل القائمة بها ، ولذلك فلقد حاول القائمون على هذا المشروع تجنب هذا الخلل الكبير من خلال اختيارهم لباحثين من دول العالم المختلفة ، إلا أن واقع الممارسة قد أوضح لى بصفتى ممن تم اختيارهم أن هذه المركزية لا تزال غالبة على أداء المشروع كما أن إيقاع المشروع يكاد يكون أحادياً فى نهاية المطاف . فبالرغم من وجود مشاركين بالمشروع فى عواصم عديدة من العالم ولهم حريتهم المطلقة بالفعل فى التعامل مع محاور المشروع وفى طرح كل ما يروونه لتحسين أداء المشروع وجعله ممثلاً للجميع عبر العالم ، إلا أن نتائج وإيقاع المشروع يتسم بمركزية إدارية والمشكلة هنا أن أى مشارك من دول الجنوب خاصة قد يرى أهمية القيام بنفس الدراسات وعن نفس المحاور ولكن من منظور قيمى وثقافى ومنهجى مختلف تماماً فى ميقات بعينها وكذلك ستكون نتائج مثل هذه الدراسات .. وبالرغم من إمكانية القيام بهذا فى إطار المشروع إلا أن فكرة الترابط الداخلى بين إدارة المشروع والمشاركين به فى ظل مركزية الواضحة وطبقاً لتفاعلات بعينها تكون موضع تساؤل كبير هنا^(١) وهذا يقودنا إلى السؤال التالى :

ماذا عن المشروع العربى الإسلامى

الذى ينبغى وأن يكون ؟!

بعد العرض السابق لتطور أهم مشاريع ونماذج استشراف المستقبل بمميزاتها وقصورها تكون الصورة قد اكتملت واتضحت من حيث إمساكنا بأهم الخيوط من أجل تدشين مشروع عربى - إسلامى متكامل ومتميز على الصعيدين الوطنى - العربى - الإقليمى والدولى ... وكنت قد قدمت وكما أشرت آنفاً بحثاً فى المؤتمر السنوى لإدارة الأزمات بجامعة عين شمس فى ١٤/٦/١٩٩٦م بعنوان «إدارة ومنع الأزمات : ما بين المشروع الألفى بجامعة الأمم المتحدة والمشروع العربى الذى ينبغى : وكان بدير جلسة مناقشته أ. د. على لطفى رئيس وزراء مصر السابق . وبالإضافة إلى ما تضمنه ذلك البحث من نقاطاً منهجية عديدة ، أتحدث هنا عن نقاط أخرى مما لم أتناوله حينذاك وتمثل فيما يلى :

(١) راجع لمزيد من التفاصيل :

(a) World Futures and The United Nations, an annotated guide to 2500 recent books & Reports by world Future society, U. S. A 1995.

(b) Masini, Eleanore, why Future studies, Grey Sal, London, 1993.

أولاً : يجب أن نتيقن هنا بأن العبرة ليست بإنشاء مراكز للدراسات المستقبلية على قلتها أو كثرتها في مصر وفي الوطن العربي ، بل النقطة الجوهرية هنا هي التغلب على فجوة الإدارة القائمة في واقعنا .. وهذا مرتبط بالفرس - فمثل هذا المشروع يحتاج أساساً إلى إطار هيكلي مرن وفعال ، يستطيع التعامل المتميز مع معطيات ومتطلبات مثل هذا المشروع ووجود قيادة إدارية وطنية حديثة تتعامل معه وتوظف الباحثين المتميزين الذين ينبغي وأن يتاح لهم كل مناخ للإبداع الفكري الوطني ، بعيداً عن عقلية الوصايا غير المؤهلة والأسلوب السلبي المستعصى في الإدارة والذي يتيح ترسيخ سلبيات كثيرة من السهل أن تقتل مشروعاً كالذي نتحدث عنه ...

ثانياً : اختيار محاور وتحديات كونية يمكن للوطن العربي والعالم الإسلامي الاضطلاع بها والتميز في أدائها للإسهام محلياً ودولياً في إيجاد حلول بخصوصها ، ولابد أن نتأكد هنا من أنه وكما من المهم أن ترتبط الدراسات المستقبلية بصانع القرار الوطني ؛ فلا بد أن نجد مخرجات ونتائج مثل هذه الدراسات الكوادر المدربة من الباحثين وغيرهم لكي تصاغ في تفاعلات الساحة الدولية لترسيخ قناعاتنا ومصالحنا وأجندتنا مع التأكيد على أنه لا ينبغي هنا أسلوب «الخطب العصماء» الموجهة التي يكرهها العالم ولا ينبغي كذلك أساليب مراكز الأبحاث والدراسات المستقبلية التي تتسم بالتفوق وترك ساحة التفاعلات الدولية من باب الخوف والتخوف والتخويف من التعامل بثقة ووطنية عالية مع معطيات الساحة الدولية وما تموج به .

ثالثاً : تأسيس هيكل مرن يستوعب كل الدراسات المستقبلية والجيدة التي قمنا بها على ندرتها بحيث تكون نواة يتم تحديثها المستمر وإضفاء صفة الديناميكية الإيجابية على معطياتها والعمل على ترابطها بما يكملها حتى تغلب على واقع الجزر المنعزلة على صعيدى البحث والممارسة .. ويكون ذلك ضمن خطوات أخرى كنواة لمشروع له صفة مؤسسية مستمرة وبه قاعدة بيانات للدراسات المتعلقة بنا ويمكن كأحد الخيارات الممكنة أن ننشئ ما يمكن تسميته بالمجلس المصرى أو العربى بجامعة الأمم المتحدة ليكون موقعاً جديداً لنا في المنظمة الدولية ويكون إضافة لدور جامعة الأمم المتحدة ، ونحن نملك أوراق التفاوض الخاصة بإنشائه .

رابعاً : يتيح تدشين مثل هذا المشروع بالحيثيات والمعطيات التي نقترحها إيجاد مساحات جيدة لما أسميه «بالتفاوض الجمعى» على الصعيدين الداخلى

والدولي .. فتفاعلاتنا العربية وحوار الجنوب مع الجنوب . بحاجة لخرجات مثل هذا المشروع المقترح على صعيدى البحث والممارسة .. أما تواجدنا على الساحة الدولية من خلاله فهو أمر بالغ الأهمية لأن الساحة الدولية فى هذا المضمار خاصة فى إطار حوار علمى وعادل بين الشمال والجنوب من الأمور المطلوبة للغاية ولا تزال الساحة خالية من تواجدنا الفعال فى هذا المضمار الحيوى خاصة فى عصر قد تلعب فيه مثل هذه المشاريع دور حيوى فى نظام دولى أكثر عدلاً خاصة إذا استطعنا توظيف آليات التفاوض الإيجابى والفعال لصالح أجندتنا الوطنية ولصالح صياغة ذهنية الآخرين فى اتجاه تفعيل مثل ذلك النظام المرجو بين الشمال والجنوب - ولكن إلى اليوم تكاد مثل هذه المساحات تكون مهجورة من قبلنا لعوامل عديدة إن لم تكن هى كذلك بالفعل .. هذا والله أعلم وهو وحده ولى التوفيق وهو المستعان^(١) ...

إن الحديث عن معطيات ثقافة المستقبليات وأهميتها وطرح مشروع جديد بشكل ديناميكى مختلف ليكون أساساً لمنصات فكرية على الساحة الدولية نستخدمها لإعلاء أجندتنا العربية الإسلامية وشغل مساحات شاغرة للتفاوض خارجياً ، لا يمكن أن يكون سليماً إلا إذا تناولنا أولاً مساحات التفاوض الشاغرة التى ينبغى التعامل معها لرؤية تضاريس واقعنا الذى نرغب أن نشيد فى إطاره مثل هذا المشروع ...

وإلا فإن الكلام يكون كقفزة فى الهواء دون الانطلاق من قاعدة راسخة وقوية، وهنا لابد أن نتحدث عن هذا الواقع من خلال الكشف عن أسباب نازلتين من النوازل التى نعانى منها بشكل يكاد يكون مزمناً وتبين هذا فيما أسميه «بنازلة تخلف البحث العلمى» «وبنازلة تغيب القوة البحثية العربية» عن الاضطلاع بدور أكبر وأكثر فاعلية وهذا ما سنحاول رصده فى هذا الفصل من هذه الدراسة وما أورد طرحه هنا أن المطلوب هو العمل على رفع مستوى البحث العلمى والقاعدة العلمية وإجراء إصلاحات ضرورية لآبد من مناقشتها خاصة وأنها قد بدأت فعلاً فى فتح الملف الخاص بها بعد فوز د. زويل بجائزة نوبل ، ولكن لابد من تدشين نماذج جديدة فى أسلوبها تساعد فى عملية رفع مستوى المناخ العلمى الذى لن يحدث إلا من خلال تدشين مثل هذا المشروع المقترح وغيره من مشاريع مماثلة لتكون النواة أو الحلقات الأولى نحو الدخول فى تجربة جديدة وزرع أنماط جديدة من التفاعلات فى واقعنا الثقافى ، وأرى أهمية إثارة هذا الأمر حتى وإن لم ينفذ فإن مجرد إثارة والإصرار عليه بأسلوب الحوار العلمى مع كل من يهمهم أمر أوطاننا وأمتنا العربية والإسلامية

**العوائق الثقافية بين «نازلة
تخلف البحث العلمى» و«نازلة
تغيب القوة البحثية العربية
عن التفعيل المطلوب :**

(١) حسن ، محمد وجيه «رؤية مصرية لاستشراف وتفعيل المستقبل الدولى» الأهرام ، ١٢/٦/١٩٩٩ م .

لهو المدخل المطلوب والصحيح للوصول إلى كلمة سواء من أجل الأمة كلها ومن أجل أجيال أفضل .. وأمل أكبر في مستقبل مشرق .

من هنا نرصد عددا من النقاط المحورية والموضوعية التي يوضح بعضها ما المقصود بطبيعة مثل ذلك المشروع وهو الأمر الذي من شأنه كذلك إبراز سلبيات تتعلق بالممارسات في واقعنا الثقافي من أجل تصوير الخريطة الذهنية بتضاريسها الصعبة التي ينبغي التعامل معها . وإذا كانت الأمثلة التي سنقدمها تتركز هنا أساسا على تفاعلات مستمدة من واقع التفاعلات الثقافية المصرية بحكم اهتمام الكاتب، إلا أنه لا يمكن أن يتصور أحد أن نتحدث ونقصر الحديث على مصر فقط بل أن ما يثار من نقاط لها علاقة وثيقة بنسبة أو بأخرى بجميع أقطار الوطن العربي والإسلامي بطبيعة الحال ، ولا ينكر أحد أن ما يحدث في مصر دائما له صداه في باقي الأقطار العربية الشقيقة ... ونجدد الإشارة هنا إلى أن كاتب السطور قد تعرض لتحليل تركيبة واقعنا الثقافي على مدى ملفات تفاعلية عديدة وهنا فإنني استكمل هذا الجهد ولكن في إطار فتح ملف البحث العلمي .. ولقد تم حشد آراء أهم الخبراء والعلماء الذين ينتمون للتفكير العلمي وقد عبروا كذلك عن تيارات عديدة في واقعنا ولعلمي أرصدة السمات التالية للمشروع المقترح :

برغم الندرة الشديدة لمراكز الدراسات المستقبلية في جامعاتنا العربية من المحيط إلى الخليج إلا أن ما نقصده ليس ما نراه من مراكز تعد على أصابع اليد الواحدة ولا تزال السمة الغالبة في معظمها تنصف بالفكر المناقض لفكر المستقبلات تماما ويعاني أسلوب الإدارة لمثل هذه المراكز النوعية من وطأة مركزية متعسفة ووصايا غير مؤهلة تتمكن من محو الفكرة الحقيقية وإجراء جراحة ناجحة لها تؤدي إلى تفرغ الموضوع من مضمونه بجدارة وامتنياز لبقى منه الاسم فقط ...

المقصود إذن بالمشروع أن يكون نموذج أوليا نحو اصطلاحات كثيرة لها مخرجات على مستوى الأداء الاجتماعي الثقافي والأداء على الساحة الدولية حيث ينبغي لمثل هذا المشروع أن يرتبط بمنصات فكرية وإعلامية الهدف منها تشكيل ذهنية الآخرين نحو مصالحنا الاستراتيجية .

يعاني مجتمعنا العربي مثله في ذلك مثل العالم النامي من ثلاثة فجوات ينبغي عبورها أو بداية العمل الفعال لعبورها وهي فجوة المعلومات INFORMATION GAP وفجوة الإدارة MANAGEMENT GAP و «الفجوة الزمنية» TIME GAP .. وللتغلب على هذا المثلث الهرمي الشكل الذي لا يصلح إلا لدفن وموت الأشياء ينبغي صياغة معادلة دقيقة بإضفاء هيكل مرن للتفاعلات في إطار مثل هذا المشروع المقترح بحيث تكون البداية بفجوة الإدارة حيث ينبغي توظيف منهج الدائرة

١- المشروع لا يعني مجرد مركز

لدراسات المستقبلية في

إحدى جامعاتنا:

٢- معضلة التغلب على هرم

الفجوات الثلاثة في واقعنا الثقافي:

التفاوضية كما فى النموذج اليابانى للإدارة حيث يشارك الجميع فى إتخاذ القرارات من خلال أساليب يطول الدخول فيها تفصيلاً بحيث تمكن هذه التفاعلات من التوظيف الأمثل للمعلومات وانتهاج أسلوب إدارة الأزمات وهو أسلوب الاشتباك الانتقائى SELECTIVE ENGAGEMENT بحيث يكون تعاملنا مع كم المعلومات الرهيب المتوفر ذو عائد توظيفى لصالح أجندة أمتنا العربية الإسلامية ووجود شفافية معلوماتية تدعم التواصل الإيجابى بين أفراد المجتمع وربط وتوظيف دبلوماسية المسار الأول والثانى بالأسلوب الذى يساهم فى التغلب على «الفجوة الزمنية» المتمثلة فى رد الفعل المتأخر DELAYED TIME REACTION بعد فوات الأوان كما فى كثير من الفرص التى ضاعت وستضيع بسبب أسلوب رد الفعل المتأخر هذا والذى رصدت بخصوصه أمثلة عديدة فى كتابى بعنوان «مقدمة فى علم التفاوض الاجتماعى والسياسى» المشار إليه بالفصل الخامس من هذه الدراسة ، فنمط رد الفعل المتأخر هذا له تاريخ طويل من الممارسات فى واقعنا الثقافى ويعود لأسباب عديدة ولكن قد يمكننا التغلب عليه إذا أردنا ذلك من خلال نموذج كالتنودج المقترح لمثل هذا المشروع وبوسائل عبور واقع الجزر المنعزلة فى واقعنا .

نبدأ هنا بالإشارة إلى المقال المتميز الذى كتبه د. أسامة الغزالي حرب عنوان «المسؤولية الإسلامية لمصر!» بالأهرام فى ٢٠٠٢/١٢/٩ حيث ذكر «أن لعالم الإسلامى يواجه اليوم واحداً من أكبر التحديات فى تاريخه الطويل ، إذ أنه تحدى يقف جنباً إلى جنب - بل هو بالقطع يفوق - الغزوة الصليبية فى القرن الحادى عشر ، والاحتياح المغولى فى القرن الثالث عشر ، وسقوط الأندلس فى القرن الخامس عشر ، وانحسار الدولة العثمانية فى القرن السابع عشر ، ثم وقوع معظم بلدان فى قبضة الاستعمار الأوروبى فى القرن التاسع عشر ... !» .

فى إطار هذا السياق وحده - خاصة اليوم - لابد أن ننظر إلى أنماط الأحداث وتداعياتها وطبيعة الأطراف واجندتهم لتحديد تحركنا المطلوب تجاه الأحداث المتلاحقة والتحركات المركبة الحادثة اليوم . وبكلمات أخرى علينا أن ندير اليوم أزمة ممتدة ذات طبيعة خاصة ، لا يمكن أن تدار اعلامياً وثقافياً أو على الصعيد الدبلوماسى بخطابات الطمئنة تارة وخطابات الاحتقان والانفعالات السلبية تارة أخرى أو اللا فعل ، بل بخطاب واجندة احتواء وتحركات حريصة وجادة وعملية ومسؤولة آنية وطويلة الأجل .

فإذا كان لنا أن نتناول موضوع استنهاض الدور المصرى وتفعيل أقصى طاقاته اليوم ، فلعلنا أحاول ذلك بالتأكيد على النظر لما ورد فى الأسئلة التى تناولناها بقدر من التفصيل فى الأجزاء الأربعة السابقة من هذه الدراسة ... ونستكمل فى هذا

★ خامساً: تحديات الدور المصرى وآفاق المستقبلات بين الصعب والمستحيل

الجزء الأربعة السابقة من هذه الدراسة ... ونستكمل فى هذا الجزء أهم المقومات والمخاور المتعلقة بالتفعيل الإيجابى لإمكانات الكبيرة للدور المصرى المتميز على مر التاريخ الطويل لهذا الوطن الغالى وبما يحقق له المصداقية الأكثر والتأثير الأكبر ... بحيث لا تأتى علينا متغيرات شديدة التأثير فتصل بنا إلى ما يسميه خبراء التواصل عبر الثقافات «بصدمة الدور» Role Shock والمقصود بها «ان يحدث لفرد ما أو دولة ما أو مجموعة ما صدمة فيما يتعلق بما ألفه من دور يقوم به فلا يعمل على الحفاظ على قوة الدفع اللازمة للقيام بهذا الدور أو ذلك وتدعيم إمكاناته ...»^(١) .

ولعلنا نستكمل ما رصدنا فى الأجزاء الأربعة السابقة بمايلى :

(١) الأولوية للتفعيل الأقصى لإمكانات الدور المصرى من خلال «رفع الاداء الثقافى العلمى العام إعلامياً وتعليمياً ببرامج تشغيل جديدة

“New Scientific Cultural Software”

وعناصر هذا البرنامج الثقافى - العلمى الجديد تتمثل فى الآتى :

(أ) زرع مفاهيم ثقافة التفاوض الإيجابى المرتبطة عضوياً بفكر المستقبلات العلمى فى العملية الإعلامية والتعليمية بهدف رفع القدرات التحليلية والنقدية والإبداعية للتعامل مع المستجدات وإدارة الاختلافات وتعظيم طاقات العمل الإيجابى الجماعى والتحول إلى فكر الكيان الأكبر المبنى على منظومات تفاعلية محددة وميسرة لكافة الأعمال التنموية داخلياً وإدارة الصراعات المركبة والمعقدة خارجياً وهو الأمر الذى تعرضنا إليه بشئ من التفصيل فى ثانياً بهذه الدراسة .

(ب) تيسير كل ما يؤدى إلى الخروج من حالة الجمود وواقع الجزر المنعزلة على الأصعدة المختلفة مع التفعيل الأقصى لقدرات المجتمع المدنى المصرى بكل طاقاته لتعظيم الاستفادة من دوره الذى يمثل أهم شرايين الدور المصرى داخلياً وخارجياً ... ولقد اطلعت مؤخراً على نص بيان اللجنة الخاصة بمجلس الوزراء اليابانى التى أكدت على الحيوية القصوى للمجتمع المدنى وهئياته ومؤسساته فى اليابان للتعامل مع تعقيدات عصر العولمة ومعصياته وركزت على أهمية استغلالية هذا الدور وصقلته مناهة بالمهارات المتعددة لتعظيم قدرات عطائه وركزت على القوانين المدنية الضامنة لهذا القطاع ليمارس دوره الحيوى اللازم لكل

★ نحن واليابان والضرورة القصوى

لدور مجتمع مدنى حد ومسئول

(١) بخصوص مفهوم «صدمة الدور» راجع :

Harris philip & Moran, Robert, Managing Cultural Differences, Gpp Hovston texas 1999, (p.

العمليات التنموية ، كما ركزت اللجنة على مفهوم إعادة تأهيل من يحتاج إلى ذلك دون الإقصاء أو البطش وممارسة التدمير الذاتي للطاقات التي يمكن تحقيق أكبر النفع من عطاءها في كافة الأحوال ... وهذا التقرير قد ذكرني بهذا البحث المستقبلي الشهير الذى جاء بعنوان «لماذا اليابان وليس مصر؟!» "Why Japan Not Egypt?" والذي تضمن مقارنة موضوعية لظروف كل من البلدية في سياقات بعينها ... ومقدار التنمية التي تم إحرازها فيهما !

تفعيل القوة البحثية ضرورة حتمية

إذا أردنا التقدم الحقيقي

ج- التفعيل الفعال والمطلوب للقوة البحثية المصرية وثقلها وإعداد أجيال جديدة من الباحثين كعامل حيوى وأساسى لتغيير معادلات عديدة للصالح الوطنى وهذ نعود لتكرار ما كنا قد تناولناه بقدر من التفصيل في سياقات سابقة فالتكرار يهيم في سياقنا هذا لأنه لا يمكن أن تنهض الأمم إلا بالتوظيف الأمثل لما أسميه بالقوة البحثية «فهى من وجهة نظرى أهم من القوة الجوية» أو «القوة البحرية» أو «البرية» أو سمها ما شئت ، لأنها قوة استراتيجية تفاوضية لا بد أن تكون أكثر فاعلية من كل هذه القوات إذا ما أحسن إعدادها وتوظيفها التوظيف الأمثل فهى القوة الأساسية لأى انطلاقه تنموية فى أى مجال حينما ترتبط بالواقع المعاش بشكل متميز يحقق التطور الحقيقى .. وهنا لا بد أن نقول أنه لا يمكن عزل الخطاب العلمى عن الواقع الثقافى والظروف الاجتماعية فى بلد ما فالعلم والقوة البحثية يعنى مشروع ضخم لا يمكن القيام به إلا من خلال مؤسسة أو مؤسسات كبرى يضمن لها الحرية التى تولد الإبداع ولا تقتله . إذن فالمقصود هنا تدشين نموذج جديد يسهم فى تأسيس هذه القوة على الأسس التالية :

أ - رعاية المتميزين من الباحثين فريضة وإعداد الجيل القادم أمانة !

إن مثل هذا المشروع المقترح ينبغى وأن يكون إحدى الحلقات الأولية نحو تجميع وتفعيل قدرات الباحثين المتميزين فى الوطن العربى ليس من باب التشجيع المعنوى والأبوى بل من باب انتشال هذه الطاقات الكبيرة والمهدرة تقريباً فى إطار المناخ الثقافى الراهن وتوظيفها التوظيف الفعال من أجل التصدى لتحديات هائلة لا يمكن أن يتصدى لها الأدباء والشعراء فقط أو المسؤولين فقط أو القائمين على أجهزة الإعلام فقط بل يتصدى لها الجميع وعلى رأسهم القوة البحثية التى يتم تفعيلها كما ينبغى وأن تكون عليه الأمور ... وأن يتم الإعداد لأجيال حديثة وجديدة فى كافة العلوم الحديثة والحديثة لتقدم الأمم وتدارك أوجه خلل قائمة تنسب فى إعاقه عمليات التنمية المتواصلة التى لا بد وأن نعتبرها من أهم أبعاد الأمن القومى العربى ...

ب- رد الاعتبار لمفهوم «الخبرة» لمن الأمور المطلوبة :

فى إطار هذه النقطة وفى إطار مراعاة توازن هام من توازنات التنمية الأساسية نقول أن تقدير دور الخبرة والممارسة بلا شك والاعتراف والعرفان بدور الأجيال الرائدة الذين يمثلون دور الأباء والأجداد لمن الأمور التى يأمرنا ديننا الحنيف بها من حيث احترام الكبار وإجلالهم ، ولكن لا يمنع هذا أبداً من مصارحة واجبة ومستحقة بخصوص دور الشباب فى الأمة العربية ، فشباب الأمم بحجم المشاركة الفعلية لشبابها على أعلى المستويات ، أما الوضع القائم بخصوص الدور الحقيقى للشباب فى المشاركة وتوظيف طاقته على النحو الأمثل وغياب وجود الصف الثانى فى كافة المجالات تقريباً وبالشكل اللائق تحت بند «قلة الخبرة» فهذا غير مقنع نهائياً من عدة أوجه ففى عام ٩٣ كتبت مقالاً بعنوان «من أجل مصالحة ضرورية بين الأجيال»^(١) ، أى منذ أكثر من تسع سنوات الآن ولعلنى أجد ذلك المقال مناسباً للنشر مرة أخرى فى الوقت الراهن لوجود نفس ذات المشكلة وضرورة الحاجة الملحة إلى مصالحة صريحة بين الأجيال ، لا تزال ضرورية .

النقطة المحورية التى نضعها بكل أمانة وموضوعية ولا يمكن تجاهلها هنا أن هناك نوع من الاقصاء ، لدور حقيقى وفعال للشباب وإعداده كما ينبغى وأن يكون الأمر وربما أسباب ذلك كثيرة إلا أن النقطة ذات العلاقة هنا هى أن المشروع العربى المقترح لابد وأن يتضمن وعاء واضحاً وكبيراً لدور الشباب الباحثين الذين ينبغى وأن تمثل أبحاثهم واقعاً أكاديمياً مرتبطاً ارتباطاً وثيقاً بتنمية الخبرات .. فالعلوم الحديثة التى نتحدث عنها هى علوم أمبريقية أساساً أى لا ينفصل فيها التنظير عن واقع الممارسة بل أن التنظير يأتى مع الاشتباك مع كافة ممارسات الواقع المعاش من أجل حل مشاكله بالأسلوب العلمى ... أى أن الخبرة هنا حقيقية وليس خبرة السن / العمر فقط .

ج- ضبط معادلة التوجه العلمى السليم لإعلاء أجندة الأمة العربية الإسلامية (ماين معادلتى «فن الممكن» و«الذى ينبغى أن يكون») :

لابد ومن منطلق ورصد أول ما تحتاجه الدراسات المستقبلية من توجهات أن نقول ينبغى ضبط معادلة بحثية هامة وهى النظر للأمور كما ينبغى وأن تكون على ألا تكون استغراقاً فى المثاليات دون النظر إلى تضاريس الواقع حيث لا يمكن فصل العلم عن منطلقات الدين وقواعده المقصدية وكذلك لا يمكن فصل العلم عن السياسة بالمعنى العلمى للمفهوم ، من هنا يكون تعريف

(١) حسن ، محمد وجيه «من أجل مصالحة ضرورية بين الأجيال» ، الأهرام ، ١٩٩٣/٨/٣ م .

★ الخلل فى فهم مدرسة القوة
المطلقة وكذلك فى مقولة «فن
الممكن»!

السياسة ليس مجرد التعريف الشائع وهو «فن الممكن فقط» كما هو شائع لدى خبراء العلوم السياسية والعلاقات الدولية فى واقعنا ... مهما كان هذا الممكن سيئاً ولا يمكن قبوله .. من هنا ينبغى تصحيح ذلك التوجيه أو التوجه لعلمى «الذى ينبنى على مدرسة القوة المطلقة فى السياسة والعلاقات الدولية وهى مدرسة ، مورجنثاو والمعروفة بمدرسة القوة POWER POLITICS أو «REAL POLITICS» والتى لا تأخذ البعد الأخلاقى بعين الاعتبار وتعرف السياسة فى إطارها على أنها فقط «فن الممكن» حتى وإن كان هذا الممكن هو الأسوأ ، وخطورة هذه المدرسة ليس فيما تطرحه بل تكمن فى أن هذه المدرسة الغربية التى يتبناها الكثرة من الباحثين العرب والأكاديميين فى أطروحاتهم وفى مناهج التدريس فى أقسام العلاقات الدولية والعلوم السياسية تتنافى وتتناقض مع مدارس أخرى جديدة وعلى رأسها الدراسات المستقبلية من حيث المنطلقات والتوجهات ، والغريب أن الغرب قد روج لهذه المدرسة ويسعده تبنى الآخرين لها فيعدهم بالباحثين المدربين فى هذا الاتجاه ، هذا فى الوقت الذى يتبنى الغرب مدرسة «السياسة» كما تنبغى وأن تكون ... فإسرائيل وإن مارست «فن الممكن» فى وضع قدم لها فى منطقتنا إلا أنها «فن الممكن» كخطوة نحو ما ينبغى وأن تكون عليه الأمور من وجهة نظرها ، كذلك فلقد تبنى القائمون على إعادة رسم ملامح النظام العالمى الجديد من خلال المؤسسات الدولية الكبرى كالأمم المتحدة وصندوق النقد والبنك الدولى وأخيراً منظمة التجارة العالمية وقوات الناتو لاعادة رسم الأمور لكى تكون تجسيدا لمفهوم «الأمور كما ينبغى وأن تكون» من وجهة نظرهم بالطبع ، وهذا المبدأ لا تقوم عليه فقط السياسة فى المفهوم الحديث للغرب الآن بل هو صلب المبدأ الذى تقوم على أساسه الدراسات المستقبلية التى ما هى إلا الأخذ بالأسباب المختلفة لتحقيق سيناريو مرغوب فى تفعيله وإجباط سيناريو غير مرغوب فيه فالخطورة أن يقتنع الغرب بذلك ويعسده بينما تركز القوة البحثية العربية الراهنة فى المراكز الاستراتيجية القليلة فى العالم العربى إلى تبنى «فن الممكن» فى حد ذاته حتى وإن كان هذا الممكن فى إطار ما ينبغى وأن يتحقق لإعلاء أجندتنا العربية الإسلامية ... بالإضافة إلى موضوع «فن الممكن» فإننا إذا انتقلنا من العلوم السياسية والعلاقات الدولية إلى مجال التحليل فى علوم إنسانية أخرى ، لوجدنا مجموعة معروفة من الباحثين يتمسكون ويتبنون فى أطروحاتهم المدرسة التفكيكية (DECONSTRUCTIONISM) والتى تم تنفيذها وتخطيها فى

الغرب ذاته وأصبحت مثل الأسلحة البالية غير المفيدة ومع ذلك ظهر من يتبناها من أسماء ومعه ظهرت إساءات إلى تحليل النصوص في واقعنا العربى وأخفقت في التعامل الواعى مع واقعنا الثقافى ؛ فبدلاً من استنهاضه فى الاتجاه الصحيح لتعبئته على أرضية مشتركة تعتمد على مبدأ «قل هاتوا برهانكم» وتقبل بالتعددية الطبيعية والفعلية ، فإذا بهذه الأسماء تسهم بسلبية منقطعة النظير فى تقسيم واقعنا إلى معسكرات متناحرة وتستخدم كل أدوات وتكنولوجيا التناحر» مع إدعاء كاذب ووهمى فى أن هذه الأسماء كانت تتحدث عن نفسها «تقوم بإدارة معركة التنوير ..» والحفاظ على الاستقرار فى مواجهة تيار الظلاميين والمتسلطين والواقع أن كلاً من التيارين من ذوى الأصوات المرتفعة يسهم فى إحداث مأساة فى الواقع الثقافى العربى^(١) ، والنقطة المحورية هى أن تأسيس وتدشين مثل هذا المشروع العربى بسماته المقترحة لابد أن يكون إحدى الحلقات الأولية التى ينبغى أن ترسخ خطابات جديدة تستمد قدرتها التنويرية الحققة من العلم والإيمان ... أى من العلوم الحديثة التى لا تتعارض مع القواعد المتصدية للعقيدة الإسلامية السمحة ومقاصدها السامية .. فهذه الخطابات هى المعون والمدد لاستبدال الواقع الثقافى التناحرى بواقع ثقافى أكثر قدرة على الإنجاز بعيداً عن الإهدار وهو المنطلق فى إصلاح الذات الذى يمكننا من الخروج والعمل على صعيد ساحات التحديات الدولية الصعبة والشاغرة من وجودنا الفعال . إن ما يمكن أن ينجز من خلال مثل ذلك المشروع المقترح وغيره قد يزيح من على صدر الأمة تلك الخطابات المتهافنة ويعمل على ترسيخ خطابات أكثر رشداً وعلمية وفائدة للجميع فى عملية التواصل داخل الثقافة العربية وفى التفاعل مع الآخرين فى عالمنا المعاصر .

د - المناخ العلمى فى الوطن العربى : مساهمة أحمد زويل وفاروق الباز وأحمد مستجير وقوة الطرد المركزية

كان لفوز العالم المصرى - الأمريكى أحمد زويل بجائزة نوبل للكيمياء والذى وضعه العالم فى مصاف أرقى علماء الإنسانية لما قدمه من فتح علمى كبير .. كان لهذا الفوز الذى يجئ فى أوقات كثيفة يمر بها الوطن العربى على عدة أصعدة فرصة لإثارة الكثير من المناقشات عن المناخ العلمى فى الوطن العربى وكذلك الدعوة لإصلاح علمى على غرار «الإصلاح الاقتصادى» وفتح هذا الفوز ملفاً من أهم

★ فى وهم الثنائيات المتعسفة
وازمات التنويريين والظلاميين!!

(١) راجع فى هذا الصدد وعلى سبيل المثال لا الحصر مقال لكاتب السطور بعنوان «السؤال فى مستقبل الأدب ودور من لمنع الأزمات» الأهرام المسائى ، ٢٣/٧/٢٠٠٠ .

ملفات الواقع العربى وهو الملف الذى ينبغى التعامل معه بكل جدية وإصلاح لأنه مرتبط الفرس ... ولقد تناول هذا الملف الكثير من المعنيين بتحليل الواقع الثقافى واستنهاضه لمجابهة التحديات الصعبة التى تواجهها الأمة^(١) .

ولعل من المهم أن نرصد أهم أنماط التفاعل التى صاحبت فوز عالمنا الكبير د. زويل بجائزة نوبل منفردا فى الكيمياء حيث كتب أ. رجب البنا فى الأهرام (١٧/١٠/١٩٩٩م)^(٢) معلقاً على رأى الباحثين ورأى وزير البحث العلمى قائلاً :

«لقد لفت نظرى سؤالاً طرحته إحدى الصحف : وهو هل يمكن أن يظهر فى مصر أحمد زويل فى وجود المناخ العلمى القائم والمؤسسات والمعامل ونظم العمل والتشريعات الحالية ؟ وكانت إجابة الباحثين والمسؤولين عن المراكز العلمية بأن هذا مستحيل فى ظل الأوضاع الحالية ، وأنه لو لم يكن أحمد زويل فى أمريكا لما استطاع أن يحقق شيئاً مما أنجزه ، لأن المسألة ليست فقط الموهبة ، أو العبقرية لفردية أو النبوغ المبكر أو المتأخر ، ولكن لابد معها من ظروف محيطية بالعبقرية تساعدها على النمو والإبداع ...

ويضيف أ. رجب البنا فى مقاله الصريح قائلاً :

« ... وإن يكون الحديث عن أمجاد الأجداد حديثاً للترضية وجبر الخواطر أو لتحريك دوافع التقدم والحماس للعمل ؛ إلا أن حقائق الحاضر هى الأولى بالوقوف عندها ، ولتكن هذه هى لحظة المصارحة والحقيقة دون مجاملة أو تزييف أو خداع للنفس ...

وإن كان لوزير البحث العلمى رأى آخر أبداه فى ذلك التحقيق الصحفى وقال فيه «إن الجامعات ومراكز البحث المصرية زاهرة بالعلماء والأجهزة والمعامل وقادرة على إنتاج أمثال أحمد زويل .. ولم لا ؟! .. فيعلق رجب البنا قائلاً : « .. إلا أن هذه النظرة غير الواقعية قد تجاوزت حدود التفاؤل والتشجيع إلى حدود خطيرة على منهج التقييم وعلى المقدرة على رؤية الواقع بحجمه الحقيقى ، بعد أن غرقنا فى بحار التفاؤل والأوهام .. ويكفى أن نتأمل كلمات قليلة قالها د. أحمد زويل نفسه عقب فوزه بالجائزة حين سئل نفس السؤال فقال أن التقدم العلمى مرتبط بوجود مجتمع علمى .. أى أن المجتمع الذى يفرز العلماء ويشجع على الإبداع هو المجتمع العلمى فى كل أوجه حياته ... إلخ

(١) حسن ، محمد وجيه «الواقع العربى من منظور قوة الطرد المركزية» الوفد ٢٨/٨/١٩٩٦ .

(٢) البنا ، رجب «كم أحمد زويل عندنا ؟! الأهرام ، ١٧/١٠/١٩٩٩م .

ومما جدير بالذكر أن أحمد زويل قد قال وهو محق أنه لا توجد البنية العلمية المطلوبة إلى الآن ... ومع الأسف أخفق أحمد زويل في تأسيس أحد مراكز التميز التى من شأنها رفع مستوى الأداء الثقافى العلمى بعد اصطدامه بالكثير من العوائق البيروقراطية المستعصية .

وماذا قال فاروق الباز ؟!

فى برنامج «صباح الخير يا مصر» فى شهر سبتمبر ١٩٩٩ ، دار حوار بين العالم المعروف د. فاروق الباز والمذبة وكان يثنى على إنشاء مركز لأبحاث الفضاء فى مصر رغم تأخر ذلك .. وأفاد أن ناسا (وكالة الفضاء الأمريكية) NASA قد أنشئت بهدف أساسى قبل هدف اختراق الفضاء الخارجى والوصول إلى القمر وغيره .. وهو رفع حالة المناخ الثقافى العلمى على اتساع أمريكا وعرضها .. فوجود خلايا للبحث تابعة لها فى الجامعات والمراكز يعنى وجود جماعات تمول أبحاثها وهذا مطلوب لرفع مستوى المناخ العلمى على مستوى الدولة أساساً .. وحينما بادرت المذبة بسؤال استفزازى قائلة لماذا لا تعود ويعود كل علماء مصر فى الخارج بأعدادهم الكبيرة لخدمة الوطن الأم (*) فقال لها .. « أرجوك سيبيهم هناك .. يأخذوا خبرة .. لأن الخبرة هناك لى ولهم كل يوم كل يوم نحصل على خبرة جديدة ونحن نعود للوطن فى أجازات وفى مؤتمرات ومحاضرات لإفادة أهل الوطن بالخبرة التى اكتسبناها ولكننا . لا نزال نكتسب خبرة كل يوم .. » !!

وماذا قال عالمنا الفاضل . أ. د. أحمد مستجير ؟!

يذكر الصحفى عزازى على عزازى فى تحقيقه له^(١)

« .. تبارى الوزراء القدامى جداً والجدد أيضاً فى استخدام الخطاب العلمى المستقبلى سواء فى الوزارات المعنية بالتطور التقنى أو المستفيدة منه .. حتى كاد الأمر يتحول إلى فوضى استهلاكية لشعار العلم والتكنولوجيا .. المسئولون متفائلون كعادتهم ، أما أهل الخبرة والاختصاص من العلماء فهم متشائمون لأنهم يعرفون الفرق بين الشعار والتطبيق .. وذكر عزازى أن أ.د. أحمد مستجير هذا العالم الفاضل الذى يعرفه علماء ومثقفى مصر وهو من علماء الهندسة الوراثية المرموقين .. ذكر أن ميزانية البحث العلمى بحاجة إلى إعادة النظر .

ويذكر عزازى أن شلال العالم الكبير انهمر وأنه لم يقاطعه عندما سأل عن

(*) ورد فى دراسة نشرت فى صحيفة الأهرام أن هناك ٨٤٤ ألف مصرياً من ذوى التخصصات والمهارات المتميزة يخدمون التنمية فى ١٢ دولة فى أمريكا وأوروبا من بينهم ٧٥٤٢ عالماً من العلماء الذين يشكلون قاعدة متقدمة للغاية فى تلك الدول .

(١) تحقيق بجريدة الأسبوع بعنوان «حينما تصبح رؤوس العلماء أهم من أقدام اللاعبين ندخل القرن القادم (حوار مع أ. د. أحمد مستجير) ،

١٩٩٩/١٠/١٨ .

«روشته علاج» لهذا الوضع ... فذكر أهمية تأسيس قاعدة علمية حقيقية وعندما سأله عزازى عن برنامجه المطلبى كأحد علماء مصر الكبار ؟ .. أجاب قائلاً :

- * .. إعادة تنظيم الأكاديمية والبحث العلمى على أسس متكاملة ..
- * .. تهيئة مناخ الثقافة العلمية والبحث وبشكل سريع ..
- * .. الاستثمار فى العلم لأن عائده مئآت الأضعاف عن الاستثمار فى أى شئ آخر ..
- * .. دعم الأستاذ الجامعى ..

التحول من «الأقدام» إلى «الرؤوس» !

أضاف د. أحمد مستجير هذه المقولة إلى قائمة طلباته كعالم يريد أن ينهض بالواقع الثقافى حين قال «هل أدفع للعلماء الكبار كى نحصل منهم على الخبرة كما تفعل الشركات عابرة القوميات لكى يساهموا فى النهضة العلمية ؟ أم أدفع مئآت الملايين من الدولارات على مدربى كرة القدم كما هو الحادث مع كل الأسف .. ؟!

ويضيف قائلاً :

« .. كرهت الكرة ولاعبيها .. وأيقنت أن دخول عصر العلم والتكنولوجيا يلزمه الخروج من عصرة الكرة أو بالأحرى انتقال الاهتمام من الأقدام إلى الرؤوس ... » . وفى مقال متميز عنوانه «رسالة مفتوحة» إلى مفتى الدار المصرية^(١) .. والمنشور بجريدة الوفد فى ٢٨ أكتوبر ١٩٩٩م يسأل /عبد الغفار عودة فضيلة مفتى الديار المصرية عدة أسئلة ليتعرف على رأى الشرع فى أوجه الإهدار المادى والثقافى والقيمى فى واقعنا الثقافى واختلال الأولويات .

هـ- وماذا يقول كل من د. جمال عبد الجواد ود. محمد السعيد إدريس ؟

فى صفحة مركز الدراسات الإستراتيجية بجريدة الأهرام قدم كل من د. جمال عبد الجواد ود. محمد السعيد إدريس (٩٩/١٠/٢٥) مقالاً متميزاً^(٢) حيث أشار كل منهما إلى سمات سلبية واضحة يعانى منها واقعنا الثقافى وهى وطبقاً لمسمياتهم ومفردات مقالتهما :

(١) يتحدث عبد الغفار عودة فى مقالة بعنوان «رسالة مفتوحة إلى مفتى الديار المصرية» بالوفد فى ١٩٩٨/١٠/٢٨م عندما يمكن وأن نسميه «بنازلة الإهدار فى واقعنا الثقافى» .

(٢) راجع مقالين متميزين بصفحة القضايا الاستراتيجية بالأهرام لكل من د. جمال عبد الجواد بعنوان «الوزراء ثم البيروقراطية والسياسة» . ود. محمد السعيد إدريس بعنوان «الشباب وتجديد التحية» فى ١٩٩٩/١٠/٢٥.

- ١- تعدد العوامل السلبية لظاهرة الجذب الثقافى القائمة .
- ٢- ظاهرة تسلط الشخص الواحد «الفالح» فى مجابهة الآخرين ووصفهم بعدم الخبرة وما يتنافى فى ذلك مع روح العمل الجماعى .
- ٣- افتقاد الواقع الثقافى لوجود « ماكينات» لتصنيع وبلورة الأفكار والرؤى حول القضايا الوطنية المطلوب فيها قرارات تتسم بالتفاوض الجماعى وعملية صنع القرار وليس مجرد اتخاذه .
- ٤- تحرك البيروقراطية ووسائل الإعلام لملء هذا الفراغ الموجود وكل من الطائفتين غير مؤهل بالمعنى المطلوب لحقيقة للمثا ، الأمر الذى نتج عنه هيمنة للخطابات المسطحة والتى تعنى بالشكل دون المضمون ناهيك عن شيوع الخطابات المتهافنة^(١) .

ما بين صدمة المستقبل وصدمات «المناخ العلمى فى واقعنا الثقافى» :

مما ذكر نستطيع القول بأن المشروع العربى لاستشراف المستقبل المقترح وبالشكل المحدد آنفاً قد يمثل حلقة من حلقات ضرورة لملء أوجه من الفراغ القائم ومحاولة التغلب على السلبيات المشار إليها .. من خلال تفعيل طاقات القوة البحثية وأهل الخبرة بالمعنى العميق والحقيقى للكلمة وليس بالمعنى المضلل لها ... أى المطلوب من خلالها هذا المشروع دمج الطاقات البحثية مع المجتمع وإعطائها القدر الأكبر من الأهتمام والدعم لصالح الجميع .

يتحدث علماء العالم المتقدم عن الأشكال العديدة لما يسمونه بصدمة المستقبل وهذا التعبير هو فى الواقع من أشهر كتب ثنائى المستقبليات الشهير ألفين وهايدى توفلر "FUTURE SHOCK" فمثل هؤلاء العلماء يندمجون فى البحث والاستغراق فى تصورات وسيناريوهات مستقبلية تخص أوطانهم وتمتد إلى كل بقاع العالم .. وبدلاً من أن نستغرق نحن فى نفس الأمر مع الصعوبات المعروفة القائمة فإننا نعمل تحت عبء كبير وهو عبء أوضاع البحث العلمى وعبء افتقاد القاعدة العلمية الحقيقية وغياب فكر وعبور الجزر المنعزلة من ناحية وموازين القوة الدولية التى يتعين علينا أخذها بعين الاعتبار من ناحية أخرى ...

وهذا يجعل اختبار الله سبحانه وتعالى لنا كبيراً ، فإذا أردنا أن نتمسك إلى الرمح الأخير فى ظل هذه الأعباء الصعبة بصيغة الفاعل أو على الأقل الخروج من حيز «المفعول به» - فإن ما علينا القيام به لا يتمثل فى التعامل مع «صدمة أو صدمات المستقبل» كألفين وهايدى توفلر وغيرهم من العلماء بل أن علينا التعامل كذلك مع أشق صدمات المناخ الثقافى التى يحتاج التعامل معها إلى كل الصبر والجهد

(١). السابق .

والحوار ، والعمل على تأسيس قاعدة عريضة من الأطراف المعنية ومنها صانع القرار والتيارات الفاعلة بشأن العمل على تدشين ما يؤسس ويؤدى إلى الحد الأدنى على الأقل من المناخ العلمى الصحيح والفاعل الذى يمكن علماء الأمة وباحثيها من المشاركة الفعالة مجابهة التحديات ، والتمكين من الحد الأدنى للقيام بواجبهم نحو أمتهم مع التقليل من عوامل الإعاقة الكثيرة القائمة والإهدار غير المبرر والقائم فى واقعنا الثقافى تحت مسميات مختلفة ومعروفة ولقد أفدنا أن من أهمها فجوة الإدارة وحالة الجزر المنعزلة وعدم الاهتمام الكافى بإنشاء قاعدة علمية حقيقية تنبثق من الاهتمام بفرق العلماء من كافة التخصصات لمواجهة أزمت ونوازل راهنة ومستقبلية نحتاج إلى قوة بحثية قابلة للتفعيل والتوظيف لشغل مساحات مهجورة وكبيرة لا نتفاوض بعد لشغلها وملئها بتواجدنا الفعال إلى اليوم ؛ اللهم إلا على مستوى الأداء الفردى فقط والذى يواجه حقيقة الجيوش العلمية وخطوط الآخرين المنتظمة والذين يتحركون بشكل متكامل على الدوام ، ... فما أبشع تلك الغربة حينما يكون موقعنا فى المربع رقم واحد أو سرعان ما نعود إليه كلما خرجنا منه .. فلا يبقى للباحث العربى إلا مشروعه البحثى الفردى الخاص به .. ومهما كان متميزا فيه فهو حتما لا يقى بغرض تحريك أمة عريقة تملك الكثيرة من الباحثين وكثير من الطاقات المبدعة التى إن توحدت وتم تفعيلها بشكل جيد لثم احتواء عشرات الأزمت والنوازل التى يسهل التنبؤ بها وتجنب الكثير من الأوضاع الراهنة التى لا نحسد عليها . وهل سيناريوهات الصدام الحضارى التى انتشرت على مستويات عديدة على الساحة الدولية قبل أحداث سبتمبر ٢٠٠١ وعدم التعامل الإيجابى معها واحتوائها أولا بأول وعلى نفس المستويات التى تتفاعل فيها سيناريوهات الصدام ووجود إمكانيات متاحة على المستوى العربى الإسلامى للتعامل والحركة الإيجابية بدلا من حالة التقوقع والجمود واللا فعل والكف عن «الحوار المنولوجى الداخلى فيما بيننا» .

... وهل كان لهذه السيناريوهات التصادمية التى انطلقت لتوجه رد الفعل الأمريكى أن تكون بنفس القوة والفاعلية لو كنا قد قمنا بواجبنا منذ مدة ؟ بالطبع لا ... لا شك أن عدم التحرك المطلوب قد زاد من حالات الاستعداد وزيادته عن غير حـق وظلم ... واللا فعل ليس كالفعل فى كل الأحوال والله المستعان وهو نعم المعين .

ولعلنا نختم هذا الجزء بمقولة أو شعار رفعتـه هيئة الفضاء الأمريكية ناسا NASA يقول :

“Those Who are out of the Space are out of the Race”

★ «من ليس له مكان فى الفضاء فهو خارج السباق ... الفضاء بعناه الواسع يكون على الأرض وخارجها»

أى «هؤلاء الذين أصبحوا خارج المنافسة فى الفضاء فهم خارج السباق الآن...» ... وليس الفضاء هو ذلك الفضاء الخارجى فقط بل فضاء المساحات المهجورة التى لا نملك اليوم إلا أن نشغلها بالتواجد وبالعلم وبالجهد الكبيرة التى لا يمكن أن تحقق فيها الجهود الخلاقة إلا بأبناء هذا الوطن المعطاء بعون الله وفضله ففيه خير أجناد الأرض المرابطون إلى يوم الدين ...

(٢) تحديات الدور المصرى والنظريات الحاكمة للتفاعلات الدولية وصراعات الألفية الثالثة

(رؤية مستقبلية لحالة السيولة فى النظام الدولى ونظرياته)

فى يناير من ١٩٩٥ وجهت له دعوة من الهيئة العامة لقصور الثقافة بوزارة الثقافة المصرية بالإشتراك مع جامعة المنيا للمساهمة فى فعاليات المؤتمر العاشر لأدباء مصر فى الأقاليم كى أكتب بحثاً عن «الهوية والشرق أوسطية» ... واطرح ما أراه مهماً لمناقشته وسط حشد هائل من المثقفين المصريين ممن شاركوا فى ذلك المؤتمر ... وكان موضوع «الشرق أوسطية» من الموضوعات عالية التردد والذكر فى ذلك الوقت ، فكتبت بحثاً أولياً مستقبلياً بعنوان «الهوية» و«الشرق أوسطية» وصراعات القرن القادم : دراسة من منظور النظريات الحاكمة للحوار الدولى ...^(١) وأجد من المهم إعادة نشره بنص دون إعادة صياغة لأنه وبالرغم من كتابته من قبل الاستشراق المستقبلى منذ ٧ سنوات اليوم إلا أننى أجده لا يزال مناسباً لما يتضمنه من تحليل للنظريات الرئيسة الحاكمة للتفاعلات الدولية منذ التسعينات إلى اليوم بغض النظر عن حجم وقياس مؤشرات التفاعلات فى إطار كل من هذه النظريات ... فبالرغم من أهمية ما كنا نقوله ولا نزال ننادى به من تدشين مجامع الفكر المستقبلى الكبرى القادرة على وضع وقياس مثل هذه المؤشرات وتحليلها من منظورنا ومن خلال منظومات تفاعلية جماعية ، إلا أن التحليل النوعى المبدئى الذى قدمناه ويقدمه آخرون فى واقعنا الثقافى العربى بشكل فردى لا يزال هو ما نملكه ونؤدى ونتجز من خلاله قدر الطاقة ... ولا يزال هو المعبر عما حاولنا استشرافه ونجده لا يزال صالحاً إلى اليوم .. ولا يزال معبراً عما نراه للدور المصرى فى هذه الجزئية^(٢) ، من هنا نعيد نشر هذا البحث فيما يلى :

(١) راجع كتاب ندوة أدباء مصر فى الأقاليم ، قصور الثقافة - وزارة الثقافة المصرية لعام ١٩٩٥ م .

(٢) جاز هذا البحث بما أثاره من مناقشات فى ذلك الوقت على تغطية اعلامية اكدت على أهمية النظرة المستقبلية المتكاملة والتحرك على هداها بعيداً عن الاندهاش والتناحر والاحتقانات التى يعبر عنها المؤتمرات فى كثير من مؤتمرات واقعنا العربى ، على سبيل المثال راجع ما كتبه محمد بغدادى فى مجلة صباح الخير فى ذلك الوقت بعنوان «كارثة» النظر إلى المستقبل بعين واحد» (١٩٩٥/١٢/٢٨) .

نص البحث بعنوان «الهوية» و«الشرق أوسطية» وصراعات القرن القادم :

دراسة من منظور النظريات الحاكمة للحوار الدولي

د. حسن وجيه*

إن المفاهيم الثلاثة المشار إليها أعلاه فى عنوان هذه الدراسة من المفاهيم التى يتم تناولها وتحليلها بين الحين والآخر فى سياقات حوارات عديدة فى واقعنا الثقافى وفى عالمنا المعاصر .. وأحيانا تثار بمعزل عن أحداث بعينها وكثيراً ما تثار فى إطار أحداث جارية .

فموضوع «الهوية» قد ناله الكثير من التحليلات سواء فى المجال الأكاديمية^(١) أو فى المجال الاعلامى^(٢) وكثيراً ما أثير فى حد ذاته أثناء قيام البعض بانارة سؤال يعبر عن تقوقع وانسحاب وتغيب هو : من نحن ؟ وماذا نريد ؟ !!..

أما مفهوم الشرق أوسطية فهو مفهوم له هو الآخر تاريخ طويل وملفات حوار عديدة يمكن رصدتها منذ الأربعينيات إلى يومنا هذا . ولقد أثير المفهوم مؤخراً بشكل مكثف من خلال التفاعلات التى صاحبت انعقاد مؤتمر الدار البيضاء (١٩٩٤) ثم فى إطار مؤتمر عمان أكتوبر ١٩٩٥ وهو موضوع مثار هذه الأيام فى برشلونه وفى إطار مفاوضات المشاركة (الشراكة) العربية الأوروبية (نوفمبر ١٩٩٥) .

أما المفهوم الثالث فهو «صراعات القرن القادم» فهو موضوع فى غاية الأهمية ويشغل فكر واهتمام أكبر مؤسسات ومراكز إدارة الأزمات ومنعها فى عالم اليوم ولقد بدأ اهتمام خاص بهذا المفهوم فى أعقاب حرب الخليج الثانية (١٩٩٠) والتى صاحبها انتشار وذويع مفهوم «النظام العالمى الجديد» ومفهوم «السيولة» التى وصف بها الكثيرون طبيعة ذلك النظام العالمى الجديد الذى يتشكل اليوم من واقع الأحداث المتلاحقة ومحاولات تحريكها فى إطار عالم يصفه البعض بأنه «أحادى القطبية» والبعض الآخر يصفه «بأحادى القطبية المؤقتة» والبعض الآخر يراه على أنه «متعدد القطبية» ويتسم بتنافس تكتلات اقتصادية وسياسية عديدة فى عالمنا المعاصر .

(*) د. حسن وجيه خبير التفاوض والحوار الدولي - جامعة الأزهر ومستشار معهد الأهرام الإقليمى للصحافة .

(١) فى الواقع الأكاديمى نجد عشرات الأبحاث عن الهوية وعلى سبيل المثال لا الحصر انظر إلى المراجع التالية :

* كتاب المراجع الثقافية فى الزمان : أبحاث المؤتمر الخامس للمجموعة الأوروبية العربية للبحوث الاجتماعية - تحرير مراد وهبة ، الناشر مكتبة الأنجلو المصرية عام ١٩٩٢ .

* قضية الهوية فى مصر فى السبعينيات : دراسة فى تحليل بعض نصوص الخطاب السياسى - رسالة ماجستير - أميمة مصطفى ، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية - جامعة القاهرة .

(٢) "Clash of civilization", Foreign Affairs 72:3 (summer 1993) (مجلة الشؤون الخارجية) .

وفى إطار مناقشة هذه المفاهيم يمكننا تقديم اجابات أكثر دقة لسؤال محوري ومركب تعنى هذه الدراسة بمحاولة الإجابة عليه وهو : إذا كان السياق هو الذى يمكننا من فهم الظواهر وأنماط الحوار وتقديم تفسير دقيق لها فإن سياق كل من مفهومى «الهوية» و«الشرق أوسطية» فى إطار هذه الدراسة هو فى الواقع تلك النظريات الحاكمة الحوار والتفاوض الدولى فى النظام العالمى الحالى ومن ثم فإن تحليل مفهومى «الهوية» و«الشرق أوسطية» يختلف بصورة أو بأخرى عندما نطبق نظرية بعينها لنرى المفهومين من خلالها ... وهذا يجعلنا نطرح الشق الأول من السؤال المركب وهو : ما هو التحليل المستمد من كل نظرية من هذه النظريات لمفهومى «الهوية» و«الشرق أوسطية» ؟ أما الشق الثانى فهو : ما هى النظرية التى ستهيمن أكثر فى الحاضر والمستقبل وستكون لها دلائلها الأقوى فى واقع الأحداث وتوجيه مساراتها وكذلك ما هى محددات نظرية تنبع من واقعنا لإدارة الصراع من منطلقاتها ؟

ولعل من الضرورى أن نرصد هذه النظريات الحاكمة (والتي يعنى كاتب السطور برصدها تفصيلاً فى دراسة أخرى) ونعرض للتفسير الذى من الممكن أن نقدمه على ضوءها للمفهومين (الهوية والشرق أوسطية) وهذه النظريات كمايلي :

١- نظرية «صدام الحضارات» :

وهنا لا أقصد فقط نظرية «صموئيل هانتينجتون» مدير معهد أولين للدراسات الاستراتيجية فى جامعة هارفارد المعروفة بل ما أقصده هنا كل هذه النظريات التى ظهرت وتظهر من وقت لآخر وتنبئ على مواجهة الآخر وفكر المؤامرة وإلى ما ذلك . وباختصار فإن نظرية هانتينجتون تقول بأن النظام العالمى السابق كاد يقوم على صراع بين ثلاث قوى رئيسية وهى الولايات المتحدة - الاتحاد السوفيتى - والعالم الثالث ، أما النظام العالمى الجديد فيقوم على صراع بين ثمانى حضارات هى : الحضارة الغربية ، اليابانية ، الكنفوشيوسية ، والهندوكية ، والأميركية اللاتينية والارثوذكسية السلافية والحضارة الإسلامية وهو كذلك يعتقد أيضا أنه يمكن أن تضاف إلى هذه الحضارات الحضارة الأفريقية ، وهو يرى أن الحضارات الثمانى الكبرى تحتزن قوى الصراع المستقبلى .. وعلى هذا الأساس فهو يرى أن حروب المستقبل سوف تجد جهات لها فى نقاط التماس بين الحضارات خاصة بين الإسلام من ناحية وكل حضارة من هذه الحضارات على حدة . ويرصد هانتينجتون الأمثلة للتدليل على ما وصل إليه من استنتاجات .

والنقطة الرئيسية أن هانتينجتون بنظريته هذه قد رشح الإسلام كعدو ليتفق فى

ذلك مع منظرين في الغرب وصفوا الإسلام بأنه «الخطر الأخضر» Green peril كبديل «للخطر الأحمر» الذي تلاشى بانتهاء الاتحاد السوفيتي السابق .

وطبقاً لنظرية هانتيجتون هذه أو أى نظريات أخرى مماثلة فإن تقديم رؤية لمفهومى «الهوية» و«الشرق أوسطية» تقول بالآتى :

(١) أن «الشرق أوسطية» هو مفهوم ثقافى وحضارى من أساسه وأنه يستهدف طمس الهوية العربية الإسلامية واستبدالها بهوية أخرى شرق أوسطية تتسع أساساً لدمج إسرائيل فى المنطقة إلى الحد الذى وصل به لأن ينادى زعماء إسرائيل بالغاء الجامعة العربية وتغيير اسمها بانضمام إسرائيل لها .

(٢) أن لغة غزو المنطقة العربية ومركز العالم الإسلامى تختفى وراء لغة السوق وإذا كان الادعاء هو الرخاء الاقتصادى فإن الهدف من الشرق أوسطية هو تحويل العالم العربى والإسلامى إلى نوع آخر من البشر الذى ينفصل عن انتماءاته ويتبنى ثقافة الاستهلاك والخضوع لقيم الاستهلاك والقيم الغربية الحضارية الأخرى .

(٣) أن «الشرق الأوسط» مصطلح صاغه الاستعمار والقوى المعادية للمنطقة العربية والعالم الإسلامى قديماً ومنذ الأربعينات وي طرحونه اليوم مرة أخرى فى وجود إسرائيل .

٢- نظرية التكتلات الاقتصادية / الإقليمية :

وهذه نظرية مخالفة لنظرية صدام الحضارات إلى حد بعيد فهى تنبنى على أساس أن التكتلات الاقتصادية هى ما يحتاجه عالم اليوم والنمو السكانى وتحديات المستقبل ومشاكل البيئة . وهى نظرية يحاول من يتبناها أن يقفز فوق الاختلافات الثقافية وصراعات الماضى ، والنظر للجانب الانتخابى لفكر العولمة المبنية على الشرعية الدولية لأساس ويشهد العالم بزوغ هذه النظرية فى عالم اليوم من خلال «الاتحاد الأوروبى» ودول «النمور الآسيوية» و«النفاتا» ومفهوما «الهوية» و«الشرق أوسطية» يمكن رؤيتهما هنا على أساس مايلى :

(١) أن الشرق أوسطية هى السبيل أمام دول المنطقة كلها لتحقيق الرخاء الاقتصادى والتنافس فى عالم التكتلات الراهن .

(٢) أن البعض فى إطار فهمه لفكر التكتلات الاقتصادية يؤكد على مبدأ نسبية الهوية ... والبعض الآخر يذهب إلى الحد الذى يقول بأنه «الهوية تعطل التنمية» !

(٣) أن هناك من لا يرى اتناقضاً - فى ظل فكر التكتل الاقتصادى - بين الهوية والشرق أوسطية وهنا نجد كتابين يؤكدان على هذه الفكرة إحداهما للأستاذ

لطفى الخولى «عرب نعم .. وشرق أوسطيون أيضاً» وكتاب الاقتصادى المصرى د. محمود وهبة بعنوان «إسرائيل والعرب والسوق الشرق أوسطية»^(١).

(٤) أنه على الجانب الآخر كتب شيمون بيريز كتابه بعنوان «الشرق الأوسط الجديد» وطرح فيه تصوراً اقتصادياً وأمنياً للمنطقة ويرى من خلاله أن حل مشكلة الصراع العربى الإسرائيلى وديمومة السلام تعتمد على الادماج الاقتصادى لإسرائيل فى النظام الإقليمى الشرق أوسطى وكذا الادماج الأمنى ، بمعنى أن السبب فى الصراعات فى تلك المنطقة هو سبب اقتصادى أساساً يرجع إلى تواضع مستويات النمو الاقتصادى فى المنطقة والضعف الشديد للتبادل التجارى فيما بينها ، وقيام السوق الشرق أوسطية تستطيع إسرائيل التى تمتلك العقول والمشروعات أن تكون رائدة للتنمية الاقتصادية فى المنطقة ، وبالتعاون بين العرب وإسرائيل تجارياً واقتصادياً وعلمياً يمكن النهوض بمستوى المعيشة فى المنطقة ونزع أسباب النزاع الاقتصادى وبالتالى تحقيق ديمومة للسلام .

ولكن وبطبيعة الحال فإن الترجمة والتفسير الآخر لكتاب شيمون بيريز هذا هو أن يكون محصلة مشروعه «الشرق أوسطى» هذا هو الخضوع الاقتصادى والأمنى لإسرائيل وتحقيق نوع من العلاقات غير المتكافئة اقتصادياً وأمنياً وإغلاق أى مسار للقوة والنهضة عربياً بحيث يكون اختلال القوى الشديد مدخلاً إلى «السلام الشامل» على الطريقة الإسرائيلية .

(٣) نظرية التبعية الاقتصادية :

وهذه النظرية يتمخض عنها هى الأخرى نظريات أخرى تحت مسميات مختلفة ولكنها تجمع على اعتبار الغرب الأوروبى / الأمريكى مركزاً لتجميع فائض القيمة الاقتصادية العالمى على حساب دول الهامش ومنها دول «العالم الثالث» ولعل من أهم المنظرين لها الباحث العربى سمير أمين .

وهذه النظرية هى الأخرى تندرج تحتها مسميات حديثة أخرى^(٢) ولعل من

(١) إسرائيل والعرب والسوق الشرق أوسطية ، د. محمود وهبة الناشر المكتبة الأكاديمية - القاهرة ، ١٩٩٤ ، راجع أيضاً كتاب أ. لطفى الخولى بعنوان عرب نعم وشرق أوسطيون أيضاً .

(٢) بخصوص مزيد من المسميات والتفصيلات التى يمكن إدراجها تحت عنوان «نظرية التبعية الاقتصادية» راجع مقال أ. عاطف الغمري ٩٥/٧/٢٦ والذي يرصد فيه دراسات هامة حديثة فى هذه الصدد ومنها دراسة بعنوان «الأصولية الاقتصادية» نشرها المعهد الملكى للشئون الدولية ببريطانيا ويذهب من خلالها إلى القول بأن هناك تماثلاً بين حركة البيئة المعاصرة فى الغرب والحركات الأصولية المعاصرة (غير اقتصادية) وأن هناك محاولة من جانب الأصولية الاقتصادية (المثلة فى حركة البيئة) لغرض ضوابط وقيود على عمليات النهوض الاقتصادية فى الدول غير الغربية تحت اسم حماية البيئة ويقارن أ. عاطف الغمري بين «الأصولية الاقتصادية» ونظرية صدام الحضارات فيقول إن النظريتين تجمعان العدو المسلم مجرد رمز لحشد الطاقات لمواجهة والاضافة الحقيقية للأصولية الاقتصادية هى إنها قد جعلت خط المواجهة مع العدو المسلم والمسيحية الشرقية معاً فى نفس الخندق .

الأمثلة الواضحة ذات الدلالة في عالم اليوم مفاوضات «الجات» بداية بدورة أوروحوای للاتفاقية العامة للتجارة والتعريف الجمركية والتي بدأت في الثمانينات وقبل حدوث التغيرات الهائلة في بنية النظام العالمي اليوم ... ومن المعروف أن صراعات هذه المفاوضات تتركز حول تشريع إطلاق حرية اقتحام الاقتصاديات المتقدمة للأسواق غير المتكافئة ، ليس فقط في مجال السلع الزراعية والصناعية ولكن أيضاً ولأول مرة في مجال الخدمات على كافة أنواعها بما يغطي كل عناصر الاقتصاد القومي ، كما أنها تهدف إلى تقنين التبعية التكنولوجية عن طريق تكريس ما يسمى بحقوق الملكية الفكرية ليس فقط في مجال الصناعة والخدمات ولكن أيضاً في مجالات الزراعة والصحة والمعلومات والاتصال . إلا أن هناك هوامش يمكن الخوض فيها وتوسيعها من خلل إرادة الفعل التفاوضي النضالي من قبل الدول العربية وهما دول الجنوب إذا حدث التلاقى على أجندات مشتركة ولهذا سياق تفصيلي آخر» .

ولعل مفاوضات المشاركة العربية الأوروبية الراهنة تشهد نفس ذات الصراع بشكل أو بآخر حيث يخشى الجانب العربي أن يكون الهدف هو تحقيق الهيمنة التامة رغم كل الحجج الأخرى التي تقول بعكس الصراع بل التعاون من أجل الأخذ بالاقتصاديات النامية ورفع مستواها على الأقل كي تكون دولها منتعشة نسبياً حتى تتمكن من إقامة أسواق من المستهلكين لمنتجات الدول المتقدمة .. أي أن الهيمنة لن تكون صفرية كما يرى البعض الآخر المتخوف ... والموضوع بحاجة إلى تفاصيل أخرى .

وإذا أردنا أن نرى تفسيراً لمفهوم الشرق الأوسطية والهوية لذكرنا المبدأ المعروف وهو أن الهيمنة الاقتصادية تؤدي إلى الهيمنة الثقافية ومن هنا فإن مفهوم الهوية سيكون مفهوم متراجع ونسبي ... أما بالنسبة للشرق أوسطية فإن هيمنة إسرائيل إذا حدث ذلك فهي جزء من النظرية ... فهي بشكل أو بآخر ... جزء من الغرب ... جزء من مركز العالم لتجميع فائض القيمة على حساب دول العالم العربي والإسلامي بطبيعة الحال^(١) .

(١) لمزيد من التفاصيل بخصوص إبعاد مفاوضات الشراكة العربية الأوروبية وخاصة البعد الثقافي راجع أبحاث مؤتمر منظمة الأمن والتعاون الأوروبي والتي عقدت دولها الـ ٣٥ مؤتمراً هاماً في القاهرة في الفترة من ٢٧ - ٣٠ سبتمبر ١٩٩٥ وبخصوص البعد الثقافي راجع البحث التالي الذي قدمه كاتب السطور وهو بعنوان :

'Conscious and unconscious linguistics

As A new Dimensions In Confidence - Building Measures: The Case of The Euro- Arab (MED) Dialogue".

(٤) نظرية الكنتونات والكيانات الصغيرة (البلقنة) :

وهذه النظرية تندرج فى إطارها مسميات ونظريات عديدة ومنها نظرية «البلقنة» و«العثمنة» .. أى وجود مركز قوى وحوله كيانات يتم تفتيتها ولقد تحدث الكثيرون عن هذه النظرية ولكن ما يعنينا فى منطقتنا ما ذكره المفكر العالمى «نوام تشومسكى» فى كتابه الهام «المثلث المحتوم» حيث ذكر أن هدف إسرائيل هو ما يمكن تسميته بعثمنة «المنطقة العربية» (otomanization) والمقصود هو الرجوع إلى نظام الامبراطورية العثمانية بشكل آخر ... أى إيجاد مركز قوى يهيمن على المنطقة بعد اضعافها وتقسيمها إلى أجزاء وجماعات دينية وعصبية ومن المفضل أن تكون هذه الجماعات فى حالة عداا مستمر لبعضها البعض ليسهل على مركز القوة (إسرائيل الآن) مباشرة السيطرة التامة عليها^(١).

ويتسق مع نظرية نظرية الكيانات الصغيرة والكنتونات ما نجده من تردد كبير لتطبيق مفهوم «الفيدرالية» فى المنطقة العربية كأحد المفاهيم التى تصاحب الترويج لذكر «الشرق أوسطية» .. حيث المطروح بقوة الآن هو قيام كونفدرالية بين الأردن وسلطة الحكم الذاتى الفلسطينى تعقبها كونفدرالية أوسع نطاقاً بين الأردن والسلطة الفلسطينية وإسرائيل لتكون هذه الكونفدرالية هى محور التحرك الشرق أوسطى الجديد .

فكر البلقنة والشرق أوسطية :

فى حين تقتنع إسرائيل بل وتعمل على إنشاء المحور الرئيسى للشرق أوسطية من خلال الكونفدرالية المشار إليها اعلاه فإن هذا يعكس بطبيعة الحال فكر التكتل فى إطار هذا المحور ولكنه تكتل تسيطر عليه إسرائيل من خلال إدارة الاختلافات بين الأردن وسلطة الحكم الذاتى بالحد الذى يوجد مساحة للكونفدرالية ومساحة أخرى لتحجيم كل منهما الآخر ... وفى مقابل هذا المحور الذى يمثل فى النهاية كتلة كبيرة هناك سعى حثيث لزرع فكر البلقنة والكنتونات والكيانات الصغيرة فى الوطن العربى وبداية هذا التطبيق لذلك الفكر هو ما هو مطروح فى كل من السودان والعراق ، ففي السودان هناك من يروج إلى تحقيق الفصل بين الجنوب والشمال فى دولتين وفى العراق مقترح أن تكون عراق ما بعد صدام هى ثلاثة دول واحدة للأكرد

(١) راجع كتاب نوام تشومسكى التالى :

The fateful Triangle, Noam Chomsky, south End press, MA 1983.

وراجع كذلك بخصوص تفصيلات موضوع «البلقنة» «العثمنة» مقال كتاب السطور التالى :

«مستقبل الصراع العربى الإسرائيلى - حسن وجيه - المجلة العربية للدراسات الدولية شتاء ١٩٨٨ - واشنطن .

فى الشمال وثانية للشيعة فى الجنوب وثالثة للسنة فى الوسط ... لتتجمع فى كونفدرالية عراقية .

وفى مصر ، ومن خلال ما أثير فى ملف ما عرف بملف الأقليات هناك من يريد لها ثلاث دول ؛ مسلمة ، ومسيحية ؛ ونوبية ، تجمعها كونفدرالية ... ناهيك عن لبنان وسوريا والجزائر والمغرب ...

البلقنة والشرق اوسطية والإرهاب :

فى إطار الحديث عن نظرية الكيانات الصغيرة أورد أ. محمد سيد أحمد فى مقال له بعنوان «حروب القرن الحادى والعشرين» الإهرام ٩٥/٤/٢٧ نقلا عن مجلة نيوزويك ٩٥/٤/١٧ حوار مع مؤرخ إسرائيلى يدعى مارتن فان كريفيلد عن حروب القرن القادم فقال إنها حروب يتم خوضها الآن كما نشاهد فى البوسنة والصومال وانجولا وكردستان ولبنان وسريلانكا ... إنها حروب لا تمارس بين «دول» وإنما تزاولها نوعية أخرى من «الكيانات» وهناك ما يقرب من ثلاثين حرباً من هذا النوع وذكر هذا المؤرخ أن الحروب القادمة لن تمارس بالجيش النظامية ولن تستعين بالأسلحة شديدة التقدم ... وإن الذى يحل محل «الدولة ذات السيادة» هو كيانات فوق القومية مثل الأمم المتحدة والاتحاد الأوروبى والنافتا ... وغيرها . وفى المقابل مئات والمئات من الكيانات دون القومية ... وقد لا تحمل الكيانات فوق القومية صفة أن الناس تولى لها الولاء ... وإن ولاء أغلب الناس يذهب إلى كيانات دون القومية .. وقد يكون لهيئات اقتصادية أو لقبائل أو لعصبيات وبذلك أصبحت «الدولة» معرضة لضغوط من أعلى ومن أدنى ... ولعلنا نرى هنا أن من الكيانات دون القومية اليوم وولاء البعض لها ينعكس فى جماعات الإرهاب المنتشرة فى عالم اليوم ...

ولعل من سيناريوهات الراهن فى المنطقة العربية هى سيناريو التفتت بالإرهاب .. فلقد دأبت إسرائيل وقوى أخرى على تمويل وزراعة وتنمية عناصر الإرهاب - ولو أنها انكوت بناره مؤخراً بقتل رابين إلا أنه يبقى وسيلة لشرق أوسطية محتملة على أساس البلقنة . ولعل نبأ واحداً كان له دلالة كبيرة نشر فى جريدة الحياة وعلى صدر الصفحة الأولى بتاريخ ٩٥/١١/٢٢ يذكر أسماء بعينها من قيادات الإرهاب الهاربة خارج مصر تصرح جهاراً ونهاراً من سويسرا بأنها المسئولة عن الحادث الأخير بنسف السفارة المصرية بإسلام اباد بباكستان ... كنوع من «الجهاد» حتى يتم تحقيق انشاء «الدولة الإسلامية» فى مصر !! وكتأديب لباكستان لتعاونها مع مصر وتسليمها إرهابية بها لمصر ... إن دلالة هذا النبأ الذى تصدره أسماء إرهابية بعينها ما كان ليحدث لو لم تكن هذه الأسماء (الكوادر) فى ظل رعاية وحماية وتدعيم فوقى من قوى كبيرة فى العالم تجعل للمواجهة الحاسمة جداً حسابات كبيرة ومركبة .

الخلاصة :

لقد حاولنا من خلال هذه الدراسة أن نقدم تفسيراً لكل من مفهوم «الهوية» و«الشرق أوسطية» من خلال معطيات النظريات الرئيسية الحاكمة للحوار والتفاوض الدولي في إطار هذا النظام العالمي الجديد .. وهى نظرية صدام الحضارات والنظريات المماثلة والتي تزكى صراع الهوية فى عالم اليوم ... ولكن هذه النظرية لا تعبر عن توجه الغرب كله ... فلقد أكدت على أن الإسلام هو الخطر الأخضر القادم للعالم (Green peril) ولا بد من مواجهته ولكن جاءت ومن ذات الغرب النظريات المفندة والمهاجمة لها وجاء من يقول «أى خطر أخضر تحدثون عنه ؟!» (What Green peril) ⁽¹⁾ ... وعلى العموم ، فإن الشرق أوسطية فى إطار مثل نظريات صدام الحضارات سوف تكون مجرد اسم لصراع الهوية والحضارة ... أما نظرية التكتلات الاقتصادية فهى التى تحمل فى منطلقاتها انطلاق الشرق الأوسط إلى آفاق اقتصادية جديدة وفى إطارها تتراجع قيمة الهوية لتصبح نسبية وحجج أنصار هذه النظرية تقول بأن تجربة الاتحاد الأوروبى لخير دليل على ذلك حيث أن الجروح والمضى الصراعى بين دول أوروبا قد تم عبوره لصالح لا يمكن التفريط فيها بغية النمو والرخاء الأوروبى والإنسانى وكذلك ذهبت وقائع ندوة اقامها مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية فى الأهرام عن «السوق الشرق اسبوية» حيث ذهبت تحليلات المحور الثقافى إلى أن دول النمر فى اسيا ليست نسيجاً متطابق هى الأخرى وقد تم عبور فجوات من الماضى لصالح المستقبل كذلك عبرت تحليلات عديدة فى إطار هذه النظرية إلى أن فكر التكتلات الاقتصادية فكر يعتمد عن المباداة الصفرية وهو فكر اسوء حالانه يتطلب فتح أسواق وهذا يعنى أن يكون أهل أوطان أى سوق منتعش لدرجة أن يكون مستهلكاً لأنماط وأشكال من حياة الرفاهية والتكنولوجيا الحديثة .. أما نظرية التبعية الاقتصادية فهى تفترض أن التكتلات الاقتصادية هى شىء وهمى فيما يتعلق «بالشرق أوسطية» حيث أنها غطاء لكى تسيطر إسرائيل على المنطقة العربية ومركز العالم الإسلامى ولقد تعرضنا للفكر الإسرائيلى فى هذا الصدد من خلال كتاب شيمون بيريز الشرق الأوسط الجديد والذى أعقبه بتصريح له رداً على مقولة الهيمنة الاقتصادية الإسرائيلية على العرب بأن السوق الشرق أوسطى هو لضمان استمرار السلام .. أما إسرائيل فإنها لا تريد الهيمنة الاقتصادية وإن النسبة الأكبر من تعاملاتها إنما تتم مع الغرب فى أوروبا وغيرها من بلدان العالم الذى أراد به أن يهدىء من نيران حرب الهوية القائمة ... كذلك فإن من بين الكتب العربية التى حاولت إدارة الصراع لصالح ميزة التكتلات كتابى أ. لطفى الخولى «عرب نعم وشرق

(1) "what Green Peril", by leon T. Hadar Foreign Affairs, Spring 1993.

أوسطية أيضاً» وكتاب الاقتصادى المصرى د. محمود وهبة بعنوان «إسرائيل والعرب والسوق الشرق أوسطيون» ووجهة نظرهما تتفق مع مقولة للأستاذ محمد حسنين هيكل فى مقاله بعنوان «العرب على أعتاب القرن الـ ٢١»^(١) حيث يقول فى معرض حديثه عن مشكلات الواقع العربى والتناقض المفتعل بين الوطنية والقومى «... كأن كل واحد منا لا يملك غير هوية واحدة تستبعد إلى حد الالغاء كل شخصية سواها ، والغريب أن الأوروبى يستطيع أن يكون فرنسيا مثلا ، وأن يكون أوروبيا وأن يكون غربيا ، وأن يكون مسيحيا ، كلا فى الوقت نفسه . وأما نحن فمكتوب علينا أن نكون بعداً واحداً فقط ، فإذا تعددت الأبعاد حل الشرك» (ص ٢٠) .

أما تحليل مفهومي «الهوية» و«الشرق أوسطية» فى إطار نظرية «التبعية الاقتصادية» فإنها توصلنا إلى أن مفهوم ولغة الشرق أوسطية ومصطلحاتها إنما هى غطاء لتكريس التبعية وإغلاق أى مسار لأحداث نهضة حقيقية فى وطننا العربى وعالمنا الإسلامى لأحداث نهضة حقيقة فى وطننا العربى وعالمنا الإسلامى . وهنا فإن هويتنا مستهدفة .

أما التحليل فى إطار النظرية الرابعة وهى «الكائنات والكيانات الصغيرة أو البلقنة» . فهى تقدم تفسيراً لا يخالف تفسير النظرية السابقة ونظرية صدام الحضارات من حيث أن «الشرق أوسطية» معناها انشاء محور قوى تسيطر عليه إسرائيل وتستوعب فى حركة توجيهه كل من الأردن وسلطة الحكم الذاتى الفلسطينى لتفتت بقية العالم العربى إلى كيانات صغيرة تسيطر عليها إسرائيل كمركز «البلقنة» أو «العثمنة» .

نحو نظرية حاكمية من واقعنا :

إن ما نخلص إليه فى إطار تحليل مفهومي «الهوية» و«الشرق أوسطية» بعد عرض التفسيرات الخاصة بهما من خلال أهم النظريات الحاكمة للحوار الدولى الراهن هو أن هناك من القوى العديدة فى العالم التى تدفع وتجسد نظرية بعينها بتحقيق أجندتها ولصياغة شكل هذا النظام العالمى الجديد الذى يأخذ فى التشكيل .. وأن علينا بالتالى أن نكون على يقظة ووعى تام بمعطيات هذه النظريات ورصد آليات تنفيذها وعلينا فى نفس الوقت أن نكون نظريتنا الخاصة بنا التى تستمد أطرافها من واقعنا الثقافى ومصادر هويتنا العربية والإسلامية التى هى بمثابة أجندة تفاوضية

(١) مقال للأستاذ محمد حسنين هيكل بمجلة المستقبل بعنوان «العرب على أعتاب القرن الـ ٢١» اصدار مركز دراسات الوحدة العربية ، ديسمبر و ١٩٩٤ (ص ٢٠) .

فى حد ذاتها ينبغى وأن نحققها لصالح هذه الهوية ولصالح تقدم أبنائها وعزتهم وانتصارهم ودحر وإحباط كل ما ينال منا . ولعل أسس نظريتنا التى ينبغى وأن تكون نصب أعيننا تتلخص فى النقاط التالية :

(١) أن التفاعل الإيجابى وعدم نفى الآخر وتحقيق السلام فى عالمنا هو أساس لابد وأن نقره لكن فليكن النظام العربى والسوق العربية المشتركة هى البديل الممكن لهيئة الشرق أوسطية بأشكالها السلبية وغموض بعض جوانبها الراهن .

(٢) إن استمرار التصدى لإحباط كل ما ينال من الهوية العربية الإسلامية هو السبيل للمواجهة الإيجابية كشرط أساسى لاستمرار حياة الجذور والحفاظة على الجذوة مشتتة حتى تحت الرماد وهكذا وفى ظل خلل كبير فى ميزان القوى وفى حالة تردى غير مسبوق نعانى منه فى عالمنا العربى الإسلامى فإن المواجهة قد لا تعنى الانتصار ولكنها تعنى المقاومة الإيجابية والحفاظة على الجذور حية ... أما خضوعنا واستسلامنا لما يتعارض مع هويتنا وأجندتنا إنما يعنى الضياع إلى الأبد .

(٣) أن المحلل الموضوعى لا يخفق فى رصد مقولات تؤكد على فرض سلام القوة والهيمنة وأحدث هذه المقولات ما ورد فى تصريحات يوم كتابة هذه السطور ٩٥/١١/٢٥ على لسان وزير خارجية إسرائيل الذى هدد باستخدام القوة العسكرية ضد أى دولة عربية ترفض الأوضاع الاستراتيجية التى حددتها إسرائيل بخصوص الضفة الغربية والجولان والقدس الموحدة (!!)

(٤) علينا التمسك بمفاهيم نظرية الدورة التاريخية . بالمعنى الإيجابى وهى عكس ما يروجه البعض بأن التاريخ لا يعيد نفسه ، وهذا لا يعنى التواكل وأن الحضارات المنافسة ستنتهى من تلقاء ذاتها أو من خلال كوارث تلحق بها ، ولكن علينا أن نأخذ من مصادر تاريخنا الإلهام والاصرار والأخذ بالأسباب لرد الاعتبار وتكرار أمجاد من الماضى فالتمسك بمصادر هذا التاريخ الطويل هو المدد الذى نملكه لاعادة هياكل التفاوض فى كثير مما نواجهه اليوم (لمزيد من التفاصيل راجع كتاب ابحاث ندوة القدس : ماضيها وحاضرها الصادر عن جامعة الأزهر)^(١) .

(٥) أن ثبات مصر واستمرارها فى المواجهة بعقلانية على أصعدة السلام العالمى واحتواء اساءة استخدامه من القوى الأخرى الساعية للهيمنة وعلى صعيد احتواء الإرهاب وحالة التفكك فى العالم العربى والإسلامى هى رهن باستمرار المواجهة الإيجابية لتحقيق نهضة عربية فهى حجر الأساس ورأس الحرب لأمتها العربية والإسلامية والله ولى التوفيق . [انتهى هذا البحث المستقبلى كما كُتب

فى عام ١٩٩٥]

(١) راجع بحث بعنوان «القدس وإعادة هياكل التفاوض» : «دراسة من منظور النظريات الحاكمة للتفاوض الدولى ، د. حسن محمد وجيه ، كتاب «أبحاث ندوة القدس : ماضيها ومستقبلها» ، جامعة الأزهر مركز صالح كامل للاقتصاد الإسلامى ، ١٨ جمادى الآخرة ١٤١٦ هـ - ١٢ نوفمبر ١٩٩٥ م .

٣ - تحديات الدور المصرى بين مستقبل الصراع العربى الإسرائيلى وسيناريوهات الإسلام والغرب : ما بين التنبؤ المستقبلى و«النبوءات الدينية القادمة من الغرب»!

موضوع تحليل الصراع العربى الإسرائيلى وتشوف الحركة المسارية التلقائية أو التفعيلية له تفرض محددات ومنطقات وتحديات خاصة للدور المصرى ... ومن أهمها مع السعى فى إتجاهات متعددة من أجل تحقيق السلام والاستقرار اللازمين للنهضة والتنمية بعد أن دفعت مصر ضريبة الدم وحققت النصر فى حرب أكتوبر رمضان ١٩٧٣ ، أن تقوم مصر وبشكل مستمر وديناميكى ومحورى بإحباط أى سيناريوهات لتفعيل «نظام الحرب» التى تسعى أطراف بعينها لإرجاع المنطقة فيها وبشكل خطير ... ومن أهم السيناريوهات التى يتعين على دبلوماسية الدور المصرى ، سواء على الصعيد الرسمى أو غير الرسمى هو السعى الواضح والفعال لفك الاشتباكات الخاطئة والمفتعلة خاصة فى ظل ما عرف «بنظام الحرب الجديدة ضد الإرهاب» التى تخوضها الولايات المتحدة بعد أحداث سبتمبر ٢٠٠١ بين محاولات «تحميل سيناريوهات الصراع العربى الإسرائيلى على سيناريوهات «صدام الحضارات تارة - والأخطر - ويتمثل فى محاولات تحميلها على «النبوءات الدينية القادمة من الغرب وتدعمها أفكار الأساطير التوراتية الإسرائيلية ... وهو الأمر الذى قمت برصده من أجل الاحتواء الفعال من جانبنا وكان هذا فى بحث يرصد هذا البعد تحديداً من خلال قراءة تحليلية لهذه الخاصية وحجمها فى تفاعلات الصراع العربى الإسرائيلى عام ١٩٨٨ أى منذ ١٤ عاماً^(١) ... وكان حرباً أن نقوم برصد حجم هذه الخاصية من التفاعلات Trend Analysis ... والتعامل الاحتوائى معها قبل أن تستفحل وتستشرى على الساحة الغربية بالشكل الذى نراه وأكثر .. خاصة وأن محاولات تفعيل عناصر هذه النبوءات « تتناقض مع عملية التنبؤ المستقبلى الذى يخدم صنع الاستقرار والسلام العادل للجميع والمبنى على التدخل العلمى التفاوضى المنضبط ... ولقد عدت لرصد هذه الخاصية فى بحثين احدهما عام ١٩٩٩ والآخر فى^(٢) عام ٢٠٠٢ فى إطار تحليل تفاعلات سيناريوهات الإسلام والغرب التى تحتاج إلى إدارة إيجابية من جانبنا وهو ما قدمت له تفصيلات فى ذلك البحث^(٣) لقد كانت

(١) كاتب السطور ، مستقبل الصراع العربى الإسرائيلى ، المجلة العربية للدراسات الدولية ، واشنطن ، أكتوبر ١٩٨٩ .

(٢) كاتب السطور ، سيناريوهات الحرب والسلام - دار المعراج الدولية للنشر - الرياض ١٩٩٩ .

(٣) كاتب السطور ، حروب الهوية ومستقبل التفاوض مع الغرب ، الأكاديمية ، القاهرة ، ٢٠٠٢ .

(٤) كاتب السطور ، .. التطرف القادم من الغرب وكيف نواجهه ؟! (الأهرام ١٩/٢/١٩٩٢) .

استراتيجيات المفاوض المصري إبعاد البعد الخاص بالنبوءات والأساطير التوراتية عن مجرى عمليات التفاوض التي جرت بين مصر وإسرائيل... ولقد افاد دكتور مصطفى خليل في مقال حديث له نشر بالأهرام بذلك حين ذكر :

«ومما تجدر الإشارة إليه أن الجانب الإسرائيلي في التفاوض كان يركز دائماً بشكل مبالغ فيه عن موضوع الأمن كما كان يخلط بين المعتقدات الدينية والتوراتية اليهودية وبين الأمور السياسية وهو الأمر الذي كان لا يقبله الجانب المصري الذي كان يرى عدم مناقشة لأمر الدين في التفاوض والتمسك بما جاء في اتفاقية كامب ديفيد من مبادئ والتي لا تحتوى على ذكر أى نص خاص بالحقوق التي تدعيها إسرائيل....»^(١).

.... إذا كان ما سبق يوضح التزام الجانب المصري بفعل التفاوض وفصله عن تفاعلات وتفعيل النبوءات أو الأساطير التوراتية ، فإن تفاعلات دبلوماسية المسار الثاني التي يتم فيها القدر الأكبر من عمليات التفاوض ، خاصة فيما يتعلق بعمليات التفاوض الإعلامي والإدارة بالسيناريو لترسيخ قناعات بعينها ورفض أخرى فإن دبلوماسية المسار الثاني هذه بحاجة ماسة إلى التفاعل مع هذا البعد من أجل احتوائه وعمليات تفعيله التي ستطال الجميع لتعود بالبشرية لحروب تستغل فيها الأديان بدلاً من أن تستخدم إيجابياً لصالح النماء والاستقرار والتعايش الإيجابي ... وهذا البعد سيتم التعامل معه بقدر من التفصيل في بحث تفصيلي آخر لكاتب السطور ... لأن هذا البعد إذا ترك دون سيطرة على شيعه وإفشائه وترسيخ قناعاته فإنه ليمثل أكبر التحديات ونقل الصراع من حالة محاولات السيطرة العلمية التفاوضية والمستقبلية من حالة الإدارة الممكنة إلى حالة الصدام المستعصى وتفعيل سيناريوهات نهاية العالم من قبل كافة معتنقي الأديان في شكل يأخذ شكل العدوى ...

★ الفرق الكبير في أدبيات النبوءات بين التطرف الغربي والواقع

العربي الإسلامي!

١- ماذا عن أهم أدبيات النبوءات القادمة من الواقع الغربي ؟ لقد تعرضت لهذا الموضوع منذ ١٤ سنة الآن عندما كنت أدرس بجامعة جورجتاون في الولايات المتحدة حين كتبت مقالاً عن مستقبل الصراع العربي الإسرائيلي في عام ١٩٨٨^(٢) ... واستعيد منه الأجزاء التالية لرسم خريطة أكثر تكاملاً لذكر النبوءات بين الغرب والعالم العربي الإسلامي فيمايلي :

(١) خليل ، مصطفى مقال بعنوان «وقائع ما قبل وما بعد مبادرة السلام للرئيس السادات» الأهرام ، ٢٠٠٢/١٢/١٨ م .

(٢) كاتب السطور ، «مستقبل الصراع العربي الإسرائيلي ، مرجع سابق ص ٩٣ ، ص ٩٥ .

أ - المتطرفون ممن تم تسميتهم في أدبيات الغرب «بالمسيحيين الصهاينة» ومحاولتهم لتصعيد البعد الديني ودفع العالم «لحروب دينية» !! وكتاب جريس هيلسل النبوءة والسياسة :

من الجدير بالذكر هنا أن أول من تصدى «لنبوءات تفعيل التدمير وشن الحروب المتخلفة كان من كتاب غربيين شرفاء يحاربون هذا الفكر من أمثال جريس هيلسل وجودمان وكثيرون غيرهما ...

«إن ما ورد بأحد الكتب التي تم عرضها بهذه الدراسة (هيلسل / ١٩٨٦) يوضح المدى المتصاعد الذي بدأ يأخذه البعد الديني للصراع العربي الإسرائيلي وهذا البعد يحتاج إلى دراسة دقيقة ومطولة للتعرض بدقة لحيثيات واتجاهات هذا البعد ولكن ما سوف أحاوله هنا هو اعطاء صورة موجزة لعناصر هذا البعد المتصاعد للصراع والإشارة إلى العلاقة التبادلية والممارسات المشتركة بين إسرائيل وبعض الجماعات المسيحية المتصهينة والنشطة سياسياً وذات التأثير على صعيد المسرح السياسي الأمريكي . فهذه الجمعيات تشجع سياسات إسرائيل أياً كانت لأنهم «شعب الله المختار» وخطورة هذا الأمر هو قيام هذه الجماعات بالتعاون مع المكتب الديني بالسفارة الإسرائيلية في واشنطن على وضع السياسات العامة والخاص بكل التفاصيل وتنفيذها وتغلغل هذا الخط بين أوساط الإدارة الأمريكية . كذلك سوف اشير إلى ما يمكن القيام به تجاه هذا الأمر من قبل المسلمين بصفتهم الهدف من هذا التحرك الصهيوني المسيحي واليهودي .

توضيح الرؤيا اليهودية الغالبة والمسيحية الصهيونية :

إن رؤية هذا المحور للصراع ينطبق عليه وصف «الفساد في الأرض» الذي ذكر في آيات القرآن الكريم فهذه الرؤية تقول بأن على إسرائيل أن تقوم ببناء المعهد اليهودي في مكان المسجد الأقصى بعد هدمه ولقد شاهد العالم أولى هذه المحاولات عندما حرق الأقصى في ٢١ أغسطس ١٩٦٩ وثانيها عندما قامت مجموعة من الإرهابيين اليهود في يناير ١٩٨٤ بزرع القنابل بالقرب من مسجد الصخرة والمسجد الأقصى وتم اكتشافها قبل تفجيرها وآخر هذه الحوادث وله دلالة فيما يتعلق بهذا الأمر كان يوم ١١ أكتوبر ١٩٨٧ حينما اشتبك خمسمائة من العرب الفلسطينيين مع مجموعة من اليهود المعروفين بنذائهم بهدم المسجدين وإقامة معبد سليمان عند ذهابهم إلى مكان الجامعين للصلاة اليهودية هناك وتدخل البوليس الإسرائيلي وقال أحد اليهود المعنين في هذا الحادث «إننى فخور اليوم بأن البوليس الإسرائيلي قد أكد اليوم السيادة الإسرائيلية على منطقة المعبد ...» (واشنطن بوست ١٢ أكتوبر ص ٨) .

إن «المسيحيين الصهيانة» كما ورد في كتاب جريس هليسيل السياسة والنبوة (١٩٨٦)^(١) يؤيدون فكرة هدم الأقصى وبناء المعبد اليهودى مكانه ويؤيدون كذلك كل ممارسات إسرائيل من منطلق انهم شعب الله المختار الذى منحه الله الأرض المقدسة . وبما أن اليهود هم شعب الله المختار فإن الله سيبارك كل من يبارك اليهود ويلعن من يلعنهم . وبالتالي فإنهم يؤيدون كافة ممارسات إسرائيل الإرهابية والدنوية ويشجعون إسرائيل على احتلال المنطقة من النيل إلى الفرات وهذا يعنى (احتلال خمس دول عربية على الأقل) وكذلك يؤيدون ممارسات الولايات المتحدة العنيفة حتى يودى ذلك إلى قيام الحرب النووية وهنا ، وطبقاً لهؤلاء يعود السيد المسيح عليه السلام إلى الأرض ثانية وينجو من هذا الفناء هؤلاء «الأيفنجيليون» ويصعدوا وحدهم دون غيرهم إلى السماء من الناصرة فى فلسطين . إن خطورة هذا الأمر هو إيمان أربعين مليون من هؤلاء المسيحيين الصهيانة . وبعضهم من مواقع حساسة فى الإدارة الأمريكية ومما هو جدير بالذكر أن الرئيس الأمريكى رونالد ريجان قد صرح بإيمانه الشخصى بهذا الأمر أيضاً وقد أدلى بذلك فى حديث عام ١٩٧١ [هالسيل ص ١] كذلك أن على رأس هؤلاء المسيحيين الصهيانة عدد كبير من الوعاظ المشهورين أمثال بات روبرتسون ، جيمى سواجرت ، جيرى فالويل ، جيم بيكر ، وركس هامبرد . والذين يستمع إليهم ملايين الأمريكيين . ولقد أنشأ هؤلاء المسيحيين الصهيانة ما أسموه «بمؤسسة «بناء المعبد» ولها فروع متعددة فى الولايات المتحدة وإسرائيل . والهدف من ذلك هو إن يرضى اليهود الله حسب روايتهم . أن لهؤلاء المسيحيون أموال طائلة توضع تحت تصرف الإسرائيليين . ولقد صرح القس جيمس هيوستن بأنه ومعه آخرين قد قاموا بحملة لجمع ألوف الدولارات للدفاع عن بعض الإسرائيليين الذين وجهت إليهم تهمة الهجوم على المسجد الأقصى عند حرقه فى أغسطس ١٩٦٩ [هالسيل ص ٧] . كذلك قال فالويل ، أحد أقطاب الحركة المسيحية الصهيونية ، فى حفلة تكريم اقامها لموش ايرنز واريل شارون أنه من الأخطاء التى وقعت فيها الولايات المتحدة هى أنها تدخلت لوقف مذبحه الفلسطينيين فى لبنان التى قتل وجرح فيها عشرات الألوف من الفلسطينيين واللبنانيين وذكر أنه على الولايات المتحدة أن تؤيد إسرائيل تأييداً كاملاً فى أى حرب قادمة «لتمحى الأعداء» وعندما قال ذلك صفق الحاضرين بكل الحماس وهتفوا آمين «هاليلويا» [هالسيل ص ٨] .

لقد زاد تأثير جماعة المسيحيين الصهيانة على الرأى العام والحكومة الأمريكية

(١) راجع المصدر التالى بالإنجليزية :

Halsell Grace, "Prophecy and Politics: Militant Evangelists on the road to Nuclear war, Lawrence. Hill and Company Westport, connecticut, 1986.

إلى حد كبير جدا فى الآونة الأخيرة وزاد التأيد لإسرائيل بالتالى من هذا الاتجاه الدينى المتعصب للغاية واستغله وتستغله جماعات الضغط اليهودية فى تعبئة وشحن الأمريكيين لتبنى قضيتهم .

ويضاف إلى بعد الصراع العربى الإسرائيلى التعاون الوثيق بين هؤلاء «المسيحيين الصهاينة» والمسؤولين الإسرائيليين فى مجال وضع السياسات التنفيذية وتعبئة الشعب الأمريكى كله فى المستقبل ومما هو جدير بالذكر أنه عند زيارة أى من أعمدة حركة المسيحيين الصهاينة لإسرائيل يستقبل على أعلى المستويات هناك . ولقد استضاف مناحم بيجن فى منزله القس دفيد لويس أثناء مدة زيارته لإسرائيل (مجلة القدس العدد الأول ١٩٨١) ونجد أثر هذه العلاقة متجسداً فى ممارسة الضغط على الإدارة الأمريكية فلقد أرسلت وترسل جماعات المسيحيين الصهاينة مندوبيها ورسائلها لمنع أى قرار أمريكى يتعلق ببيع السلاح أو يتضمن خطوة لتحسين وتقوية العلاقات الأمريكية العربية وتأييد أى قرار لمنح السلاح لإسرائيل وكذلك أى قرار من شأنه التأثير سلباً على العلاقات العربية الأمريكية . ويأخذ التعاون المسيحى اليهودى شكلاً متصاعداً ففى عام ١٩٨٣ أعلن عن تكوين المؤتمر التضامن اليهودى والمسيحى الصهيونى (AFJCC) الذى أوصى بدعم مفاهيم المسيحيين الصهاينة على كافة المستويات فى الولايات المتحدة ووضع الخطط لذلك . ومما هو جدير بالذكر أنه من الأنشطة التى أعد لها وتنفذ حالياً هى توظيف مرشدين سياحيين مؤمنين بهذه المفاهيم لإثارة عواطف كل الحجاج المسيحيين الذين يزوروا الأماكن المقدسة وزرع تلك الأفكار فى وجدانهم . ويبلغ عدد هؤلاء الحجاج حوالى مائة ألف حاج كل عام . [جريدة واشنطن بوست ٢٣ مارس ١٩٨١] .

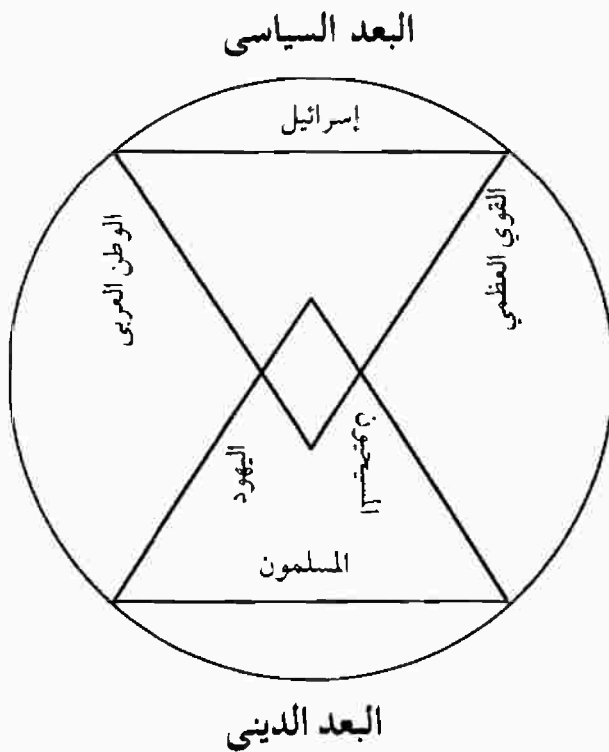
*** موقف المحور الإسلامى وبعض طوائف اليهود الأرثوذكس والخط العام للكنائس المسيحية :**

إن المحور الإسلامى وبعض طوائف اليهود الأرثوذكس وكذلك الخط العام للكنائس المسيحية يتفق فى مبدأ الاعتراض بصفة عامة على ممارسات إسرائيل والمسيحية الصهيونية وإن اختلف كل من هذه العناصر بطبيعة الحال فى درجة وأسلوب الاعتراض والرؤية الشاملة للصراع العربى الإسرائيلى ، ونقطة الانفاق العام بين هذه العناصر تتركز فى أن السلام هو رسالة الأديان كلها وبالتالى فحركة الصهيونية «المسيحية الصهيونية» أو المتصهينة هى انتهاك واضح لأسس الأديان السماوية كلها .

وليس أكثر من دليل على الرفض العالمى لمثل هذا الأمر هو قرار الأمم المتحدة بإدانة الصهيونية عام ١٩٧٥ ومساواتها بالعنصرية وكان هذا من أهم القرارات التى

صدرت عن هذه الهيئة الدولية التي فشلت في كثير من الأمور على إتخاذ أغلبية من التصويت على مثل هذه الأمور ... ولقد اعترضت إسرائيل ومن يساند سياساتها الصهيونية على هذا الأمر في العديد من المناسبات وبالحاح كبير وطالبت بإلغاء هذا القرار حتى تم إعاد التصويت على هذا الأمر في (نوفمبر عام ١٩٨٧) ولكن الموقف الدولي ظل كما هو وتم تأكيد القرار الأول بمساواة الصهيونية بالعنصرية في القرار الثاني .

أن تفصيل الرؤية الإسلامية وكذلك رؤية الخط العام للكنائس المسيحية وكذلك بعض الطوائف اليهودية اللارثوذكسية (هى فى طور بحث أقول به فى الوقت الحالى) ولكن ما يتضح لنا من الآن بوضوح هو تصاعد البعد الدينى للصراع العربى الإسرائيلى ليشكل فى المستقبل مثلث حتمى آخر . إن لم تتخذ الخطوات الجدية للوصول إلى حل عادل للمشكلة . ومن الطريف أن ننظر الآن إلى المثلثين الحتميين للصراع العربى الإسرائيلى اللذان يشكلان أيضاً بؤرة الصراع الدولى القادم . أن تحرك هذين المثلثين المستمر فى اتجاه التداخل بين العناصر بداخليهما يكون نجمة سداسية ترمز إلى سبب الصراع العالمى : والشكل التالى يوضح عناصر هذا الصراع الذى إن لم يتم احتوائه أصبح بؤرة للصراع العالمى القادم [إلى هنا ينتهى هذا الجزء الذى كتبته منذ ١٤ سنة واعدت نصاً فى سياق توضيح خريطة النبوءات] .



ب- ماذا عن النبوءات الغربية بعد أحداث الحادى عشر من سبتمبر؟! وكيف رأينا من يتنبأ «بصدام حسين» واسامة بن لادن»؟^(١)

ازدادت اليوم كتب النبوءات وإدبياتها بكل كبير فى الولايات المتحدة الأمريكية وفى الغرب بعد أحداث ١١ سبتمبر ، ولعل هذا بحاجة إلى سياق آخر لتحليل هذه الظاهرة وعودة الناس لفكر النبوءات فى الغرب والاهتمام بها . ولقد نشرت تحقيقات صحافية عديدة عن هذا الموضوع ومنها ما نشرته صحيفة الديلى ميل عن كتاب بعنوان «شفرة الكتاب المقدس» للكاتب الأمريكى دروسنين عام ١٩٩٧ والذى يتنبأ فيه بأحداث المستقبل ونهاية العالم وحقق مبيعات هائلة فى أوروبا والولايات المتحدة وأن نيوتن صاحب نظرية الجاذبية ذلك العالم المشهور حاول فك شفرات المستقبل فى الكتاب المقدس وكرس لذلك كل وقته قبل مماته ولكنه أعلن اخفاقه ... ، ولكن إذا أعلن نيوتن - الذى استهوته النبوءات - عن اخفاقه فى هذه المهمة ، فإن هناك تحقيقات عن عالم رياضيات إسرائيلى من أصل روس وهو إلياهو ريبسى الذى استخدم برنامج كومبيوتر أعده بنفسه ادخل فيه كلمات التوراة وادعى أنه فك شفرات داخل الكتاب تقول بظهور محطات نحو نهاية العالم ومنها ما أفاد بأن كلمة رابين ظهرت بعد فك شفرتها لتتساوى مع كلمة اغتيال وأن كلمات صدام حسين واسامة بن لادن قد ظهرت بعد فك تلك الشفرات فى الطريق إلى نهاية العالم وحدثت محرقة نووية تبدأ من الشرق الأوسط^(٢) .

(ج) أهم أدبيات (النبوءات) : قراءة نقدية أولية :

* عن كتاب «معركة هو مجدون وتأسيس مملكة الرب فى التوراة والإنجيل والقرآن ..»^(٣) .

خلاصة هذا الكتاب هو أن كاتبه كارلوتا جيزن يرصد نبوءات المعركة الكبرى والمعروفة باسم «هرمجدون» ... ويجادل المترجم أحمد على ومقدم الكتاب محمد عاشور بأن الخدعة الكبرى التى يحاول أصحاب النبوءات الغربية ترويجها للعالم أن «هرمجدون» أو المعركة الكبرى بين الأديان قادمة لا محالة وأن العراق تعتبر إحدى المحطات المؤدية لها ... بينما يقول أ. محمد عاشور أن معركة هرمجدون قد حدثت بالفعل فى التاريخ وأن المملكة الرومانية قد أزالها المسلمون فى المعركة الفاصلة بين المملكة الرومانية وبين المسلمين والتى قد نمت فيها الغلبة للمسلمين حيث هزم

(١) تحقيق فى جريدة صوت الأمة بعنوان «التوراة تحدثت عن اسامة بن لادن واغتيال رابين وتدمير العراق بالأسلحة النووية ، شريف على ، (٢٠٠٢/١٢/٩) .

(٢) جيزن ، كارلوتا ، معركة هرمجدون وتأسيس مملكة الرب ، دراسة وتقديم وترجمة أحمد على أحمد ، دار الكتاب العربى - دمشق القاهرة ، ٢٠٠٢ .

اليهود ومعهم الروم فى موقعة اليرموك الشهيرة ... ولكن النبوءات التى يسوقها أو يسوق له أصحاب النبوءات فى الغرب تقول بعكس ذلك ويسعون لتفعيل محطاتها وهنا تكون النبوءات هى من أخطر ما يتعرض له العالم اليوم .

* عن كتاب نهاية العالم للشيخ محمد متولى الشعراوى^(١)

والكتاب يتعرض إلى رصد خواطر الشيخ الشعراوى - رحمه الله - لعلامات واشراط الساعة ومقدماتها وأهوال وأحوال يوم القيامة ، وينتقد فيه نبوءات عشرات العرافين فى أمريكا والغرب ممن يظهرون ليحددوا يوم القيامة باليوم والساعة ويثبت كذبهم وادعائهم ويصف مثل تلك النبوءات بأنها لا تقوم على علم ، لأن يوم القيامة وموعده من أسرار الخالق عز وجل وحده وأن الله سبحانه وتعالى لم يطلع عليه نبي أو حتى ملائكته سبحانه وتعالى .

ويخلص الشيخ الشعراوى إلى أن «الثابت هو الكون الذى خلقه الله سبحانه وتعالى من سماء وأرض وما بينهما مسخراً من أجل الإنسان ليؤدى مهمته كما أرادها الله سبحانه وتعالى من انماء وعمار . ويناقش مفاهيم «علم اليقين ، وحق اليقين وعين اليقين ... وأنه ومع نهاية العالم ينتهى كل زيف من علم الإنسان ويرى أمامه كل شئ على حقيقته وبلا زيف وفى يقين كامل ، فىرى الملائكة ، ويرى الشياطين ، ويرى الجنة ويرى النار ويعرف عظمة خالقه جل وعلا ... ويعلم يقيناً أنه لا حول ولا قوة فى هذا الكون إلا الله سبحانه وتعالى ... وتنتهى دنيا الأسباب بشموسها وأقمارها ونجومها لتشرق الأرض الجديدة بنور ربها سبحانه وتعالى ثم يوضع الكتاب ويقام الميزان وتوفى كل نفس ما عملت بعد أن انتهت دنيا الأسباب واصبحتنا فى حضرة مسبب الأسباب ..»^(٢) .

* عن كتاب «أحاديث سيد المرسلين عن حوادث القرن العشرين للشيخ عبد العزيز عز الدين السيروان»^(٣)

لعل هذا الكتاب من أهم ما كُتب عن النبوءات من منظور إسلامي ، فهو بجانب الجهد الكبير والمتفرد للكاتب فى تجميع أحاديث الرسول ﷺ الخاصة بالنبوءات والفتن وعلامات وأشراط الساعة ، يتضمن مقدمة فكرية مهمة طرحها السيروان ، حيث اتسمت بسمات مهمة وغير مسبقة فى طرح الأدبيات من هذا النوع والمجال ونراها فيما يلى من قراءتنا لهذا الكتاب وهى :

(١) الشعراوى ، محمد متولى «نهاية العالم» مكتبة الشعراوى الإسلامية اصدار مؤسسة أخبار اليوم ، ١٩٩٠ م .

(٢) المرجع السابق ص ٥ ، ص ١٠٨ ، ص ١٠٩ .

(٣) السيروان ، عبد العزيز ، «أحاديث سيد المرسلين عن حوادث القرن العشرين ، منشورات دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، لبنان ، ١٣٩٩ هـ ، ١٩٧٩ م .

[١] أن السيروان يطلب فتح باب المناقشة للباحثين المسلمين للأدلاء بأرائهم حول خطورة الانزلاق إلى تفعيل النبوءات أو أن يرى البعض فى النبوءات دعوة للسلبية وانتظار ما يحدث دون القيام بمهمة المسلم الحقيقية وافتقاد وجود الشخصية الإسلامية الإيجابية والفاعلة وهى تنظر للمستقبل .

[٢] التحذير من النظرة التشاؤمية البعيدة عن محاولة اصلاح حياة البشر بالاستغراق فى قراءة النبوءات وعدم فهم حقيقة السعى الإيجابى لأعمار الكون ... فلا يمكن أن تكون النبوءات دعوة لعدم السعى والأخذ بالأسباب والقيام بصالح الأعمال التى تقى الإنسان من شر الكثير من الفتن .

[٣] استشهد السيروان بمقولات مهمة لأفاضل المفكرين وعلماء المسلمين من أمثال مالك بنى ومحمد إقبال وعباس العقاد وغيرهم ليؤكد على مقولة العقاد «ان التفكير فريضة إسلامية» ، ومقولة محمد اقبال ، «بأهمية» تدبر القرآن وفهم مقاصده الشريفة لصالح الدنيا والدين وأهمية الا يكون المسلم اسيراً للمتزعمين للدين ، والمحتكرين للعلم الذين قد لا يكون التوفيق حليفهم فى تفسير ظواهر هذا الكون المركبة .

[٤] السعى للتغيير الإيجابى هى مهمة الإنسان .. حيث يقول السيروان «إن الله سبحانه وتعالى عندما قال «إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم» وغيرها من الآيات الكريمة لم يرد أن تكون مجرد شعارات للتبرك ولا لتكون مجرد محتوى غيبى يعمل بسحرية خارقة للعادة والأسباب»^(١) .

ويقول «إن هذا الدين منهج إلهى للحياة البشرية . يتم تحقيقه فى حياة البشر بجهد البشر أنفسهم فى حدود الواقع المادى للحياة الإنسانية فى كل بيئة ويبدأ العمل فى حدود طاقتهم البشرية ، وفى حدود طاقتهم البشرية ، ويقدر ما يبذلونه من هذه الطاقة ..»^(٢) .

[٥] إن الإسلام قد ربط السبب بالمسببات ونهى عن سلبية المسلم أو يأسه أو تشاؤمه .. من هنا فإن «فهم معنى الإيمان وطريق عمل هذا الدين فى حياة البشر يطالبنا بالصمود أمام الفتن وليس هذا فحسب بل تغيير الواقع الاجتماعى وقبله النفسى لتغيير اتجاه الحال ، ورد الواقع البشرى إلى ما يرضى الله سبحانه وتعالى وسواء نحجنا أو فشلنا فالمهم أن نؤدى مهمتنا التى خلقنا الله من أجلها وأن لا نكون سلبيين فى مواجهة الواقع وأن نعمل وإن لم نقطف ثمار عملنا ..» وقل

(١) السابق ، ص من .

(٢) السابق ، ص من .

اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون ..» ويقول الحق «الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً...» والفتن التى حدثت قديماً بعد الرسول ﷺ لا ولن تكون مبرراً للمتقاعسين ليعقبنونا بالقعود والتواكل»^(١) .

ويقول السيروان فى ختام مقدمته التحليلية المتميزة «وأخيراً فهذا الكتاب بما جمع بين دفتيه من أحاديث مختلفة عن أشراف الساعة وعلاماتها الصغرى والكبرى يضع أمام المسلمين صوراً حية للمجتمع الذى يعيشونه والملاحم التى تقع أم ناظرهم ... وقد كان لابد من هذا التقديم على هذا الصورة حتى لا يساء فهم النصوص والاستفادة منها .. ولتكون عاملاً للتنبيه والحذر ، والعمل الصالح المعاكس لتيار الفتن لا الانقياد لها والتسليم والاذعان ... وهى إنما كانت من الرسول ﷺ أخباراً بمغيبات ودليلاً على صدق نبوته وتحذيراً للمسلمين من الانحطاط فى الفتنة والتمهيد لها أو المساعدة على نشوئها واستمرارها ..»^(٢) .

★ خلاصة القول فى فكر النبوءات المقارن: دلالات لمنطلقات الدور المصرى

إن خلاصة القول بخصوص هذه الجزئية ، أن أهم الأدبيات المتعلقة بفكر النبوءات التى تعرضنا لها فى كل من الفكر الغربى وفى إطار واقعنا العربى الإسلامى ، توضح أن التفعيل السياسى الغربى للنبوءات يمثل الصورة المتطرفة تماماً والتى لا يمكن مقارنتها بما جاء فى توجهات الأدبيات الإسلامية فى هذا المضمار وخاصة ما جاء فى بحث السيروان بصفته أول كتاب أجده يتحدث مباشرة عن فكر النبوءات بهذه الحيوية الفكرية ، كما أن أدبيات نهاية العالم فى الواقع الإسلامى كما جاء فى كتاب فضيلة الشيخ الشعراوى تقتصر على اطلاع القارئ على علامات الساعة واشراطها وتحت على العمل الصالح الذى ينفع المؤمن ويبعده عن الاسلوب والمختزل والمتطرف الذى تمتلىء به أدبيات الغرب (النبوءاتية) ... ولعل هذه النقطة هى نقطة حجية الارتكاز للدور المصرى التى ينبغى طرحها على العالم لتجنيبه شرور أصحاب التفعيل المتعسف لفكر الفتن والنبوءات أى كانوا .. لأن فى هذا ابتعاد عن المقاصد السامية كل الأديان الحقيقية التى تدعو للغير للخير والسلام والنماء .

(١) السابق ، ص ش .

(٢) السابق ، ص ت .

٤- تحديات الدور المصرى وإدارة سيناريوهات العولمة ...

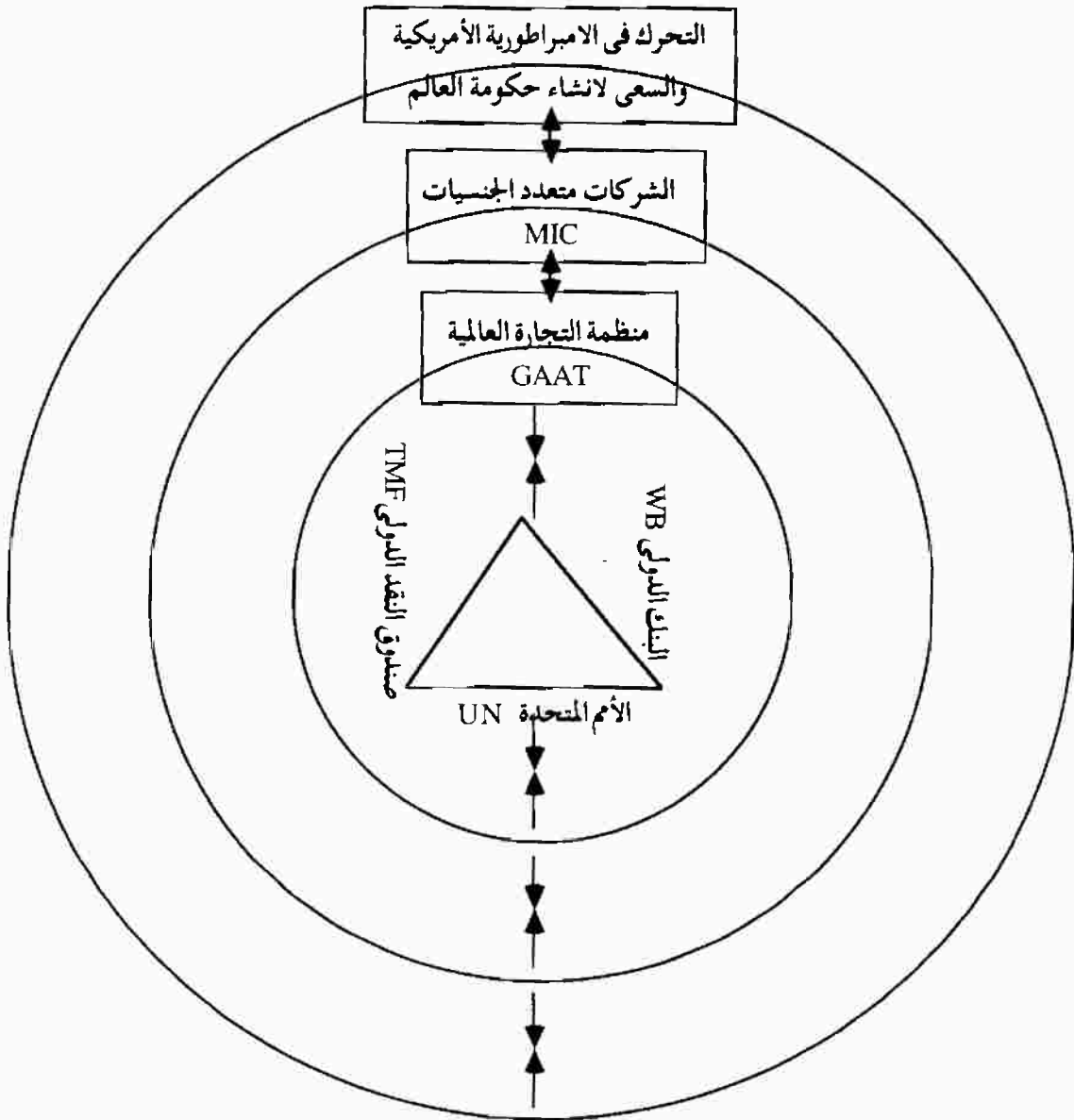
والسعى لإيجاد صيغ جديدة للعمل الجماعى والعربى المشترك وللتفاعل على الساحة الدولية فى سياقاتها الآخذة فى التركيب

لم يستنفر العرب خطورة الصراع العربى الإسرائيلى ليكون عامل توحيد لهم على أساس قوى وممتد بالرغم من وجود التحدى الإسرائيلى بقوة منذ سنوات وإلى اليوم ولسنوات عديدة قادمة . كما لم يستنفر العرب تحديات العولمة بكل ما أتت وستأتى به ، خاصة العولمة المتوحشة احادية الجانب التى ينبغى للعالم المتضرر منها وعلى رأسهم العالم العربى وأن يتحرك من خلال استراتيجية وتنسيق موحد وتدشين للسوق العربية المشتركة الذى تحدث عنه العرب منذ الأربعينات ... ولكن ظل كلاماً ... واليوم ومع إعلان الاستراتيجية الأمريكية بإتخاذ العراق المحطة الأولى لخلخلة المنطقة العربية لصالح أجندة للهيمنة ووضع أولويات الأجندة الإسرائيلية ، لم يستنفر العرب ... المشكلة الخطيرة إذن هى عقلية إن اخواتها أو عقلية التوصيات وتسجيل مواقف الاندهاش والأدانة والاحتجاج والاحتقان مع اللافعل لأننا لانتحرك من خلال برنامج ينطلق من « كيف اخواتها » والعقلانية أو حتى ما اسمية « بالأنانية التفاوضية » وهى أنه وحتى عندما يكون الإنسان أنانياً ... فهو يكون حريصاً على تعظيم قوته .. أى أن فكر السوق المشتركة والتوحيد العربى وإدارة الاختلافات بالرغم من أنه ينبغى أن يأتى من افتراضات غير أنانية واخلاقية ومعتقداتيه تسعى لبناء قوة الأمة العربية والإسلامية الحقيقة للدفاع عن الشرف والعرض وحرية القرار ، فلتكن من باب تلك الأنانية التفاوضية^(١) فإذا لم تؤثر فينا عقلية النخوة ودافع المعتقد بالتوحيد فعلى الأقل أن تؤثر « عقلية الأنانية التفاوضية التى حركت أوروبا نحو الاتحاد الأوروبى وغير ذلك من الكيانات الكبرى ... فإن هذا الذى هو حادث لاشك وأنه يتعلق بأن البرنامج الثقافى الراهن والمسؤول عن ناتج الحوار الراهن العلمى بحاجة ماسة إلى التغيير ... فنحن نحتاج إلى برامج تشغيل جديدة ... ANEW SCIENTIFIC CULTURAL SOFYWARE وفى هذا الجزء أريد أن أسلط الضوء على تحديات أخرى تتمثل فى العولمة ... وهنا نقول بأن حلبة الصراع تدور حول وضعين ، وضع نحاول أطراف دولية تفعيل دور الأمم المتحدة كقناة تفاعل دولى أساسية وجعلها مكاناً أكثر ملائمة لصناعة القرار الدولى المشترك فعلاً دون هيمنة وخلل كبير فى الأداء كما تشير إلى ذلك التفاعلات الراهنة ... ولكن هذه الجهود تحاصر وكأن العالم يشهد اليوم هذا التصور الموضح فى الشكل التالى رقم (١) :

(١) بخصوص الرؤية المطلوبة لتفعيل السوق العربية المشتركة ، راجع لكاتب السطور مقالاً بعنوان « قمة عمان ... ومستقبل الحوار العربى » الأهرام المسائى ٢٠٠١/٣/١١ م .

شكل رقم (١)

صورة لتشكيل ملامح تفاعلات المؤسسات الدولية ووضعيتها المتصورة في عالم اليوم ومؤشرات المستقبل



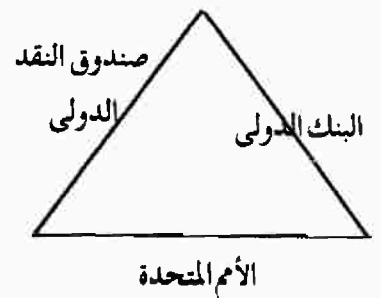
كما يتضح من الشكل المتصور أعلاه ، أن مثلت الأمم المتحدة والبنك الدولي وصندوق النقد كممثل أساس ووعاء تمت من خلاله أهم التفاعلات الدولية على مدى الخمسين عاماً الماضية ، ولا يزال يقوم بمهام أساسية وحيوية في تشكيل وتفعيل التفاعلات الدولية بصورة عديدة ، إلا أن المتأمل للساحة الدولية يشاهد صعود والتفاف منظمة الجات بقوانينها الملزمة وكذلك نلاحظ دائرة التفاف الشركات

المتعددة الجنسية كما نشاهد اليوم حالة من السيولة لدائرة جديدة وهى دائرة الامبراطورية الأمريكية والسعى لإنشاء حكومة للعالم ... إن تفاصيل التفاعلات وأنماطها فى إطار هذه العناصر القديمة والمستحدثة ودراسة تداعياتها على بعضها البعض هى موضوع دراسة منفصلة لكاتب السطور لفهم سياقات التفاعلات الدولية الحالية والمستجدة والمتصورة ... وربما يستدعى هذا الشكل مدى صعوبة أى دور وليس المصرى تحديداً إلا أن قناعتي كباحث تقول إن ما علينا أن نتقن العمل بالصيغة الفاعلة على أى مستوى المهم أن نحرك وأن نسعى لهذا الاتقان المبني على العلم والإيمان وإدارة التحرك ... ولعلنى فى هذه الدراسة اسلط الضوء على مستوى واحد وهو مستوى النظر للعملة بمعانيها وجوانبها المتعددة ثم ننظر إلى ما يمكننا أن نفعله على مستوى التفاعلى على صعيد الأمم المتحدة كمثال ... على أن أحاول النظر إلى المستويات الأخرى فى دراستى المقبلة فى هذا الصدد . وهنا اكتفى باعادة نشر مقال لى كنت قد كتبتة فى الأهرام المسائي بعدة الأسبوعى بعنوان العملة فى مرآة التفاوض (فى ٢٠٠٠/٨/٩) وهو يجيب على عدة أسئلة محورية مثل :

- (١) ما المقصود فعلاً بالعملة دون احتزالها فى إطار أو آخر .. ؟ أى ما مدى تعريفات وأشكال العملة ومستويات ممارساتها على الصعيد الدولى بشىء من الدقة وعدم وجود الافتراضات الاختزالية المسبقة ؟
- (٢) ما مدى حجم السيولة التى يمكننا التدخل الإيجابى فيها لصياغة مع ما قد يتمشى مع أجندتنا الوظيفية ؟

(٣) ماذا عن مفهوم «التفاوض العلمى النضالى» ؟ وماذا حققت مصر والدور المصرى من إنجازات حقيقية فى مضمار تفاعلات الأمم المتحدة ؟ وما العقبات الهيكلية الخاصة بادائنا التى يمكننا السيطرة عليها لرفع مستوى هذا الأداء بحالة من واقع الممارسات الدولية وممارسات واقعنا الثقافى ؟ (حيث أن ما نراه على مستوى واحد وقد أمكننا عمله أو الفشل فى القيام فيه ليمثل مؤشراً مهماً لما يمكن أن نمستفيد به فى التعامل مع مستويات التفاعلات الدولية الهيكلية الأخرى الموضحة بالشكل المتصور (رقم ١) أعلاه . وفيمايلى نصوص لثلاثة مقالات لكاتب السطور تعبر عن تفاعلات الدور المصرى مع اضلاع مثلث التفاعلات الدولية الأساس والمتمثل فى البنك الدولى وصندوق النقد الدولى والأمم المتحدة . ونبدأ هنا بنص المقال التالى .

★ مفهوم التفاوض النضالى وامثلة
معبرة عن تحديات الدور المصرى
فى سياق مثلث التفاعلات
الدولية الاساسية



العولمة فى مرآة التفاوض^(١)

(١) [حالة للتفاوض النضالي فى سياق الأمم المتحدة]

وأقول هنا وبشكل علمى جاد ، أن كثيرا من الطرح عن العولمة كان فعلا فى «غياب المضمون» .. والمضمون هنا ليس فقط محتوى الكلام وسياقه ولكن مضمون الحجج المثارة عن العولمة فى إطار عملية التفاوض التى ينبغى أن نديرها وينبغى أن ننظر هنا إلى أطراف التفاوض واجندته ونوعه وقناة التفاوض من أجل تحقيق هدف تفاوضى بعيدا عن الوصف المحبط والاندهاش والأداة أو التمجيد وانتظار ما سيحدث .. ومما أن الموضوع متشعب ومركب للغاية وكوكبى بطبيعته ، فإن الهدف الأول ينبغى أن يكون التعرف على التفاوض الممكنة بغية التحرك طبقا لهذه الرؤية التى أرى أن هذه المساحة مهجورة .

وهنا أرصد الحجج الرئيسية التالية :

- ١- إن العولمة هى الشكل الحديث للاستعمار أو «الكولونيالية الجديدة» وأدواتها الجات والبنك الدولى وصندوق النقد ... إلخ آخره ..
- ٢- إن العولمة هى هيمنة «الشركات العملاقة متعددة الجنسية» .. وإن هذه الشركات هى قاطرة العولمة ومن ورائها العالم .
- ٣- إن العولمة هى أمركة العالم وصبغه بالصبغة الأمريكية وتعميم الثقافة الأمريكية بكل ملامحها من جنس وهبورجر وأغانى الروك إلخ وذلك من خلال اعلام أمريكى متعولم .. وامبريالى .. يهدف إلى تعميم القيم الغربية وطمس الهوية الثقافية للآخرين .
- ٤- إن العولمة هى طمس لقيم الأديان وترسيخ الحداثة بمعناها الواسع فقط .
- ٥- «إن العولمة هى نهاية الوظائف وكثير من نسب البطالة وإنها تأتى بمفهوم فائض الموظفين وتقليص مزاياهم لصالح فئة مميزة قليلة النسبة على مستوى دول العالم . وإن كانت الدول النامية الأكثر تضررا ..
- ٦- أن أمريكا لا دخل كبير لها بالعولمة .. لأن العولمة تطور إنسانى جماعى وأن أمريكا وطبقا لمفاهيم مثارة على ساحة التفاعلات الدولية قد تنكوى هى الأخرى بنيران العولمة .. فأمرىكيا تقوم على أساس عولمى يتجسد فى مفهوم «بوتقة الانصهار الأمريكية» ((MELTING POT)) . وأن هذه البوتقة لم تعد

(١) نشر هذا المقال لكاتب السطور فى العدد الأسبوعى - الأهرام المسائى ٢٠٠٠/٧٧/٩ م .

نصهر عناصر المجتمع الأمريكي كما كمان الأمر قبل ذلك ولذلك أطلق خبراء علم اللغة الإجتماعى تعبير طبق السلطة SALAD BOWL . وبدأت تظهر ملامح مستجدة تدعو للانفصال (انفصال جمهورية تكساس) والتي تم قمعها لتظل فى بوتقة الانصهار أو طبق السلطة .

٧- «إن العولمة مؤامرة كبرى .. البعض يعتبرونها كذلك فى عالمنا العربى بمسميات براقة ، كما أن قطاع كبير من المواطنين الأمريكيين ينظرون لها بنفس المعنى .

٨- «إن العولمة تتحرك فى إطار ثلاثة محاور : عولمة اقتصادية + عولمة عسكرية وسياسية + دور متميز للجمعيات الأهلية/غير الحكومية وأنه وطبقا للعولمة .. فإن لهذه الجمعيات دور غير مسبوق لابد أن تقوم به حيث أُنشئت من المفترض أن تمثل الصوت والقوة الحقيقية للشعوب .. إلا أنه وفى واقعنا العربى تختلط الكثير من الأمور وهناك قطاع يقول ان الجمعيات الأهلية هى «فلوس وتطبع وتغريب» وهناك جدل دائر عن نسبة هذه الجمعيات التى تقوم بدور وطنى ودولى ملتزم ونسبة من يقومون بادوار مشبوهة وما ينبغى أن تكون عليه الأمور وتحديد دور الدولة فى هذا السياق ومعادلاته » .

٩- إن العولمة تعنى انحسار دورا الحكومات وترك المجالات لحرية العمل فى المجالات الاقتصادية والثقافية والسياسية وأن تدخل الدولة له حدود والانحراف فى العولمة حتمى ! ..

١٠- «.. إن العولمة تنزع إلى تحقيق مزيد من الترابط والتداخل والتعاون والاندماج بين الدول وآلاف الفاعلين الدوليين الآخرين .. وإنها تسير بسرعة فائقة كقطار سريع ولا يمكن تجاهله أو الوقوف أمامه أو عدم ركوبه وإلا كان التهميش هو المصير » .

١١- «إن العولمة هى عالم التجمعات الاقتصادية الكبرى ... «الاتحاد الأوروبى «النافتا» وغيره ولا بديل للعرب من أن يكونوا تجمههم .. وأن هناك هامشا كبيرا للتفاوض ينبغى استغلاله فى هذا العالم ... للتوحد العربى الإسلامى وأن هذه التجمعات عبر العالم كله من إيجابيات العولمة .

١٢- «إن العولمة» تعنى توحد البشرية لمواجهة تحديات كونية فى البيئة والصراع والأمراض والسكان والمصادر والا كان سيناريو الفوضى المدمرة للجميع .. فالتفاوض الإيجابى مطلوب من الجميع ليس من دافع اخلاقى فقط ولكم من دافع المصلحة البحثة» .

١٣- « .. إن العولمة تعنى عولمة الاعلام كوسيلة لدعم التدفق الحر للمعلومات

وحرية الاتصال وتوفير فرص غير محدودة وآفاق غير مسبقة تعنى مزيداً من حرية الاختيارات للجمهور بين وسائل الإعلام والحصول على ما يريد من معلومات يختارها الفرد بحرية تامة طالما توفرت له الحقوق .. والأدوات المعلوماتية» .

١٤- «إن العولمة فى مجال العلم هى سهولة ويسر الحصول على الأبحاث عبر العالم وسهولة حضور عشرات المؤتمرات عبر الأنترنت (TELE CON FEREN CE) وكذلك هى هجرة العقول حيث البيئة الأكثر ملاءمة لها مع ازدياد الهوة بين الشمال والجنوب والتخلف ..» .

١٥- «إن العولمة تعنى كوسوفا والبوسنة والصومال .. كحالات للتدخل العسكرى العولى وكذلك رواندا كحالة لعدم التدخل» .

١٦- .. إن سلبيات العولمة كفيلة بالقضاء على الاقتصاد العالمى كله ولا سبيل إلا التكافل ومراعاة الأبعاد الاجتماعية وقيم العدل وخلافه ولا سبيل إلا لطريق ثالث يعظم الجوانب الإيجابية ويقلل السلبيات .

١٧- أن العولمة تعنى الالتفاف حول دور الأمم المتحدة والعمل على تهميشها واستخدامها كغطاء لصالح الدول العظمى بخاصة الولايات المتحدة الأمريكية وإيجاد هيئة دولية فعلية أخرى قد تكون متمثلة فى الناتو أو قد يظهر لها اسم آخر فى المستقبل «كحكومة العالم» .

١٨- إن السلطة المعنوية للأمم المتحدة هى الأقوى فى عالم اليوم والغد بكل القيود القائمة .. وإن العالم أكثر تقبلاً لها كممثل للشرعية الدولية وأنه لا سبيل إلا بإصلاحها كى تلعب دوراً عادلاً بعيداً عن الازدواجية وأن العالم كله فى حاجة لهذه المنظمة خاصة فى عصر العولمة .

مما سبق يتضح لنا إن العولمة كمضمون ذى أبعاد عديدة ورؤى سلبية ورؤى إيجابية ولاشك أننا إذا نظرنا إلى كل حجة من الحجج الرئيسية الـ ١٨ المرصودة من ملفات التفاعلات حول العولمة من منظور غير ثقافى بالتحليل الكافى لكان هذا الأمر خارج نطاق هذا المقال ...

ولكن ما يمكننا تسليط الضوء عليه هو ما يلى :

١- إن مساحات التفاوض التى ينبغى تحديدها والعمل على استغلالها من أجل تعظيم الأجندة الوطنية وكذلك المساهمة دولياً فى مباراة اخلاقية يكسب منها الجميع ولو بنسب متفاوتة (حسب الجهد وميزان القوة ومعرفة التحرك الملائم وتنفيذه ..) هى مساحات موجودة بالفعل لمن يريد العمل فى إطارها بل وتوسيعها وإيجاد مساحات أخرى ..

٢- إن هناك سعرا تفاوضيا لا يتم إلا عن الطريق الرسمي أى من خلال دبلوماسية المسار الأول (أى كما فى حالة التفاوض فى إطار الجات أو مع البنك الدولى أو صندوق النقد) وإن هناك سعرا تفاوضيا من الأفضل والأوقع أن يتم من خلال دبلوماسية المسار الثانى غير الرسمية وهنا تقع فى عالم اليوم أغلب عمليات التفاوض الجمعى وتشغيل ذهنية الآخرين ولهذا تفاصيل عديدة رصدتها فى سياق آخر ..

٣- ينبغى التنسيق فى الأدوار بين الفاعلين على المسار الدبلوماسى الأول والثانى من أجل تعظيم المنافع وتعميق فكر الحشد الفعال على المستوى الأقليمى العربى وعلى مستوى تفاعلات الجنوب من أجل تفاوض أفضل مع الشمال المتقدم .

٤- إن كثيرا من عمليات التفاوض على المسارين الأول والثانى فى إطار خريطة الحجج المثارة الـ ١٨ ينطبق عليها تعبير «التفاوض النضالى» الذى يحتاج إلى طاقة ومهارات عالية والابتعاد عن حالة سائدة فى واقعنا تتسم عادة باتخاذ موقف الاحباط واليأس والإدانة ثم التوقع والانتظار وهى حالات يصاحبها رؤية اختزالية شديدة للواقع كأن يرى البعض العملة على أنها ذات تعريف أو اثنين دون النظر إلى الخريطة الذهنية المكونة من ١٨ حجة كما أوضحنا أو ينظر إلى أمريكا على أنها كتلة صماء واحدة أو للغرب كذلك أو حتى لأنفسنا فيما بيننا مع إن الواقع أكثر تعقيدا وتركيبا ونحن نحتاج إلى هذه الرؤية ف الكثير من تفاوضنا مع بعضها البعض ومع الآخرين كى نتجح فى تطبيق التفاوض النضالى الإيجابى الذى لا بد وأن تؤتى ثماره فى النهاية وهو من أصعب أنواع التفاوض ومن الناحية التقنية يطلق عليه «تفاوض إعادة الهيكلة» .

ولعلى أرصد التحليل هنا وعلى سبيل المثال لا الحصر . ما تثيره الحجتان الأخيرتان رقمى (١٧) و (١٨) بخصوص ما يتعلق بدور الأمم المتحدة فى عصر العملة وكيفية رؤيتنا لهذا الدور وتعاملنا معه ... ولقد كنت طرفا فى حوار ممتد عن هذا الموضوع دوليا ومحليا حيث اثير هذا الموضوع على هامش مؤتمر جمعية مستقبلات العالم WFS التى شاركت ببحث فى وقائعه فى يوليو ١٩٩٩ وامتد نقاش نقاش نفس الموضوع ولكن من زاوية أخرى فى القاهرة فى أغسطس ١٩٩٩ ولكن كان من الملابس الطريقة للغاية أن أشاهد بعد تلك المناقشات الساخنة فى واشنطن بعد تلك المناقشات الساخنة فى واشنطن وفى القاهرة برنامجا فى إحدى الفضائيات العربية (ART) يوم الاثنين ١٩٩٩/٨/٢٣ عن نفس الموضوع «بحذافيره» اداره الاعلامى المعروف د. عمر الخطيب ومعه ضيوف على درجة عالية من الكفاءة والتميز وهم د. حازم الببلاوى والسفير جورج طعمة ود. حسن نافعة ود. على عتيقة .

على أوجه الخلل القائمة فى أداء الأمم المتحدة وهل تحولت لتكون أداة القوى العظمى وهل استطاعت أو تستطيع الدول النامية أن تنمى أو تطور دور الأمم المتحدة أو تتعامل معه بشكل إيجابى ؟

ولعل أرصد هنا بعض ملامح الأجابات التى وردت على لسان هذه الكوكبة دون الاستغراق فى التفاصيل لأن هذه الملامح تجسد ما أعنيه بالتفاوض النضالى المطلوب حيث أجمع المناقشون على مايلى :

●● أنه لا سبيل إلا بإصلاح بيتنا من الداخل فعندما نطالب الآخرين بأن يكونوا أكثر عدلاً معنا فعلينا أن نكون أكثر عدلاً وأكثر ديمقراطية من الداخل .. وتكون لنا جهودنا الفاعلة والفعالة فيما بيننا دون وصاية وتسلط .

● أن النظام الدولى القائم يعكس عادة دور الأمم المتحدة ... ولكن الانسحاب أو عدم التأثير أو محاولة التأثير فى الأمم المتحدة هو القصور بعينه وهو الموقف الأكثر سوءا .

● أنه لاشك أن الدول الكبرى هى المستفيد الأكبر من الأمم المتحدة ولكن الدول الأخرى وإن هناك تسيبها بليغا أتى به أحد المتحدثين حين قال أن الأمم المتحدة مثل النادى لا يستفيد من أنشطته إلا الأعضاء الأكثر وجودا وفهما لما يحدث به .. ولا شك أن كل عضو يمكن أن يكون نشيطاً فى حدود قدراته .. وكلما ابتعد عن اليأس والأحباط كان أكثر اندماجاً مع ما يمكن وأن يحقق .

● إن تفعيل دور مهم لنا فى الأمم المتحدة على المستويات المختلفة لابد أن يبدأ بتفعيل منظماتنا الإقليمية والدخول بها إلى أروقة الأمم المتحدة وعلى رأسها جامعة الدول العربية التى تحتاج إلى اصطلاحات وتطوير كبيرين .

● أن هناك فوائد جنتها الدول الصغرى فى حالات بعينها لا يمكن انكارها على أصعدة الصحة والتعليم وبرامج التنمية المختلفة .. فلم الأداة المطلقة للأمم المتحدة ؟!

● أن هناك حالات من الازدواجية ومن الظلم وأن الأمم المتحدة قد استخدمت وتستخدم كغطاء لممارسات جائزة للدول الكبرى إلا أن هناك دائما وسائل لكبح وتهذيب هذا الجور ولو بنسب مختلفة وهذا يحتاج إلى تفاوض نضالى من قبل العرب ودول الجنوب وبشكل مستمر لأن البديل أكثر سوءا وبشاعة .

● أن مخاطبة شعوب العالم والتركيز على مقولة ميثاق الأمم المتحدة «نحن شعوب العالم فى غاية الأهمية ولقد ضرب د. البيللاوى مثالا عن حالة فيتنام وقال أن حالة فيتنام توضح أنه ومع التفوق العسكرى الأمريكى إلا أن فيتنام

نجمت في مخاطبة الشعب الأمريكية في عقر داره واستطاعت أن تحركه حتى يقلب الدنيا رأساً على عقب على حكومته لصالح ما تريده في نهاية المطاف ... ولعل أضيف مثالا حديثا جدا يتعلق بفكرة نجاح المنصات الفكرية في عمق الساحة الدولية حيث استطاع رجل مدرب وله مهارات عالية للغاية أن يحرك قطاعات هامة من الاعلام الأمريكي لصالح شعب البوسنة وهو وزير خارجية البوسنة شاكر بك لما له من قدرات متميزة ويعلم كيف يخاطب الرأي العام الأمريكي وهو الأمر الذي كان حاسما في ضغط الاعلام الأمريكي اليومي على الإدارة الأمريكية التي تحركت في نهاية الأمر تحت هذا الضغوط ايجابية وهناك حالات أخرى يمكننا الاسترسال فيها .. والخلاصة أن هذا هو الذي يحقق الفرق بين تبني وتجسيد النضال التفاوضي وبين الاحباط والتفوق والخوف والتخويف الظالم لنا ولقدراتنا الكامنة .

• لعل اختتم هذا المقال بأمثلة إيجابية تحققت بفعل تطبيقنا لمفهوم التفاوض النضالي ففي سياق مؤتمرات السكان التابعة للأمم المتحدة أُرصد من وقائع التفاوض في مؤتمر بوخارست عام ١٩٧٤ أنه قد تم تنفيذ نظرية مالتوس الخاصة بالسباق الكمي بين السكان والموارد وهو سباق كفي تلعب التنمية الاقتصادية والاجتماعية الشاملة التي تقودها الدولة في كل مجتمع الدور الأساسي في رفع المستوى العالم للإنسان اقتصاديا واجتماعيا وثقافيا والانتهاء بهذا السباق لصالح السكان والتنمية والأمكانيات الطبيعية في آن واحد .. ولقد كان الدكتور إسماعيل صبرى عبد الله وزير التخطيط المصري الأسبق ومعه رؤساء الوفود العربية ودول العالم الثالث أول من تصدى لمفاهيم مالتوس هذه بنجاح وتم تنفيذها واستبدالها بالتركيز على التنمية في المقام الأول .

• أما المثال الثاني ... فهو من الوقائع التفاوضية التي حدثت في مؤتمر المكسيك للسكان عام ١٩٨٤ للأمم المتحدة أيضا حيث ورد في التوصية رقم ٣٦ في ذلك المؤتمر حيث حاولت القوى الصهيونية تغييرها لتتفق مع التغيير الديموجرافي في الأراضي العربية المحتلة وتصدت المجموعة العربية المشاركة في المؤتمر حينذاك لمعارضة كل من إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية مما أدى إلى أخذ الرأي بالتصويت وأيدت الأغلبية حينذاك بقاء التوصية رقم ٣٦ كما هي تأييدا لوجهة النظر العربية .

• أما المثال الثالث فيشير إلى الدبلوماسي والباحث جون ماكدونالد في بحث له بعنوان «التأثير الكوني لتكنولوجيا المعلومات» والمنشور في كتاب وقائع المؤتمر الذي جاء بعنوان «آفاق القرن الـ ٢١ .. مقدمة للألفية الثالثة» ... حيث أشار

فى إطاره إلى أنه وفى عام ١٩٦٦ استطاعت مصر أن تحصل على موافقة الجمعية العامة للأمم المتحدة لكى يتم إنشاء كيان جديد بالأُم المتحدة وهو ما عرف بمنظمة الأمم المتحدة للتنمية الصناعية UNIDO ومقرها فى فيينا بالنمسا الآن .. ويذكر أن عبء ومجهود التحرك قامت به مصر فى ذلك الوقت من خلال شخصية مصرية متميزة وهو د. إبراهيم حلمى عبد الرحمن - رحمة الله - حيث تتم من خلال مثل هذه المنظمة محاولات الوصول إلى صيغ للتعاون بين الشمال والجنوب فى مجال التنمية الصناعية (ص ١١٨) .

• أما المثال الرابع والأخير فى سياقنا هذا فهو عن تجربة جماعية عربية خرجت من وقائع مؤتمر الأمم المتحدة للسكان والتنمية الذى عقد بالقاهرة فى سبتمبر ١٩٩٤ ودعيت فيه من قبل الجمعيات الأهلية العربية لتقديم دورة تدريبية فى مهارات التفاوض لعدد كبير من المشاركين والمشاركات من الجمعيات العربية الأهلية فى المؤتمر ، حيث بدأت هذه الجمعيات تستشعر أهمية الدور الفعال الذى يمكنها أن تلعبه فى مثل هذه المؤتمرات وأهمية التنسيق فيما بينهما ، خاصة أن الأمم المتحدة أصبحت تعترف بأن هذه المنظمات غير الحكومية عبر العالم لها تأثيرها الفعال فى عملية إتخاذ القرار فى مثل هذه المؤتمرات ، ولقد نجحت هذه الدورة التدريبية نجاحا كبيرا بفضل الله وبفضل روح التعاون الكبيرة للمشاركين والكفاءة الرفيعة والمتميزة للسيدتين الفاضلتين د. أمانى قنديل ود. منى ذو الفقار وآخرين فى الأعداد الجيد للفكرة وتبنيها وتنفيذها .. ولقد كللت هذه التجربة الجماعية الهامة بالنجاح .

وفى إطار بعض الوقائع التى صاحبت المؤتمر لا أنسى «لقطة تفاعلية» كانت فى سياق وجود حالة من الاعتراض الشديد لدى كافة التيارات بخصوص ما جاء فى وثيقة ذلك المؤتمر عن «مفهوم الأسرة» و«الأجهاض» بما لا يتناسب مع قيمنا الثقافية وعقيدتنا .. ولقد كان هناك فى الحقيقة تفاعلات إيجابية فى مصر تؤكد معادلة هامة مفادها أن للقاهرة رسالة عالمية تحاول من خلالها أن تكون العلاقات إيجابية بين دول العالم أجمع ولكن دون أن يفرض أحد أى أنماط ثقافية تخالف عقيدتنا وتقاليدنا وهو الأمر الذى أكدته الجميع ووقف الرئيس حسنى مبارك معه بكل حسم ووضوح لصالح القيم السامية التى هى فى صالح الإنسانية كلها .. واتذكر أننى أشرت فى ذلك الموقف إلى نص الوثيقة المبدأ الرابع - الذى يقول إن وضع وتنفيذ السياسات السكانية حق سيادى لكل أمة .. وأتذكر أننى عندما قلت أن هناك خبر يفيد بأن جهود القاهرة قد أثمرت ونجحت حملة أعلاء القيم السامية وهذا ما عبر عنه وزير خارجية أمريكا كريستوفر فى ذلك الوقت حين قال «أن بلاده لا تؤيد

الاجهاض كوسيلة لتحديد النسل .. وأن الإدارة الأمريكية لن تتخذ موقفا مؤيدا للأجهاض فى مؤتمر السكان بالقاهرة . (الأهرام ٩٤/٧/٢٩) ... وهنا علق محاور - بالرغم من مركزه المرموق إلا أنه يعتبر من طائفة المحيطين دائما قائلا «هذا خبر ملفق»! ... كما لو أن سيادته لا يصدق أن أحد الأطراف الهامة فى المؤتمر هو أمريكا يقيم وزنا لما نراه وتعمله علينا معتقداتنا وتقاليدنا وأن أمريكا وغيرها تحترم من يحترم نفسه وقيمه هذا بالإضافة إلى وزن القاهرة الحاضر دائما .. فكما لو أن هذا المحور يأبى إلا أن يكون منسحقا مفروضا عليه ما قد يحاول الغير فرضه ..

(الأهرام المسائى العدد الأسبوعى ٢٠٠٠/٧/٩)

(ب) مصر ومعركة التفاوض مع صندوق النقد^(١)

لا يزال التفاوض المصرى وعلى أكثر من مستوى بصدد ادارته لعملية تفاوض شاقة ومركبة إلى أبعد الحدود مع صندوق النقد الدولى ونادى باريس وكذلك العديد من القوى الدولية التى يستعان بدورها كوسيط فى عملية التفاوض .. فبعد جهد كبير حقق الاقتصاد المصرى قدرا من الانجازات التى مكنت التفاوض المصرى من الوقوف على أرضية ، أقل ما توصف به أنها لم تكن موجودة من قبل فهو الأمر الذى حدا بأحد المراقبين / المحللين وهو مارك نيكلسون أن يقول فى صدر مقالته بجريدة (الفينشيل تايمز) «يونيو ١٩٩٤» أن مصر قوية بالدرجة التى يمكنها من أن تقول لا للصندوق .

ولكن لابد لنا من تحليل ملف التفاوض الراهن ، خاصة وأن الساحة تشهد صراعا حادا فى أجندة طرفى التفاوض وصل إلى حد الأزمة بخصوص طلب الصندوق تخفيض قيمة الجنيه المصرى ومن المتعين التعامل الإيجابى مع هذه الأزمة بما يضمن استمرار مسيرة قوية وفعالة لصالح الاقتصاد الوطنى المصرى .

ويمكننا هنا رصد عناصر الموقف التفاوضى بغية التمعن فى عناصر وطبيعة المباراة التى دخل إليها المفاوضون وكذلك طبيعة الحجج المتبادلة والرؤية الكلية للموقف وذلك من خلال تحليل بيانات أولية طرحتها كل من وسائل الاعلام المصرية/العربية من ناحية والغربية من الناحية الأخرى .

أولا : نوع التفاوض

يمكننا القول هنا بأن التوصيف الأشمل يقول أننا بصدد تفاوض غير متكافئ بطبيعته هو ما يسمى بـ Asymetrical Negotiation وهذا التوصيف لا ينبغى وأن

(١) نشر هذا المقال لكاتب السطور فى جريدة البيان الإماراتية فى ١٩٩٤/٨/٢٢ ... وأرصده بنصه كما هو كمثال آخر لاستشراف المستقبل فى ذ الحين والذى لا يزال قائما اليوم .

يعنى الرضوخ فى النهاية للصندوق كما تذهب لذلك بعض الآراء على الساحة وإنما ينبغى وأن يعنى مجرد عبء أكبر على كاهل المفاوض المصرى الذى يتعين عليه أن يولد ويبتكر الآليات المختلفة والمتعددة لتمويض موقف عدم التكافئ هذا الذى أوجده فيه ظروف عديدة ، وهذا ما يحاوله المفاوض المصرى فى إدارته لاشتباك الاجندات الراهن .

كذلك لابد وأن نقول بأن هناك توصيفا أو توصيفين آخرين أكثر تخصيصا لنوع التفاوض والمباراة الراهنة ، والأول هو أننا وطبقا لتصنيفات Ikle الخمسة لأنواع التفاوض فى كتابه بعنوان «كيف تتفاوض الأمم» بصدد مفاوضات «تمديد» (EXTENSION) حيث أن التفاوض الراهن يتعلق باسقاط الشريحة الثالثة والأخيرة من ديون مصر الملغاة طبقا للاتفاقية التى أبرمت عام ١٩٩١ والخاصة بشطب أو إلغاء ديون مصر الخارجية على ثلاث مراحل والتى تبلغ نسبتها فى هذه الشريحة الأخيرة ٢٠٪ أو ما يعادل ٤ مليارات دولار .

ولكن وطبقا لما تضمنته حجج الصندوق والعديد من التحليلات الغربية : التى تذهب إلى ضرورة خفض قيمة الجنيه والفائدة التى ستقدم عرضا موجزا لها ، يمكننا من توصيف نوع التفاوض الراهن طبقا أيضا لأنواع التى ذكرها Ikle وهو ذلك النوع من التفاوض الذى ينبغى أن ينحو فى اتجاه إعادة هيكلة الموقف التفاوضى برمته Redistribution وبالتالي يتحول نوع التفاوض من مجرد تمديد أوتوماتيكى أو شبه أوتوماتيكى لما تم الاتفاق عليه مسبقا عام ١٩٩١ إلى تفاوض يحاول من خلاله مفاوض الصندوق إعادة رسم خريطة الموقف كله وصياغته وتشكيل الأرضية التى يقف عليها المفاوض المصرى .. إن لم يكن الأمر بمثابة محاولة لسحب هذه الأرضية من تحت الأقدام ، إذا ما تأكدت صحة النتائج المدمرة التى تنتج عن الموافقة على طلب الصندوق وفى هذا التوقيت بخفض قيمة الجنيه من ٢٥٪ إلى ٤٠٪ .

ثانياً: الحجج المتبادلة :

رفض المفاوض المصرى طلب الصندوق بتخفيض الجنيه لان ذلك فى غير صالح الاقتصاد المصرى ويترتب على التخفيض زيادة فلكية فى الأسعار قد تصل إلى ٨٠٪ وكذلك عودة ظاهرة الدولة وزيادة كبيرة فى معدلات التضخم وارتفاع فى قيمة السلع الترفيهية بنسبة تتراوح ما بين ١٠٠ و ١١٠٪ بالإضافة إلى ارتفاع فى قيمة السلع المستوردة التى يمكن وأن تحمل لها نظائر فى داخل المنتج المصرى بنسب تتراوح ما بين ١٢٠٪ إلى ١٤٠٪ .. وأكثر من ذلك فإن تخفيض الجنيه سيهز ثقة المستثمر الأجنبى فى الاقتصاد المصرى .

وبالرغم من اتفاق أغلب الآراء على القول بعدم تخفيض الجنيه إلا أن ملف الآراء المصرى يتضمن رأيا آخر مفاده أن الرأى لآليات السوق والعرض والطلب وأن الحكم ليس هو رأى الاقتصاديين أو رجال الأعمال فى تحديد قيمة الجنيه المصرى فى الأسواق .. هذا إذا كان لمصر واقتصادها منفذ للخروج من حالة الركود والانكماش الاقتصادى السائد وهذا يستتبع أن تنخفض قيمة الجنيه المصرى .. وإن استمرار حالة الركود والانكماش الراهنة والجمود والتوقف يعنى أن يستمر الجنيه المصرى فى وضعه الحالى .

أما حجج الصندوق والتحليلات الغربية فتقول : أن تخفيض الجنيه من شأنه أن يزيد الطلب على صادراتنا وأن الطلب المحدود عليها فى الوقت الراهن سيزداد فى حالة تخفيض الجنيه ويضرب بعض المحللين مثال «البرتقال المصرى» وهو جون منرو "Middle East Times" ٩٤/٧/١٧ فيقول يعتبر البرتقال المصرى من أجود أنواع البرتقال فى العالم ولكن تكلفته عالية للمستهلك خاصة فى الأسواق المصرية فى الخارج فى أوروبا الشرقية وأوروبا الوسطى وبالرغم من جودته الفائقة إلا أن هذا لا يعوض سعر البرتقال الأرخص كثيرا الذى يأتى لنفس هذه الأسواق من إيطاليا وإسبانيا ويمثل منافسة كبيرة للبرتقال المصرى هناك .

إذا كانت الآراء المصرية سواء على صعيد المفاوضات الرسمى أو على صعيد رجال الأعمال المصريين الذين يقولون لا لتخفيض قيمة الجنيه اليوم أكثر من قيمته الحقيقية وهنا يطرح Munro سؤالا يقول فيه إذا كان تخفيض الجنيه Devaluation له مخاطر كبيرة أليس فى زيادة قيمة الجنيه عن واقع قوته الحقيقية «بسبب تدخل البنك المركزى» Over Valuation نفس المخاطر ونفس التأثير السلبى ؟!

أن عملية تنفيذ حجج الطرفين من قبل بعضهما للآخر قد تنوعت فى مداعها وأهمها مايلى :

١- أن الصندوق يطالب الحكومة المصرية بالتدخل وخفض قيمة الجنيه المصرى فى الوقت الذى كان الصندوق يطالب فيه دائما بعدم التدخل وترك الأمر لآليات السوق والعرض والطلب فقط وهذا يمثل هنا خللا واضحا فى إقامة الحجج تحت ما يعرف «بعدم الاتساق» والتناقض الذاتى طبقا لادبيات اقامة وتنفيذ الحجج .

٢- أن خبراء الصندوق يسوقون حجة زيادة التصدير إذا ما تم خفض الجنيه المصرى وهذا يمثل أيضا هنا خللا فى إقامة الحجة من منطلق أنه ليس هذا بالضرورة شرطا لذلك .

فعملية التصدير يستتبعها أمور عديدة أخرى مثل إدارة تعقيدات الأسواق

الخارجية وصعوبات أخرى متعددة لا ترجع فقط لقيمة الجنيه المصرى وليكن دعم الصادرات من خلال اجراءات أخرى مثل الاعفاءات الضريبية أو دعم تكاليف الشحن وإلى ما ذلك من إجراءات .

٣- أن أمر تخفيض الجنيه لا ينبغي وأن يكون على الأجندة المصرية سواء فى الوقت الراهن أو المستقبلى وإذا صح الافتراض القائل بأن الجنيه الآن أكثر من قيمته الحقيقية وهذا له آثاره السلبية فلماذا لا يتم تعويض هذا الخلل من خلال مزيد من فرص الطلب على العملة المصرية فى الأسواق الدولية عن طريق تحصيل رسوم المرور فى قناة السويس بالجنيه أو من خلال بيع المحاصيل والسلع الاستراتيجية المصرية بالجنيه المصرى .

٤- أن توقيت المطالبة بخفض الجنيه توقيت سيء للغاية .. وكما يذهب البعض إلى أن تخفيض أو زيادة سعر الجنيه غير مطلوب نهائيا الآن فكل من خفض أو الزيادة فى الوقت الراهن سيؤدى إلى زيادة معدلات التضخم ، وإذا كان الأمر يرتبط الآن بالتفاوض على الشريحة الثالثة والأخيرة والتي تقدر بما يساوى ٤ مليارات دولار ، فإن التخلي عن هذا الاسقاط أقل فى تأثيراته وانعكاساته السلبية من الخضوع لطلب الصندوق بخفض قيمة الجنيه الآن .

٥- أن خبراء الصندوق والمحللين الغربيين يقرون بأن مصر انطلقت إلى آفاق جديدة بعد أن كانت على وشك الإفلاس فى أواخر ١٩٩٠ وإنها تمكنت من خفض معدلات التضخم بشكل ملحوظ وأصبح العجز فى ميزان المدفوعات ٢,٦ ٪ بعد أن كان ١٨ ٪ وأصبح لديها مخزون من السلع الاستراتيجية يكفيها لأكثر من ١٨ شهراً بعد أن كان لا يغطى إلا مدة أسبوعين فقط فى أواخر التسعينات ووجود فائض يقدر بـ ١٧ مليار دولار كذلك كان من الانجازات الكبيرة تثبيت سعر الجنيه فى مواجهة الدولار إلى الآن ولكن صندوق النقد لديه قناعة الآن وكما يذهب إلى ذلك مارك نيكلسون فى مقاله بـ «الفينشال تايمز» إلى أن مصر لا ينبغي فقط وأن تقوم بخفض الجنيه ولكن عليها أن تقلل من نسبة الفائدة عليه لأنها لن تتمكن من الاحتفاظ بهذه النسبة العالية من الفوائد دون أن تتأثر عملية النمو الحقيقى بالسالب .

إدارة التفاوض الراهن :

لاشك أن هناك الكثير مما يقال عن البعد الثقافى السياسى فى إدارة عملية التفاوض الراهن مع الصندوق ولهذا سياق آخر ولكن وبإيجاز نقول أن هناك عدة نقاط يمكن من خلالها مناقشة هذا الأمر وهى :

١- أن الصندوق وكذلك الكثيرين من الخبراء والمحللين الغربيين لا ينظرون لتعقيدات الواقع الثقافى الخاص بنا وإنما لابد وأن نبذل جهدا كبيرا لكي يكون ايقاع التغيير متمشيا مع هذا الواقع الثقافى وتقبل التغيير من نظام وفكر شمولى إلى آليات السوق وزيادة القطاع الخاص لان هذا التغيير من شأنه وأن يؤثر وبصورة كبيرة على بعض الأعباء الاجتماعية وعمليات الدعم الحكومى للعديد من السلع وهو الأمر الذى تعودنا عليه من ناحية وله ما يبرره ثقافيا على أساس مبدأ التكافل الاجتماعى وهو أمر ليس من معتقدات خبراء الصندوق وفكر آليات السوق والخصخصة .

٢- أننا وعلى مستوى تفاعلاتنا الداخلية على يقين بأننا لابد وأن نحرز تغييرا جوهريا لصالح سرعة ايقاع الحركة لدينا ولابد من تغيير فكر الإدارة فى كافة قطاعات حياتنا ولابد وأن يكون ايقاع سرعة الحركة عندنا على مستوى التحديات الكبيرة التى نواجهها ويكون كذلك على مستوى سرعة ايقاع الخصوم والمتنافسين ومن هنا لابد وأن تكون فرصة تأمل معركة التفاوض الراهنة حول تخفيض قيمة الجنيه والتى تستمر فى المستقبل ... فرصة لتغير ما بأنفسنا فالأمر لا يتجزأ .

فإذا قلنا أن جهد قطاع التصدير وكذلك قطاعات الإنتاج المختلفة لدينا هو الذى يمثل الأمر الحيوى والحقيقى فى عملية التنمية وحسم الأمور لصالح أجندتنا التفاوضية على المدى القريب والبعيد فماذا عن قطاعاتنا الأخرى فماذا عن قطاع هام كالجامعة .. هل يعقل أن يظل مثلا نظام الكنترول الراهن [والذى تم العمل به منذ عام ١٩٠٤ .. من أيام الانجليز] معمولا به إلى الآن ؟

أن عملية التحرك السريع والإيجابى المرتبطة بفكر التجديد والابتكار وانسياب العمل أصبح أمرا لابد من تحقيقه فهو بمثابة حياة أو موت !! [انتهى هنا نص ذلك المقال الذى كتبه كاتب السطور منذ ستة سنوات . ويفيد بمثابة للتفاعل مع ضلع مثلث التفاعلات الدولية الخاص بصندوق النقد الدولى وانتقل إلى رصد مقال آخر لحالة تفاعلات الدور المصرى مع الضلع الثالث للمثلث والمتمثل فى التفاعلات مع البنك الدولى] .

★ (ج) الاجندة التعليمية .. رؤية مستقبلية^(١)

[حالة للتفاوض النضالى فى سياق أجندات البنك الدولى وخارجها]

لقد اختارت مصر أن تدير معادلة هامة بحكم كونها دولة من الدول الاقليمية التى تقوم دائما بدور حيوى فى منطقتها وفى العالم وهى أن تتفاعل مع المؤسسات

(١) تم نشر هذا المقال لكاتب السطور بالأهرام المسائى ، العدد الأسبوعى فى ٢٠٠١/٢/١٨ م .

الدولية والعالم الخارجى بشكل إيجابى من ناحية ولكن وفى نفس الوقت أخذت على عاتقها أن تحافظ دائما على هويتها وخصوصيتها الثقافية ومصالحها الاستراتيجية العليا ولا تقبل فرض أجندات مصنعة فى الخارج ، إنما تعمل بعقلانية ووطنية على صياغة أجندتها التفاوضية الخاصة بها مع أخذ العوامل والمعطيات الدولية والإقليمية بعين الاعتبار ولعل إدارة مصر للعديد من التفاعلات التفاوضية لهو خير شاهد على ذلك الحرص على ضبط معادلات التنمية على هذا النحو فى المجالات المختلفة ولعل أشهر تلك التحديات الأخيرة التى شهدتها مساحة التفاعلات المصرية - الدولية على صعيد التنمية الاقتصادية هى وقوف مصر بحسم وصلابة أمام طلب صندوق النقد خفض قيمة الجنيه المصرى فى أكثر من مناسبة ماضية حيث رأت القيادة السياسية والقيادات الاقتصادية خطورة قبل هذا الاقتراح ، وأصر المفاوض المصرى دائما على أن يكون هو الفاعل المشكل لأجندته التفاوضية ولتحركانه وسياساته بأسلوب عقلانى ووطنى ولعل هذا المثل وغيره ليدل على أننا أصبحنا أيضا نتخذ القرار مع وجود قناعة تواصلية هامة وهى أننا لسنا بالضرورة أن نتهم الأطراف الأخرى «بالتأمر» والتفاعل على أساس نظرية المؤامرة السلبية ولكننا فقط وبتجرد نقول أن للآخرين مجرد طرح «ما» أو رؤية أخرى مع وجود حسن الظن كمنطلق مبدئى ينبغى أن نقام عليه أى علاقات ولنا أن نتفق أو نختلف مع هذا الطرح أو ذاك دون الانزلاق إلى متاهات الظن والامساك بزمام الأمور .

فى هذا الإطار العام نود أن نناقش طرحا للبنك الدولى بخصوص اصلاح وتطوير التعليم فى مصر .. من حيث اعطاء الأولوية والجزء الأكبر من ميزانية التعليم للتعليم الأساسى والفنى مع الدعوة إلى إغلاق الباب أمام التوسع فى التعليم الجامعى وانتهاج سياسة انكماشية بخصوصه ولقد وجدت مثل هذا الطرح فى كتاب مهم رغم مضى عدة سنوات على صدوره بعنوان التربية فى مصر لمؤلفته جوديث كوكران وترجمة أ.د. أحمد شفيق الخطيب ١٩٨٩ ، كذلك لمست هذا التوجه الواضح من خلال لقاء أتيح مع مجموعة من أساتذة الجامعات المصرية مع أحد قيادات البنك الدولى فى حوار حول مشاريع اصلاح وتطوير التعليم .. وأخيرا وجدت نفس الطرح من خلال مجموعة مقالات للدكتور إبراهيم شحاته النائب الأول لرئيس البنك الدولى عن التعليم وقضايا المعقدة والشائكة على صفحات الصحف المصرية .

وبالرغم من تنويه د. شحاته «بأن الآراء الواردة فى كتاباته تعبر عن صفته الشخصية كمواطن مصرى ولا يجوز بأى حالة نسبتها إلى البنك الدولى حيث يعمل سيادته» إلا أن طرحا فى جزئية التعليم يتفق وتوجه سياسة البنك ، ولا ننتقد هذا بطبيعة احوال فما هى المشكلة فى أن تكون وجهة نظرى الشخصية متسقة مع

وجهة نظر مكان العمل فى شأن من الشئون ؟! بالطبع قد يحدث هذا فى كثير من الأحيان .

ولكن إذا خلصنا إلى أن الطرح الرئيسى للبنك لتطوير التعليم يدعو إلى إنكماش التعليم الجامعى وعدم التوسع فيه من ناحية ولتركيز على التعليم الأساسى والفنى كتوجه رئيسى ووضع مسألة المجانية موضع التساؤل ... وإذا كان د. شحاته قد تناول تفصيلا وعلى مدى ستة مقالات هذه الزاوية وما يتعلق بها من موضوعات وقدم فى ذلك حجا وأسانيد إلا أننا ونحن فى صدد التماور الموضوعى فى إطار موضوع التعليم وصياغة توجهاته لمصلحة الون لابد أن نسوق إلى بؤرة التأمل وجهة نظر صانع القرار التعليمى فى مصر والتي تنبنى على حقائق دولية هامة بخصوص أهمية التوسيع فى التعليم الجامعى فى مصر وكذلك تأخذ بعين الاعتبار الخصوصية الثقافية المصرية بتعقيداتها ووجهة النظر هذه تقول بأنه وفى بداية التسعينات وفى إطار مشروع مبارك القومى لتطوير التعليم الجامعى وتمت دراسات عديدة فى وزارة التعليم والمجلس القومى للتعليم ووزارة التنمية الإدارية ووزارة الحكم المحلى ووزارة العمل ومنظمة اليونسكو تبين فيها الآتى :

(١) أن نسبة التعليم العالى فى مصر هى نسبة متدنية مقارنة ببعض الدول العربية وكل الدول الأوروبية ودول حوض البحر المتوسط وشرق أسيا . إذ تبلغ فى مصر ١٩,٥ ٪ مقارنة بـ ٢٢ ٪ قطر ٢٧ ٪ الأردن ٢٩ ٪ لبنان ، ٣٤,٥ ٪ إسرائيل ، ٣٠ - ٤٠ ٪ معظم دول أوربا ، ٥٩ ٪ أمريكا ، ٤٠ ٪ اليابان ، ٦٤ ٪ كندا (ملحق رقم ١ - كتاب مبارك والتعليم نقلا عن الكتاب السنوى لليونسكو والصادر سنة ١٩٩٢) .

(٢) أن هناك اتجاها عالميا لزيادة نسب التعليم الجامعى والعالى خاصة فى دول شرق أسيا (النمور) وفى إنجلترا حيث كان التعليم الجامعى إلى وقت قريب هو تعليما للصفوة فقط وتحول اليوم إلى شعار تعظيم المنفعة من العليم الجامعى واتخذ قرار سياسى بزيادة نسبة التعليم الجامعى من ٢٢,٥ ٪ إلى ٣٠ ٪ فى نهاية هذا العقد كما تم تحويل كل المعاهد التكنولوجية إلى جامعات وانتهاء بأمريكا وفيها نسبة من أعلى نسب التعليم فى العالم حيث أعلن الرئيس الأسبق جورج بوش الأب أنه يرغب فى أن يكون كل عمال أمريكا من الجامعيين .

(٣) أن هناك اتجاها جديدا خاصة فى اليابان التى تتبع نظام الإعداد الوفيرة فى التعليم الجامعى (تبلغ النسبة ٤٠ ٪) حيث تغير الهدف من التعليم الجامعى من تخريج موظفين أو أكاديميين إلى هدف جديد وهو امداد كل مجالات الاقتصاد القومى والإنتاج بخريجين جامعيين يتميزون بسعة الأفق وروح البحث والابتكار والمبادرة ، يدخلون كل مجالات الإنتاج والاقتصاد حتى مستوى الوحدات

الصغرى مما ينعكس أثره على زيادة واضحة فى النمو الاقتصادى (ملحق رقم ٣ - كتاب التعليم فى بلاد الشمس المشرقة) .

(٤) أن نظام الإنتاج العالمى الجديد الذى نتجه إليه شئنا أم أبينا يحتاج إلى نوعية جديدة من العاملين والكوادر التى يفترض فيها أنها تستطيع أن تتعامل مع التكنولوجيا الجديدة وأن تتقن اللغات .

بشكل متطور يسمح بفهم علاقة اللغة والثقافة والفكر السليم سواء على نطاق استخدام اللغة الأم أو اللغة الأجنبية .. وفى سياق الاستخدام الفعال للغة وفكر الإدارة الحديثة التى تتعامل مع المواقف وعنصر الوقت وإدارته على أفضل نحو .. هذه النوعية الجديدة هى المطلوبة اليوم لتعمل بشكل لا مركزى على خطوط الإنتاج لتصل إلى الجودة المطلوبة فى أسواق التنافس فى عالم اليوم وهى المطلوبة أيضا لترويج وبيع السلع الجيدة . ومثل هذه النوعية لا تأتى إلا من خلال التوسع الكمى والنوعى فى التعليم الجامعى ولا أمل لمصر فى التقدم إلا من خلال هذا التوسع الرأسى (العددى) والنوعى معا .

إن تبنى أمر التوسع فى التعليم الجامعى لحقائق مهمة ترتبط بالواقع الثقافى المصرى ومنها أنه من الناحية السياسية والثقافية والاجتماعية ، فإن التعليم الجامعى هو الطريق الوحيد المشروع لآبناء الطبقات الفقيرة للارتقاء اجتماعيا وأنه أمل الأسرة المصرية الفقيرة ، كما أن الشهادة الجامعية هى فى مصر كما أنها كذلك فى بلاد كثيرة أخرى حتى المتقدمة تعتبر شهادة أو «رخصة» اجتماعية إلى جانب أنها شهادة علمية لجميع طبقات المجتمع . أنه على افتراض وجود نسبة ضرورية من البطالة من خريجى أى مرحلة من التعليم ، فإن مواجهة البطالة لشباب فى مرحلة المراهقة ودون وعى كاف أو خبرات حقيقية ، اخطر على المجتمع كثيرا فى مواجهة البطالة بالنسبة لشباب نضج نسبيا بعد سنوات من التعليم الجامعى ، حصل فيها على شهادة جامعية ترضيه نفسيا واكتسب من خلال التعليم خبرات تمكنه من التكيف مع المجتمع وإيجاد فرص عمل جديدة .

إن اتباع سياسة انكماشية فى التعليم الجامعى تعنى عدم التفاؤل بالنسبة للنمو الاقتصادى وتزايد فرص العمل الجديدة الناتجة عنه ، كما أنها وهذا هو المهم هنا نفترض نظاما انتاجيا متخلفا نسبيا عن الاتجاهات العالمية المنافسة (أى نظام الإنتاج الذى يعتمد على خبرات وقدرات عالية) .. ولقد تبين من الدراسة التى قامت بها وزارة التنمية الإدارية ووزارة القوى العاملة أن نسب البطالة الناتجة عن التعليم الجامعى فى مصر لا تتجاوز ١٣٪ مقارنة بنسبة ٨٠٪ من خريجى التعليم الفنى والمتوسط وبذلك يتبين أن التعليم الجامعى ليس مسئولاً عن البطالة فى مصر بل العكس هو

الصحيح ، فإن فرص العمل تزيد بإتاحة الفرصة للشباب فى اكمال تعليمهم . إن اتباع سياسة انكماشية فى التعليم الجامعى يعبر ضمناً عن ربط التوظيف بالتعليم وهو مبدأ لم تعد الدولة تقبله .. إذا أن الدولة مسئولة أساساً فى عصر «آليات السوق» عن إتاحة فرص التعليم بكل مستوياته للشباب وأن الخريجين مسئولون عن استخدام الخبرات والقدرات التى اكتسبوها فى البحث عن فرصة عمل أو خلق فرص عمل جديدة لأنفسهم . الخلاصة المنطقية هى أن وجهة نظر البنك بخصوص التركيز على وتدعيم التعليم الأساسى والفنى وإعطائه الأولوية القصوى لهو طرح بالفعل وبالطبع هو مهم وله موضوعيته كذلك فإن مقولة د. شحاته بخصوص الأمية وأهمية القضاء عليها على الأكثر فى خمس سنوات بتكاتف جهود الدولة وتنسيقها هو طرح حتمى ولا بد من العمل على الأخذ به ولكن إذا كان هو الطرح يتضمن بالضرورة تبنى سياسة تقليص وانكماش للتعليم الجامعى فى مصر فهذا ما لا يتفق عليه ، فمعاهدنا وجامعاتنا هى التى يتعين عليها قيادة التنمية المتقدمة وامداد جميع مجالات وقطاعات التنمية بكل ما تحتاجه من خبرات ومؤهلات مرتفعة اسماً وفعلاً .. نهم ينبغى أن تكون لسياسة التعليم عين على سوق العمل ومتطلباتها على أن تتم مراعاة الترشيح فى إعداد المقبولين بما يتفق مع حاجات الاقتصاد القومى وقطاعات الدولة المختلفة وتحديد الاعداد المقبولة فى التخصصات التى بها اكتفاء والتوسع فى التخصصات التى يوجد بها عجز كما ينبغى الترشيح داخل الكليات ذاتها وزيادة أقسام اللغات فى كليات الآداب والتجارة وتخصص التسويق فى كليات التجارة ، وأن يتم الأخذ فى الاعتبار التوصيات والإتجاهات للدراسات الدقيقة عن البطالة بأبعادها المختلفة .. ولكن السؤال هنا هو فى أى شىء يصح الانكماش ؟! .. لا بد أن يكون الانكماش فى مسألة منح درجاتى الماجستير والدكتوراة .. فلا بد أن تكون هناك معايير صارمة للحصول على هذه الدرجات إلى مجرد ثقافة التطلع والارضاء الاجتماعى فقط .. كذلك لا بد أن يكون هناك انكماش فى كل ما يعوق تعظيم القدرات والمنافع من التعليم الجامعى فى مصر .. ولا بد من التكاتف وبذل مزيد من الجهود لازالة جميع معوقات انطلاق واداء الجامعات ، ولاشك أن قيادات التعليم فى مصر ترحب بما يقترح فى هذا الصدد إعمالاً بمبدأ ثقافة المشاركة وسعيها لتطوير قدرات جامعاتنا العريقة والتوسع الكمى والنوعى فيها طبقاً لاحتياجات التطور والنمو فى المجتمع المصرى ولعلنا لا ننسى أبداً أن هذا التعليم العالى فى مصر هو الذى أمد جيش مصر العظيم بنصف مليون مقاتل من المؤهلات العليا الذين استطاعوا أن يستوعبوا تكنولوجيا العصر فى وقت مذهب وأن يشاركوا ليس فقط فى هزيمة أحدث أسلحة واستراتيجيات حلف الناتو والترسانة الأمريكية فى لحظة من أروع لحظات تاريخنا الحديث . [انتهى نص هذا المقال] .

٥- تحديات الدور المصري ومهمة تفكيك نظام الحرب الجائرة وتحديات عملية التواصل عبر الثقافات :

.. نحو المشروع المصرى العربى لاستشراف وتفعيل المستقبل الدولى

اولا : ماذا عن عملية التواصل عبر الثقافات والتداعيات الإيجابية والسلبية ؟

لقد خرجت إلى حيز الوجود العلمى مئات الدراسات الحديثة فى مجال تحليل عمليات التواصل عبر الثقافات Cross-Cultural Communiation ولم تكن هذه الدراسات من أجل العلم للعلم فقط بل كان هدفها السعى لإدارة الاختلافات الثقافية من أجل تعظيم القوة الاقتصادية أساساً ... وكان ذلك على الصعيد الأمريكى والأوروبى الذى شهد وجود حاجة ماسة لهذا العلم الحيوى ... الذى وضع معادلة رئيسية فى هذا الصدد تتمثل فى قوة رأس المال + إدارة الخلفيات الثقافية (دون سوء فهم أو اهدار = تحقيق أقصى نفع اقتصادى .

ولقد أثبتت دراسات انهيار الشركات والقطاعات الاقتصادية الكبرى فى حالات بعينها أن الخلل فى الشق الثانى من الجزء الأول من المعادلة وهو الخاص بتعظيم أقصى درجة من الإدارة الجيدة للخلفيات الاقتصادية (culture synergy) كفيل باحداث انهيار فى المؤسسات الاقتصادية الكبرى التى توجد بها جموع من ذوى الخلفيات الثقافية المختلفة ... كذلك امتدت الدراسات فى هذا المجال لتشرح كيف أن افتقاد فهم تقنيات ومستويات عمليات التواصل عبر الثقافات تؤثر بشكل مدمر على العلاقات بين الأفراد والدول إذا لم يكن نبين كامل لها ومراعاة سوية فى الممارسة فى عملية إدارتها كذلك امتدت أهمية هذا المجال إلى فكر المستقبلات وعملية صناعة القرار الدولى المشترك ... ، ومع كل الاهتمامات العلمية بهذا المجال الحيوى فى سياقات عديدة ... إلا أنه وعلم التفاوض من العلوم التى لا تزال بحاجة كبيرة لنشر تقنياتها والاستزادة النظرية والعلمية والعملية على مستوى دول العالم قاطبة وكان التعامل مع هذه التقنيات ولا يزال من الأمور الصعبة التى تحتاج إلى جهود أكاديمية وتدريبية لتدريب قطاعات كبيرة من الدبلوماسيين والإعلاميين ورجال الأعمال والتجارة والإدارة عليها ... ولكن تتحول هذه السمات إلى صعوبة بالغة بطرح نظريات صدام الحضارات ... ولن يكون التأثير السلبي على الواقع الدولى بين الدول ... ولكن ادعاءات هذا الصدام إذا ما تم تفعيلها فإنها ستؤثر حتماً على التركيبة الداخلية للولايات المتحدة التى كانت قائدة لفكرة بوتقة الانصهار الثقافى (Melting pot) ... وقد تعجل عملية تفعيل «صدام الحضارات بسيناريو تفكيك

(١) راجع : كتاب ديفيد هاريس بالإنجليزية ، مرجع سابق .

وانهيار أمريكا ... ولعل المقال التالى لكاتب السطور يوضح هذه النقطة بقدر من التفصيل والذى جاء بعنوان «إدعاءات هنتينجتون تؤدي إلى تفكيك أمريكا»^(١).

ادعاءات هنتينجتون تؤدي إلى تفكيك أمريكا

وفوضى فى العالم !!

وفى كتابه بعنوان صدام الحضارات ، كتب ما يفيد أنه وعلى الرغم من أن الدول والشعوب الأخرى تخشى على نفسها مما يسمى بالأمبريالية الأمريكية ، فإنه يؤمن بأن التعددية الثقافية Multiculturalism هى التى ستدمر الولايات المتحدة الأمريكية ... ويؤكد ذلك بقوله : «أن الثقافة الغربية تواجه تحديا داخل ذات المجتمعات الغربية وهذا التحدى يأتي من المهاجرين من الحضارات الأخرى الذين رفضوا الاندماج والانصهار ولا يزالون يتمسكون بقيم حضارتهم الأصلية التى جاءت منها ... وهذه الظاهرة أكثر ما تلاحظ بين مهاجري المسلمين فى أوروبا خاصة .. وهى موجودة فى الكيان العرقى من الأصل الأسباني فى الولايات المتحدة كذلك .. ويستغرق فى هذا الطرح إلى حد التحذير بتهكم من أن تتحول الولايات المتحدة بفعل الاعراق التى لم تنصهر فى البوتقة الأمريكية إلى «أمم متحدة» !! أى أن جل ما يخشاه هنتينجتون هو صعود العرقية فى أمريكا ... وأن اللوى الخاص بكل عرق قد اختطف السياسة الأمريكية الخارجية فى أحداث بعينها ... والحل لأمريكا هو إعادة الاعتبار فى التعامل مع هذا الوضع ... فهذا الكلام يناقض أطروحات هنتينجتون فى كتابه المهم «الموجة الثالثة» الذى كان يدعو فيه إلى التعددية والدمقرطة والروح الدولية وشيوعها وحتمية شيوعها فى العالم .

ثم يعود بعد ذلك بنظرية مناقضة تماما تتمثل فى صراع الحضارات ... ولا يخفى المحلل الموضوعى أنه وفى مقاله عن «عصر حروب المسلمين» يقدم تصنيفا للأعراق والثقافات من حيث موقفها بعد ١١ سبتمبر بأسلوب الأقرب والأبعد «لثقافة الأمريكية» وهو فى كلية طرحه يضع تصنيفا داخليا بين الأعراق فى أمريكا بشكل أو بآخر ...

فإذا ربطنا بين طرح هنتينجتون وبين ممارسات الاضطهاد السلبية ضد العرب والمسلمين من الأمريكيين اليوم لوجدنا لها دلائل خطيرة ليس فقط على أعطاء الجالية ، بل على صميم جوهر الفكرة الأساسية التى أسست عليها أمريكا .

ولعل من المهم أن نتوقف هنا لنعرض صورة بانورامية إلى حد ما لفهم السياق

(١) حسن ، محمد وجيه ، حسن ، الأهرام ٢٠٠٢/٢/٩ م .

الذى نتحدث عنه ، وهنا من المهم التوقف أمام مشاهد مهمة على الساحة الثقافية الأمريكية كما فى حالة تطورات حركات انفصالية مثل تلك الساعية إلى اعلان جمهورية تكساس فهى من أكبر ولايات الولايات المتحدة ، بالإضافة إلى النزعة الموجودة دائما ويقوة متنامية بين البيض والسود وإحصائيات واحداث هذا البعد ككثيرة ومتنامية ولها دلالات تفكيكية عالية فى المستقبل إن ظلت التوجهات كما هى عليه ...

فعلى صعيد الدعوة إلى اقامة «جمهورية تكساس» والدعوة لانفصالها عن الولايات مثلا نجد أن عددا من خبراء المستقبليات ينظرون لهذا على كونه من الأمور ذات الدلالات الخطيرة والزائر أو المقيم فى ولاية تكساس قد يلاحظ من خلال بعض المناقشات والكتيب وحتى الكروت والصور والتماثيل التى تكون موضع الاستفسار والآخذ والعطاء أنها تشير إلى وجود حركة من أنشط الحركات الانفصالية فى الولايات المتحدة ... وهذه الحركة اكتشف مؤسسها ريتشارد ماكلارن أن ثمة شوائب دستورية قد حدثت فى سياق ضم جمهورية تكساس إلى الولايات المتحدة أواسط القرن الماضى ، ومن الجدير بالذكر أن تكساس كانت مقاطعة مكسيكية نشط فيها الاستيطان الأمريكى إلى أن أعلنها المستوطنون جمهورية مستقلة عام ١٨٣٦ ، وفى ١٨٤٥ أصدر الكونجرس الأمريكى قراره بضم تكساس إلى الاتحاد . ومما هو جدير بالذكر كذلك أن ولاية تسكسا قد انضمت عام ١٨٦١ إلى المحاولة الانفصالية فى الجنوب الأمريكى والتى أدت إلى الحرب الأهلية ...

ولا تزال هذه الحركة الانفصالية برمزها المتجددة إلى اليوم حاضرة إلى حد بعيد فى المشهد الثقافى الأمريكى وفى إطار صراع الهويات الخفى وينضم إلى ذلك وجود حركات انفصالية أخرى فى ألاسكا وهاواى ، وتطالب الحركة الانفصالية فى هاواى بحث تقرير المصير للسكان الأصليين مشيرة إلى الطابع التعسفى لضم مملكة هاواى إلى الولايات المتحدة وتذويب هويتها الوطنية عبر الاستيطان والتهجير وأواخر القرن الماضى ...

وهذه الحركات وغيرها من الميليشيات تطالب بالحد من سلطة الحكومة الاتحادية اليوم وبالإضافة إلى ذلك ظهر على الساحة الأمريكية ما يعرف اليوم بظاهرة «انفجار الأديان» أى زيادة انتشار اديان متعددة فهناك اليوم ٥ ملايين مسلم على الأقل [ويقال أن هناك ٥ ملايين بوليس سرى لهم اليوم] و ٦٦ ملايين يهودى ومليون هندوسى ومليون بوذى و ٢٧٥ ألف سيخى و ١٣٣ ألف بهائى .. إلى آخره .. ويلاحظ خبراء الأديان أن الزيادة فى التنوع الدينى لها دلالات كبيرة فى المستقبل

على حساب الوضع التقليدي الذي كانت أمريكا فيه مقصورة على الكاثوليك والبروتستانت واليهود .. فهذا الاحتكار قد انكسر ، وأن التحول الأكثر ترجيحاً للزيادة المطردة أرجعه جميع الخبراء نحو الإسلام ... الأمر الذي دفع البعض إلى التفكير في التركيز على الهوية والقيم اليهودية - المسيحية .. فعمل «المركز الأمريكي للقانون والعدالة» الذي أسسه بات روبرتسون عام ١٩٩٠ على ممارسة «الدفاع عن القيم اليهودية - المسيحية» ورفع الدعاوى من أجل السماح بالاعتراف بنواى الأنجيل كجزء من نظام التعليم وضغط حاكم ولاية الاباما داعياً إلى إعادة الصلاة إلى المدارس الحكومية وأرجاع حق توزيع الوصايا العشر فى صفوف المدارس والمنشآت الحكومية ، ولكن المحاكم الفيدرالية احبطت المشروع ... ولكن ازدياد التنوع الدينى وتركيبته سيزيد من تغيير تركيبة المجتمع الأمريكى ككل خاصة مع فتح مدارس لجاليات كثيرة تدرس الثقافات والديانات الأصلية ... وعلى المجتمع الأمريكى أن يتكيف ويتواءم بانسانية دون قمع أو سياسات خاطئة تفجر الأوضاع .. إن ما أود طرحه بإيجاز هنا دون أن أتوسع فيه فى دراسة تفصيلية هو أن الدعوة إلى صدام الحضارات ، خاصة بالشكل الفج والمختزل الذى عبر عنه هنتينجتون فى مقاله «عصر حروب المسلمين» الأخير ... كتبرير أو غطاء للحملة على الإسلام والدول الإسلامية وابتزازها وتهديدها بالضرب تحت دعاوى وهمية لتبرير فرض النفوذ والهيمنة لن يكون له تأثيره السلبى للغاية على السياسة الخارجية وشكل ووضع أمريكا فى الخارج فقط بل سيكون له كذلك موجه ارتدادية فى غاية القوة على جوهر الداخل الأمريكى ذاته بأوضاعه وتركيبته المستجدة .. والحل لا يكمن ابداً فى تبنى تنظير هنتينجتون ومن يمثلهم من دوائر معروفة فهو تنظير مبالغ فيه خاطئ إلى أبعد الحدود ويعمل ضد فكرة التعددية وادارتها - داخليا وخارجيا - وهى فكرة جوهرية أمريكية أو من المفترض ذلك ... بل أن تبنى هذا التنظير من شأنه الأسهم فى تفكيك أمريكا وفتح باب فى هذا الاتجاه قد يصعب غلقه لأنه ضد السنن الكونية التى أوجدها الله سبحانه وتعالى للعالمين ...

.... وهناك غالبية من الشعب الأمريكى لا تقبل بهذا ... فهناك دوائر الحكومة الأمريكية ويمثلها بوش وكولن باول وغيرهما يعملون جيداً أن الصدام والعودة عن جوهر الفكرة الأمريكية ومحاربة العالم الإسلامى ودولة ليس فى المصلحة الاستراتيجية العليا الأمريكية ... ولكنهم يواجهون دوائر تتخفى وراء المصلحة الأمريكية فهى فى الحقيقة تعمل ضده تماماً وستؤدى توجهاتها إلى كوارث على الجميع ، خاصة فى ظل الاستجابة لضغوط هذه الدوائر التى تضم الشعب الفلسطينى اليوم بالإرهاب بكل الظلم وبكل المعايير المزدوجة ... فهل شهد التاريخ الإنسانى ظلماً بينا كهذا ...

حينما يتناسى العالم أو بغض النظر عن جوهر الأمر والمتمثل فى ظلم الاحتلال واختلاس الحقوق الذى هو أعلى مراتب الإرهاب ... إن مهمة القمة العربية المقبلة فى بيروت صعبة ... ولكن لابد من أن تعبر عن موقف عربى متماسك - غير متوصل إلا لله عز وجل - والتعامل مع الأوضاع من موقع دبلوماسية الحقوق اتلتى لا يمكن التنازل عنها أو الخضوع للابتزاز والتهديد بأشكاله ... فسيناريوهات الانهيار والتفكيك أو البقاء تخص العرب كما تخص أمريكا بالسلب أو بالإيجاب ، وعلى مؤتمر القمة أن يجد صيغاً وأساليب مبتكرة وتحركات بعينها من شأنها إظهار هذه العلاقة التبادلية المبنية على المصالح الشطط والخلل والإرهاب الإسرائيلى ومنظرى الصدام الخاطي والانتقاص من الحقوق المشروعة .

وبالرغم من شيوع نظريات «الصدام الحضارى» ومحاولات تفعيلها بشكل يغلب عليه الاختزال والتسييس الخاطي ، إلا أن العالم فى أغلبه - بما فى ذلك - قطاعات كبرى فى المجتمع الأمريكى - يدرك أن العالم بحاجة ماسة إلى الإدارة الفعالية للاختلافات الثقافية من أجل اقتصاد أفضل وعلاقات أفضل على الأصعدة المتعددة .

وإذا كان هناك استهداف جائر وتشويه مفتعل للإسلام والمسلمين ومحاولة إلحاق صفة الإرهاب بهم فى خضم تفاعلات ما يسمى بالحرب الجديدة ضد الإرهاب» .. والحاجة إلى بزوغ دولة محورية إسلامية لقيادة التفاعلات المتعلقة بهذا البعد لتبديد المخاوف والتعامل الإيجابى مع مخاطر التطرف والإرهاب ، فإن الدور المصرى هو المرشح بقوة ... لما تتميز به مصر من دور عبر ثقافى على مدى تاريخها الطويل وما تمتلكه من مؤسسات وقنوات لها طابعها الفريد فى عالم اليوم وتحظى بقبول وتقدير عالمى فى هذا الصدد وهو الأمر الذى تناولته فى سياقات جديدة سابقة ومنها مؤخراً فى دراسة تفصيلية^(١) ويؤكدده الكثيرون داخلياً وخارجياً ... ولعل مقال د. أسامة الغزالى بعنوان «المسئولية الإسلامية لمصر»^(٢) (بالأهرام ٢٠٠٢/١٢/٩) والمشار إليه آنفاً فى بداية هذا الجزء من هذه الدراسة ليعمق الاهتمام المطلوب بالدور المصرى فى هذه الجزئية .

ولعلنى أضيف أن الأمر يتسع لكى تنهض مصر بمشروع علمى كبير لمواجهة تحديات عمليات التواصل عبر الثقافات يكون لها مركزه فى مصر وآليات وصوله

(١) حسن ، محمد وجيه حسن ، حروب الهوية ومستقبل التفاوض :

(أ) مع الغرض ، مرجع سابق .

(ب) راجع لكاتب السطور مقالاً عن المهمة المصرية فى تحدى التواصل عبر الثقافات وجاء بعنوان «رؤية مصرية لاستشراف وتفعيل المستقبل الدولى» الأهرام ١٩٩٩/٩/١٢ .

للساحة الدولية من أجل ممارسة تأثيره الإيجابي المطلوب .. ولعل من أهمل الضرورات الملحة هو السعى لتفكيك نظام الحرب الجائرة وطبيعة التحركات التفاوضية متعددة المستويات المطلوبة .. ولعل هنا أعيد نشر هذا المقال الذى تناولت فيه وبقدر من التفصيل طبيعة ما هو مطلوب على المستويين الآتى العاجل والممتد فى هذا الصدد فيما يلى :

نحو تحرك عربى إسلامى لتفكيك «نظام الحرب الجائرة»!

هناك سباق محموم فى ظل إيقاع متسارع للأحداث بين من يسعى لتغليب الدبلوماسية والشرعية الدولية كأداة أساسية من أجل السعى لاقرار السلام العادل القابل للاستمرار لصالح الجميع وبين من يرى فى تفعيل «نظام الحرب» أسلوباً لغرض هيمنة القوة ودبلوماسية البوارج واستخدامها كأداة وقناة يكون لها اليد العليا لتوسيع التحرك المنفرد - «والاستباقي» حتى وإن لم يتوافر أى دليل تبريرى مقنع لاستخدام تلك القوة كبديل عن الدبلوماسية والشرعية والدولية فى أى لحظة فى خضم تتابع الأحداث .

وبين هذين الاتجاهين ينتظر العالم النتيجة مروءة أخرى ، وكذلك التداعيات التى قد تكون مروءة .. ولذلك لا مفر عن الإيجابية والسعى الدءأوب لتعبئة .. كل الجهود المخلصة والموضوعية المتناثرة على المستوى الدولى فى إتجاه الشرعية والدبلوماسية ، من هنا تكون المهمة العاجلة أن يتم طرح وتفعيل أجندة تهدف أول ما تهدف إلى تفكيك واحتواء «نظام الحرب» والمقصود بهذا ليس مجرد الاستخدام المعهود للغة المناشدة والدعوة لتحكيم والعقل فقط ، بل الأمر بحاجة إلى أساليب ابتكارية لزرع الصورة الذهنية المخيفة التى ستتولد من جراء هيمنة «وابتذال» نظام الحرب الذى لن يكون مصلحة أحد .. مع السعى لطرح وتفعيل مجموعة من الإجراءات العملية وبلغة مقبولة للجميع ومراعية للاجندات المتنازعة لتحقيق مباداة يكسب منها الجميع أو على الأقل لاتصال بالعالم إلى حالة مروءة لاشك أن عقلة المباداة الصفرية الاحادية ستفقد إليها ، من هنا نرصد مايلى كمنطلقات لاجندة التفاوض الدولى الفعال :

أولاً : فى تفكيك «نظام الحرب» وترسيخ صور نتائجه السلبية المستقبلية التى تعمل ضد الصالح العام للجميع .

وهذا البعد يستلزم اقامة رءوس كبارى مع أصحاب العقول المنصفة ذات الاقتناع المشترك بأهمية تفكيك «نظام الحرب» ... خاصة أن تفكيك هذا النظام

كأسس فاشى ونازى كان من جراء درس الحرب العالمية الثانية التى دفع العالم كله ثمنا باهظا لها .. ولكن يبدو أنه درس قد أصبح منسيا ولا بد من إعادة ترسيخ دروسه وعبره .. وهنا نرصد عناصر استناد مهمة من واقع الفكر الغربى ذاته وتمثل فيما طرحه المفكرى الأمريكى سام كينى فى كتابه المهم بعنوان «وجوه العدو» FACES OF THE ENEMY حيث يقول فيه :

إن العدو الحقيقى أمام بشرية هذا القرن الذى يتطلب كفاح الجميع ضده يتمثل فى «نظام الحرب» .. حيث أن العائق الاساسى الذى يبعدنا عن التخلّى عن «نظام الحرب» كنظام مهيمن .. يتمثل فى البعد النفسى والتركيبية الذهنية التى تقتنع وتقتنع الآخرين بها من أن الحرب حتمية وأن العالم بلا حروب هو عالم غير واقعى وخيالى !! من هنا يطالب سام كينى بأن الضرورة والأولوية الملحة هو إبراز رؤى مبتكرة للتعامل مع عقلية حتمية نظام الحرب من خلال أساليب وسائط ومؤسسات متعددة .. لا تتعامل فقط مع الحاضر بل تعالج جذور مارسه الماضى المرير وما خلفته ممارسات الهيمنة والاستعلاء ومحاولة الوصول لفهم موضوعى يعالج جذور الصراعات من أجل تخفيفها وعدم الوصول بها لحالات التفجر ..

وإذا كان ما قاله سام كينى يمثل نقطة استناد لما يقتنع به العقلاء فى عالم اليوم .. فلقد وقعت عينى وأنا أقلب فى أوراق قديمة على مقال متميز للراحل لطفى الخولى - رحمه الله - كان قد نشر بالإنجليزية فى الأهرام ويكلى .

منذ سبع سنوات بتاريخ ١-٧ يونيو عام ١٩٩٥ .. بعنوان «فى غزل نسيج الصراع» ويتحدث فيه عن تداعيات غطرسة القوة وكأنه يشاركنا أحداث اليوم حيث يقول :

«إن هناك دوائر دأبت - ومنذ عدة سنوات - على تصوير الغرب وكأنه مواجه من قبل مجموعات من الأعداء الكامنين .. وتسعى هذه الدوائر لتشكيل وصياغة مستقبل العالم بقا لرؤى ومناظير غريبة فقط تراعى مصالح الغرب بينما تتجاهل مصالح الآخرين الذين يطلبون منهم الاستسلام غير المشروط للهيمنة الغربية إن هذه الدوائر المتشددة تؤمن بأن الغرب هو الحارس الطبيعى والتاريخى لهذا العالم ، وطبقا لمنطق هذه الدوائر ، فإن من يختار أن يكون خارج المظلة الغربية خاصة المظلة الأمريكية فلا بد أن يعتبر واحدا من «الأعداء» وكذلك فهو أحد أعداء النظام الدولى الجديد !!

ويضيف الراحل لطفى الخولى فى نفس مقاله المتميز الذى كتبه منذ سبع سنوات قائلاً

«يبدو لى أن الكولونيالية الاستعمارية الجديدة التى نراها اليوم ، هى كولونيالية تتأصل جذورها فى الاقتناع بأن الغرب قد أحرز نصرا حاسما ، إلا أنها كولونيالية تترك الباب مفتوحا على مصراعيه لظهور وتجسيد قوتين متضادتين ، ولهما نفس القدرة التدميرية الكبيرة والقوة الأولى تتمثل بطبيعة الحال فى القدرة التدميرية التى يمتلكها الغرب المتقدم تكنولوجيا .

ولكن هناك كذلك القوة التدميرية التى تملكها القوة المهمشة المناوئة للغرب والأقد تقدا من الناحية التكنولوجية إلا إن لها قدرات تدميرية هائلة هى الأخرى .. ولا ينبغى لأحد أن يفترض أن مثل هذه القوى غير الغربية هى قوى عاجزة عن تسجيل عدم رضاها واعتراضها لمجرد انها قوى أو دول غير متقدمة أو متخلفة .. العكس هو الصحيح .. لأن الوصول لمرحلة اليأس من الموقف سيدفع مثل هذه القوى إلى أن تجد نفسها فى موقف من يكون لديه القليل ليخسر فى نهاية المطاف .. ويمكن فى هذه الحالة أن تقوم هذه القوى بإفساد الكعكة كلها .. إن مثل هذه القوى التى لا يرى الغرب إلا تهمة شهما بفرض هيمنته لديها ما يمكنها من الحاق أكبر الأذى فى معركتها ضده إذا ما أجبرت على ذلك ..

انتهى كلام الراحل لطفى الخولى الذى ذكره منذ أكثر من سبع سنوات مضت ليؤكد فيه منطق التداعيات السلبية والمروعة التى سوف يفرضها «نظام الحرب الجائرة» التى تتخفى وراء مصطلحات ومفاهيم براقة خالية من أى مضمون حقيقى عندما يكون ضحيتها آلاف الأبرياء ومصادرة مستقبل الملايين ظلما وعدوانا وبلا أى حق مشروع .

ثانياً : عبثية «مباراة الجبان» المتمخضة عن هيمنة «نظام الحرب الجائرة» وعدم جدواها :

من المباريات الشائعة فى نماذج نظرية المباريات Game theory فى إدارة الصراعات التى تستخدم من قبل دوائر «نظام الحرب» بدلا من مباريات الدبلوماسية والشرعية التى تسعى لمراعاة مصالح الأطراف كلها .. ما يسمى بـ «مباراة الجبان» (Chicken Game) وهى مباراة بدائية أحادية التوجه ، وهى مأخوذة من مباراة أو لعبة حقيقية يمارسها المراهقون حيث يتسابقون بسيارتين تتجهان نحو بعضهما البعض على طريق واحد وبالسرع القصوى ، والفائز فى هذه اللعبة هو ذاك المراهق الذى يبقى مسيطرا على أعصابه حتى الملاحظات الأخيرة دون جبن أو خوف .. وعندما يدرك تصميم الآخر على المواجهة ينعطف بسيارته جانبا قبل الاصطدام به بلحظات مخليا له الطريق بأكمله .. وفى هذه اللعبة يفرض اللاعب «الجنون» الذى يركب رأسه إلى آخر لحظة على الطرف الآخر ، إما الخوف والابتعاد عن طريقه ، أو

أن يزرع لديه إصرارا أكبر على عدم الخوف «وركوب» رأسه هو الآخر إلى الحد إلى لا يبالى معه وإلى الحد الذى قد يحدث فيه الاصطدام المروع بين اللاعبين .

لقد أثبتت ممارسات «مباراة الجبان» التى مارسها ولا يزال اللاعب الإسرائيلى متمثلا فى شارون التى تجسدت فى استخدام الطائرات المصممة لضرب الدشم والمواقع الحربية الحصينة فى ضرب بيوت الفلسطينيين ، وفى استخدام قذائف اليورانيوم المستنفذ ، وكذلك استخدام الزوارق والبوارج وحرق المزروعات وتدمير البنية الاقتصادية ، لكى «يجبن» و«يخاف» الشعب الفلسطينى ويرضخ للاحتلال ولقواعد «مباراة الجبان» هذه !!

فماذا حدث من جراء هذا الرهان الإسرائيلى الخاشر ١٩ جاءت سلسلة عمليات فدائية فلسطينية لم ولن تنتهى .. وتكبدت إسرائيل خسائر فادحة .. فإن كانت إسرائيل تدعى النجاح فى ضرب التسوية السلمية وإلحاق الخسائر البشعة بالفلسطينيين ، إلا أنها لم تحقق أى نجاح فى تحقيق أمنها ... بل خسرت هى الأخرى وستخسر المزيد ، وهى تستنجد بطلب عشرة بلايين دولار تعويضا من أمريكا عن خسائرها الاقتصادية الباهظة ، ولن تنتهى دوامة العنف البشع إلا بانتهاء الاحتلال .. ولم ولن ينجح فكر «مباراة الجبان» إلا فى زرع روح التحدى والمقاومة ، وإلى حدوث نقلة ونقلات نوعية فى مقاومة الاحتلال ، وهى حادثة تدمير الزورق الإسرائيلى عند شواطئ غزة لتشهد بذلك .. وسلسلة الأعمال الفدائية الأخيرة فى أعماق إسرائيل التى خسرت أكثر مما خسرت فى حروب كبيرة .

إذا كان الإفلاس وعدم الأمن والخسائر الاقتصادية الفادحة للجميع فى حالة أسلوب إدارة الصراع الفلسطينى - الإسرائيلى بأسلوب «مباراة الجبان» و«نظام الحرب الجائرة» عن أى دبلوماسية تفاوضية عادلة تراعى مصالح الأطراف الحقيقية ، فإن حال وأسلوب دوائر تعظيم دور «نظام الحرب» كبديل للحوار والدبلوماسية والمكافحة الفعالة لذكور الإرهاب الحقيقى من قبل أنصار هيمنة الفكر الإمبراطورى وتجييش الجيوش .. لن تكون هى الأخرى أحسن حالا .. فمصيورها الإفلاس والخسارة للجميع .. لن تكون هى الأخرى أحسن حالا .. فمصيورها الإفلاس والخسارة للجميع .. فتعظيم وهيمنة «نظام الحرب» ونظريات تصنيع وافتعال العدو لاشك أنه سيعود بالخسائر الاقتصادية الفادحة على أمريكا فى نهاية المطاف .. ولن يكون لتوظيفه بأسبوبي دوائر «الحرب فقط» أى عائد حقيقى وملحوس فى محاربة الإرهاب الحقيقى .. فلم يحدث فى التاريخ أن واجه جيش جرار الإرهاب كما يحدث فى حالة مواجهة جيش بجيش .. بل مقاومة الإرهاب تحتاج إلى استراتيجيات مختلفة تماما ... اللهم إلا إذا كانت الجيوش تتحرك لإخافة الجميع وطلب انصياعهم بلا

قيد أو شرط ولأهداف أخرى غير موضوع الإرهاب إياه .. وهذا لا يمكن أن يمنع الإرهاب ، بل سيولد حلقات جهنمية ومناخا مناسباً له .. ولن يخيف الدول والشعوب خاصة شعوب هذه المنطقة ذات الخصوصية الشديدة إذا ما كان الهدف هو إخضاعها ومصادرة مستقبلها .

ثالثاً: الإستراتيجيات التفاوضية المطلوب تبنيتها لتفكيك نظام الحرب الجائرة :

١- السعى لتغيير قواعد اللعبة الأساسية قدر الاستطاعة وهنا وفي حالة عدم توازن القوى السائد وجب فتح القنوات مع الطرف الآخر لتحرير وترسيخ حجم الخسارة الناتج له أساساً وللجميع كذلك من جراء مباريات «نظام الحرب» كأسلوب لإدارة العلاقات الدولية ، وهو ما حاولنا توضيحه في أولاً وثانياً .. وهنا ينبغي أن نقوم بمبادرات عديدة نخدم تفعيل هذه الإستراتيجية بعيداً عن ردود الأفعال التقليدية وغير البناءة .. وهنا لابد أن نتناول المحاور التالية :

أ - احباط سيناريوهات تحميل الصراع العربى - الإسرائيلى على سيناريوهات «الحرب الأمريكية على الإرهاب» التى تسعى إليها دوائر معروفة .

ب- الإدارة العكسية للهجمات ضد العرب والمسلمين بفتح قنوات للحوار والتفاوض الإعلامى والاكاديمى الفعال لافشال الاعلامى والاكاديمى الفعال لافشال حملات المعلومات المغلوطة لتصوير السلام كمصدر للعداء وعدم الاستقرار فى العالم وهو ما قدمنا مناظرات عديدة بخصوصه ولا يمكن أن تنتهى مثل هذه المناظرات مادامت مستمرة مثل هذه الحملات ، التى تحتاج إلى قناة مفتوحة تديرها هيئات إسلامية كبرى ينبغى أن يكون لها صوتها المسموع من أجل التعامل مع مثل هذه الحملات بفاعلية واحتوائية ونقله نوعية فى الأداء تحتاج إلى مزيد من التفاصيل فى سياق آخر .. مع النظر والاعتبار إلى أن هذه الحملات على كونها وقوداً وأداة لتفعيل نظام الحرب الجائرة التى تسعى دوائر الهيمنة والصدام لتفعيله وجعله أمراً واقعاً ضد العالم العربى والإسلامى إن علينا أن نتخذ من هذه الحملات الملوغمة والمضللة مصدراً وسباقاً مهماً ليس للرد على ما تضمنه من افتراءات أو مغالطات ، بل جعلها وعاء مضاداً لكى ننشر من خلال الرد عليها معطيات النموذج الإسلامى العقلانى والرشيد والمحتوى والمعبر عن المقاصد السامية للإسلام فى الماضى والحاضر والمستقبل كنموذج للتعايش وافشاء السلام والنماء للبشرية جمعاء .. خاصة فى سياق تعطش الكثير من الدوائر الغربية والأمريكية لسماع وجهة النظر الأخرى .. خاصة من الجهات الإسلامية الكبرى خاصة الكلمة المسموعة .

٢- تبنى استراتيجية التجنب والتلافي الإيجابي وعدم السقوط فى فخاخ الآخرين .

وهذه استراتيجية محورية ينبغى تبنيها على عدة أصعدة منها ما يخص أمر الصراع العربى - الإسرائيلى ومنها ما يخص أمر ما تسمى «بالحرب الجديدة ضد الإرهاب» .. ومن ملامح الأداء الذى ينبغى وأن يكون من جانبنا لهذه الاستراتيجية تجنب مسلسل الإسهام السلبى من خلال التفاعلات غير المدروسة والتحركات الخاطئة من جانبنا كمن يقدم الذرائع على طبق من فضه أو ذهب للآخرين لتنفيذ مخططاتهم العدوانية .

وهناك الكثير من أمثلة الأداء الخاطئ الذى كلفنا ولا يزال ثمننا باهظا والأمير بحاجة إلى سياق تفصيلى آخر .

٣- تبنى استراتيجية التكامل لتفعيل أقصى الطاقات عربيا وإسلاميا ودوليا .

لاشك أن حالة الجمود والانتظار والتوقع القائمة فى العالم العربى والإسلامى التى تتجسد فى تفاعلات إما تندرج تحت مفهوم «الإندهاش» والمندهنين تارة أو المحتقنين المنفعلين الذين يتحدثون إلى أنفسهم أو يوجهون السباب واللغوات بدلا من مخاطبة الآخر والتأثير الإيجابى فيه تارة أخرى أو حال الأغلبية من المتفرجين .. هذه الحالات مستزيد الأمور سوءا وتعقيدا وستخلق بنا أكبر الضرر ، المطلوب هو إدارة سريعة فعالة للاختلافات العربية - العربية والعربية الإسلامية لتفعيل أقصى طاقة لتعظيم القوة المتاحة التى تجعل من صوت العقلانية والرشد صوتا مدعوما بسياسات مؤثرة وقابلة للتعديل بما يمكننا من إدارة الصراع الممتد الذى يريد تأجيجه منظرو صدام الحضارات ومنفذو مثل هذه النظريات التى بدأت تأخذ مع الأسف طريقها للتفعيل .. إن مثل هذا التحرك العربى الإسلامى وإن جاء متأخرا للغاية فهو ضرورة الضرورات الملحة الآن وليس غدا .. فهل تنقد لدينا حاسة الأبصار لما هو آت وحاسة السمع لما يقال .. أم يظل الوضع طبقا لاستراتيجية من لا يرى ولا يسمع ولا يتكلم ومن ثم لا يتحرك مفضلا انتظار مشاهدة فضائياتنا وفضائيات عصر العولمة الإعلامية وهى تنقل مشاد لمباراة احادية الجانب تحدد مصائرنا فنشاهدها كما نشاهد حلقات «غباشى» أو «حسين على الهواء» أو حتى مسلسل «فارس بلا جواد» فى أحسن الأحوال أو اتعسها !! هذا والله أعلم والله ولى التوفيق وحده المستعان .

٦- تحديات الدور المصرى والتفعيل الاقصى لفكر المستقبلات وتحدى التواصل عبر الثقافات من خلال القنوات الاكاديمية والاعلامية المتاحة والسعى لتدشين القنوات الاكثر تأثيرا وذات الوصول إلى الساحة الدولية

لاشك أن من معطيات إحداث التأثير الإيجابي للتحرك المصرى على الصعيد الدولى ... إن يتم أحداث نوع من ضخ الدماء لهذا الدور داخليا أولا كما أوضحت فيما ذكرته عن تدشين برنامج تشغيل علمى حديث The New Scientific Cul- teral Software وما يتعلق بذلك من خطوات حيوية أساسية تحدثنا عنها ومن هذا المنطلق يتم تعظيم الطاقات المتاحة ومن ذلك القنوات الأكاديمية والأعلامية الموجودة والمتاحة فعلاً ، بالإضافة رلى تدشين الجديد كما فى حالة المشروع الألفى المصرى لتحديات التواصل عبر الثقافات الذى تحدثنا عنه وانشاء ما يمكننا من أوعية مستجدة على سبيل المثال السعى لانشاء المجلس المصرى لجامعة الأمم المتحدة على غرار المجلس الأمريكى للجامعة الذى تم تدشين أكبر مشروعات استشراف المستقبل من خلاله ... ويمكن لمثل المشروع المصرى هذا أن يكمل دور هذه الجامعة التى يمكن من خلالها إعادة الكثير من التوازن لدور الأمم المتحدة وأن يملأ فراغاً موجوداً ومطلوباً لدولة كمصرات تملؤه خاصة فى هذه الظروف الصعبة والمضطربة التى يمر بها العالم ... ولعل الأمر يطرح على المسؤولية بوزارة التعليم العالى وبوزارة الخارجية لتفعيل دور مثل هذا المجلس بالتفاوض مع جامعة الأمم المتحدة فى مركزها الرئيسى باليابان .

تفعيل الطاقة القصوى للقنوات الاكاديمية والاعلامية المتاحة لنا اليوم

مع السعى لانشاء الأوعية الجديدة ذات الطابع الخاص والمتصلة بالساحة الدولية بشكل مباشر ، لابد من اعادة النظر فى إمكانات القنوات الأكاديمية والإعلامية المتاحة فى مصر لتفعيل محاور الدور المصرى التى أشرنا إلى أهمها فى هذه الدراسة ولعلنى أقول أنه وبالرغم من قلة امكانيات المادية المتاحة إلا أننى وافق من أن هذه الإمكانيات إذا ما تم توظيفها الأقصى بمكيازمات تعبر فجوة الإدارة الراهنة لحققت وبروح كروح رمضان أكتوبر ١٩٧٣ المجيدة انجازات كبيرة ... فلقد حققنا الكثير فى رمضان أكتوبر ١٩٧٣ بامكانيات معروفة كانت لا ترقى لامكانيات المطلوبة فعلاً ... وتحقق الإنجاز الكبير بفضل من الله وعونه ... ولعلنى أعود إلى موضوع فجوة الإدارة فى بحث آخر ... ولكن أود الإشارة هنا إلى تلك الأفكار المهمة التى طرحها أ. د. أحمد شوقى فى دراسته عن «صورة المستقبل : كيف نرسم ملامحها ..» عندما

أشار إلى فكرة إنشاء مجلس أعلى للمستقبلية^(١) يدير توجيه الفكر الإستراتيجي لخريطة المستقبلية ومراكزها وبرامجها في مصر كخطوة ضرورية وأولية نحو تفعيل الأقصى للطاقة البحثية بمصر في هذا المجال الحيوي للدور المصري وللأمن القومي المصري ...

ولعل من المهم أن أؤكد هنا على ربط هذا النشاط الأكاديمي المرتبط بتنفيذ إمكانات الدور المصري بمؤسسات لها ثقلها وسمعتها الدولية المتميزة كمؤسسة الأزهر الشريف ومكتبة الإسكندرية ... وكذلك بقنوات الاعلام المتاحة وهي كثيرة وينقصها التوظيف الأمثل ولسنا بحاجة إلى إنشاء الجديد كما نحاول بجامعة الدول العربية وتشتكى من نقص الإمكانيات ! ولعل انبه إلى مشكلة تفاعلية فيما يتعلق بواقعنا الإعلامي فأرصد هنا مقالاً كنت كتبت عن هذا الموضوع وجاء بعنوان «العرب أكبر قوة إعلامية!!»^(٢) وذلك فيما يلي :

★ العرب أكبر قوة إعلامية في العالم !

لا بد أن نعي أننا نملك قوة إعلامية ضخمة للغاية ولكنها مثل أمور كثيرة لا تستغل الاستغلال الواجب ، فالولايات المتحدة مثلاً تمتلك ١٨٠ مكتباً إعلامياً في سفاراتها عبر العالم ، أما العرب فيمتلكون ما يقرب من الـ ٥٠٠٠ مكتب إعلامي في سفارات الدول العربية بالخارج ، وهذه قوة كبرى مدفوعة الأجر لا تنتظر ميزانيات جديدة ولدينا عدد لا بأس به من الفضائيات الآن ، ولا يبقى إلا إدارة الصراع الإعلامي بكفاءة وبكوادر مدربة لا بد من حشدنا في هذه الأماكن وابتكار السبل العديدة لكسب معرفة الإعلام ... وإذا كان لنا أن نفعل شيئاً مثمراً في إطار إستراتيجية متكاملة ، فإن علينا توظيف الأصوات الغربية العادلة والموضوعية والتي لها وزنها في الواقع الغربي في أطر إستراتيجيتنا ، ولعل من المهم أن نقدم هنا رسداً لجانب على قدر كبير من الأهمية في هذا الصدد وهو المتمثل في صوت المفكر المعروف وعالم اللغويات الشهير توم تشومسكي الذي قدم محاضرة طويلة ومهمة أخيراً في معهد ماستشوستس للتكنولوجيا (ش.ة ح.) عن أزمة الشرق الأوسط الراهنة . ولعلنا نلخص أهم ما ينبغي أن نتوقف أمامه فيما أورده تشومسكي فيما يلي :

١- إن أزمة الشرق الأوسط الراهنة قد تتطور إلى حرب إقليمية بسرعة كبيرة ، إن لم

(١) شوقي ، أحمد «صورة المستقبل ، كيف نرسم ملامحها؟» المكتبة الأكاديمية ، القاهرة ، ٢٠٠٠ م .

(٢) حسن ، محمد وجيه ، «العرب أقوى قوة إعلامية» ، جريدة الوطن السعودية ، ١٩/٧/٢٠٠١ م .

يتم وقف ميكانزمات التدهور القائمة ، خاصة أن دول المنطقة المعنية لديها ترسانات ضخمة من الأسلحة فوق التقليدية .

٢- إن الحصار الاقتصادي المفروض على الفلسطينيين لم يسبق له مثيل ، وإنه رهان إسرائيل لكسر إرادة الشعب الفلسطيني ، وإن هذا الحصار مع ضرب المدنيين يتم تمويهه تحت مظلة رد إسرائيل على العنف الفلسطيني .

٣- إن ما تفعله إسرائيل حاليا في الأراضي المحتلة مماثل تماما لما فعله الصرب في البوسنة والهرسك من مجازر جماعية استدعت التدخل الدولي والأمريكي أساسا وعدم التدخل يمثل جريمة في حق الإنسانية كلها .

٤- إن على أمريكا أن تعي أن سياسة الاحتواء المزدوج التي مارستها ضد إيران والعراق لم تعد فعالة ، وأن من أهم ما كان يمكن وأن يؤدي إلى نجاحها وجود هذه السياسة في ظل عملية سلام ناجحة تسير على نحو إيجابي بين الإسرائيليين والفلسطينيين ... وبانتهاء هذه العملية فإن الموقف الأمريكي في الشرق الأوسط يتعرض للفشل والمصالح للخطر .

٥- إن التعسف الإسرائيلي في فهم الاتفاقيات ، خاصة أوامرو يعنى شيئا واحدا وهو إذلال الفلسطينيين إلى أبعد حد ، والاعتراف بالسلطة الفلسطينية فقط دون الاعتراف بحقوق الفلسطينيين ، وكأن الهدف كان ولا يزال مجرد إيجاد شرطة محلية تساعد قوات الاحتلال الإسرائيلي أو حفظ الأمن في مناطق السلطة ليس أكثر ولا أقل .. أى إن الأمر لم يخرج وكما وصفه تشومسكى عن كونه نمطا معروفا من أنماط وسلوكيات القوى الاستعمارية التقليدية !

٦- يعتبر تشومسكى أن الموقف الأمريكي يتسم بالتواطؤ والنفاق والتصديق على اعتداءات إسرائيل أساسا وهو الأمر الذى نتج عنه مقتل عشرات الآلاف من الفلسطينيين واللبنانيين والعرب إلى اليوم درس حرب أكتوبر !

٧- وعكس معظم ما يكتب ويقال ويعرض على شاشات تلفزيونات غربية وعربية مع الأسف ، حيث يكون الكلام عن أى حرب مقصورا - مع الأسف - على مهزلة عام ١٩٦٧ م ، يقول تشومسكى في محاضراته : «إن المأساة الكبيرة هي عدم التعلم من دروس الماضي حيث لا بد أن نتذكر أنه فيما بعد ١٩٦٧ م انتشرت الدعاية القائلة : إن العربى لا يعرف أو يعنى أين كعب البندقية من فوهتها إلى أن فوجئ العالم كله بحرب أكتوبر ١٩٧٣ م وهى تلك الحرب التى ألقت الرعب فى قلب كل واحد فى العالم حيث كادت المواجهة تتحول إلى نووية ووقعت إسرائيل فى اضطراب كبير وظهرت مصر كقوة رادعة على وجه

الخصوص وتحرك كيسنجر من خلال ما عرف بدبلوماسية المكوك لينفذ ما يمكن إنقاذه إلى أن تتابع الأحداث حتى وصلت إلى توقيع معاهدة كامب ديفيد .

٨- يصل تشومسكى إلى قناعة مؤكدة إلى أن الأمور تنحو نحو خطر أكبر قد لا يمكن السيطرة عليه ويشعر بأن هناك مسؤولية جسيمة تقع على الجامعات والمثقفين والإعلام والصحافة والآخرين لتعريف العالم بما يحدث حقيقة وهناك مسؤولية كبرى وأخطر على هؤلاء الذين يحاولون منع العالم من الفهم الحقيقي للأحداث .

الخلاصة : إن هناك مثالا غربياً مشهوراً وهو «إنك لا تستطيع خداع العالم كل الوقت» وهذا ما ينطبق على آلة الدعاية الإسرائيلية التي تمثل الغطاء لآلة الحرب القاصرة ، والذي يطالع الصحف الإسرائيلية ومواقع الإنترنت التي تنشر عليها آلة الدعاية الصهيونية أكاذيبها لا يخفى في أن يكتشف هذه الأكاذيب فعلى سبيل المثال لا الحصر راجع مقالا كتبه أنرديا ليفين في صحيفة الجيروزليم بوست ٢٠٠١/٤/٦م بعنوان : «عين على الإعلام : هيئة الإذاعة البريطانية تشن الحرب حيث ينتقد الـ التي يسميها أكثر من مئة وخمسين مليون مستمع حسب قوله لأنها تحدثت أخيراً على إسرائيل بالأوصاف الصادقة دون كذب وسمحت لقطاعات متعددة من الشعب الفلسطيني بالتعبير عن حقهم وغضبهم من المجازر التي ارتكبتها إسرائيل في حقهم وحق ذويهم ...

والملاحظ أن دفاعه وإدائته قد كشفت أكثر عن حقيقة ما حدث على الرغم من عبث الكاتب في باقى ما ذهب إليه ولن يصدقه أى عقل ناقد وواع ، والأكثر والأهم هو ما يرد عن أمثال تشومسكى كما أوضحنا وما يصل إلى إسرائيل اليوم من انتقادات عنيفة من أوروبا ومن أمريكا ذاتها ، ولكن ما لا يكفى نهائياً أن تترك الأمور تحدث دون تدخل فعال منا وبإستراتيجية مدروسة وفعالة نوظف فيها أصوات العدل والحق التى لن تخفت ونعمقها ونصل بها ومعها إلى مزيد من فضح وكشف آلة الدعاية والحرب الإسرائيلية ومواجهتها باستمرار على الأصعدة المختلفة بقوة وحكمة وإيمان عميق بقدرتنا على تحقيق النصر وهزيمة هذا الكيان الدخيل واسترداد مقدساتنا مهما طال الزمن والله ولى التوفيق وهو وحده المستعان .

خاتمة

مصر والعرب والعالم وسيناريوهات أربع

ليس الهدف من هذه الدراسة تقديم ٤ سيناريوهات تفصيلية بالطريقة المتعارف عليها فى صياغة السيناريوهات ، إنما ما قصدناه أساساً هو تحديد منطلقات للتحرك وترسيخ لعناصر ما نراه على كونه برنامج تشغيل علمى ثقافى جديد يستنهض أقصى الطاقات اللازمة لإدارة مباريات تنمية فى الداخل ومجابهة أحداث دولية غير مسبوقة وفى غاية التعقيد والتركيب ، وكما يستلزم التعامل معها الحرص والدقة والعقلانية بعد أن نسأل الله العالى القدير أن يوفقنا ويحفظ مصرنا وأمتنا العربية الإسلامية مما تتعرض له مخاطر وهجمات شرسة ، يستلزم الأمر استحضار ذلك المناخ العلمى المطلوب إعلامياً وتعليمياً ومؤسسياً لتعميق النهج المستقبلى من منظور لغويات التفاوض وهو النهج المفتقد فى إدارة الكثير فى تفاعلات الداخل ويتسبب عدم تفعيله بالشكل المطلوب - الإطاحة بفرص كثيرة لاستباق الأزمات ومنعها بدلاً من إدارتها فى مراحلها المتأخرة بعد أن تكون الأمور قد استفحلت وأصبحت «قطع الشطرنج» خارج لوحة مباريات التفاعل فى إطار هذه الأزمة أو تلك ... ولقد أوضحنا بالعديد من الأمثلة التحديات التى يواجهها الدور المصرى والمحاور الأساسية لمثل هذه التحديات ، كما أوضحنا بالأمثلة ما المقصود بالبرنامج العلمى الثقافى الجديد المنشود ... وسلطنا الضوء على حجم التطرف القادم من الخارج ومنطلقات السعى لاحتوائه وإبطال أثاره السلبية على العالم كله والمتمثل فى فكر الصدام الحضارى المفتعل وفكر النبوءات الغريبة التى رصدنا طبيعتها بشيء من التفاصيل بعد أن خرجت مثل هذه النبوءات من مجرد حيز الأدبيات والكتابات إلى إطار التفعيل السياسى السلبى والعدوانى ومصاحبة ذلك لتلك الحرب الجائرة التى تتخفى اليوم وراء مصطلح «مكافحة الإرهاب» التى لا بد وأن نتحرك من أجل «تفكيك نظامها» فيما يتعلق بمقدراتنا ، خاصة فى ظل أوضاع دولية غير مواتية وصعود المحافظين الجدد وسعيهم الامبراطورى على مستوى العالم أجمع ..

مما سبق نود أن نطرح هنا ٤ سيناريوهات استعارية شهيرة فى مجال المستقبليات من ذلك النوع الاستعارى الحاضن [NESTING METAPHORIC SCENARIOS] .

ونحاول أن نرى فى إطارها منطلقات السعى المطلوب فى إطار رحم تفاعلات مصر والعرب والعالم . وهذه السيناريوهات الحاضنة الاستعارية هى التى تمت صياغتها فى جنوب أفريقيا وسميت بسيناريوهات «مونت فليز» ؛ إشارة للمكان الذى شهد فى جنوب أفريقيا مشهداً مهماً من مشاهد التدخل العلمى الجماعى لحل

معضلات وأزمات عاصفة فى تاريخ دولة جنوب أفريقيا ... فلم ينقذها سوى ذلك الحشد العلمى من هذه الدولة ؛ حيث كانت تجرى بينهم مداولات علمية بخصوص الحجج الأساسية التى ينبغى أن تبنى عليها سيناريوهات مستقبل البلاد وتحركاتها فكان مدخل كل سيناريو عدد كبير جداً من الحجج ليتم تنفيذها بكل أبعادها ثم استخلاص سيناريو يستند إلى أصح الحجج التى يمكن الاعتماد عليها علمياً وعملياً على صعيدى التبنى والممارسة ، وفى خضم هذه العملية التعصيفية للأفكار بين نخبة من أفضل خبراء جنوب أفريقيا فى كافة القطاعات المطلوب أن تتفاعل مع الأزمات وتديرها وتستبقها وتمنع المزيد منها ؛ فى خضم هذا المناخ كان يحكم على كل سيناريو بمسمى استعارى يصفه ويصف ما به من خلل حتى تم الوصول إلى أفضل سيناريو محكم علمياً (قدر طاقة البشر التى هى دائماً لها حدودها وخاصة فيما يتعلق بفكرة التدخل الإيجابى فى المساحة المسموحة فى إطار القدرات التى أعطاها الله لخلقه من البشر) ...

من هنا نرصد مسميات هذه السيناريوهات الأربع وهى :

(1) سيناريو النعامة (OSTRICH)

وكان يقول عنه خبراء جنوب أفريقيا وطبقاً للحلول التى كانت تعرض عليهم لتقييمها يتمثل فيما يلى :

«تلك الحكومة أو الأطراف التى لا تريد أن تواجه الحقائق . فمن المفترض أن النعامة تضع رأسها فى الرمال عندما يتهدهدها الخطر ، فالنعامة لا تحب أن ترى ، ولا يمكنها أن تطير لتنتقل فى السماء وترى الصورة من أعلى ... والنعامة تضطر فى النهاية أن ترفع رأسها من الرمال ..» .

(2) سيناريو البطة العرجاء (THE LAME DUCK)

أما السيناريو الثانى الذى وصفه خبراء جنوب أفريقيا فكان يتمثل فى محاولة تبنى الحكومة لفترة انتقالية ممتدة للعقد القادم لإدارة الأمور .. وفند الخبراء ذلك السيناريو بقولهم - بغض النظر عن التفاصيل الدقيقة الخاصة بأوضاع جنوب أفريقيا حينذاك - أن مثل هذا السيناريو يتمثل فى صورة «البطة العرجاء» .. وهى صورة ذلك الطائر (البطة) ذى الجناح المكسور وبالتالى مهما حاول من مجهود ومهما كان له من إصرار إلا أنه لا يمكن لهذا الطائر أن يطير نهائياً فينتقل فى السماء ، وكما أنه كونه مصاباً يشير إلى أن لمثل هذا الطائر مصير غامض وغاية فى السلبية من المنظور المستقبلى .

(٣) سيناريو ايكاروس (ICARUS)

وايكاروس هو طائر على شكل إنسان فى الأساطير الأغريقية القديمة وهو طائر لا يقوى على الطيران طويلاً ثم يسقط ويتحطم بعد اقلاعه .. وقصته طويلة ولكنها قصة ايكاروس الذى هرب من الاضطهاد بصنع جناحين كبيرين وحذره والده من عدم الطيران قرب الشمس وكان يمكنه الطيران المؤقت السريع حتى ينجو ويهرب من موقع الظلم الذى كان يعانى منه ، ولكنه انتش من حرية ومتعة الطيران .. فأخذ يطير أعلى وأعلى ولم يراع إمكانياته ولم يلحظ أن أجنحته لا تقوى على الطيران فى ارتفاعات عالية ، فسقط وتحطم .. « وهذه الصورة مناسبة لوصف أى سيناريو لا يراعى الفاعل فى إطاره حدود أو محدوية طاقاته أو إمكانياته أو ينطلق من وضع لا يسمح إلا بالإنطلاقة لفترة قصيرة ومهمة محدودة .. ويعتمد على هذه الإمكانية فى القيام بمهمة أكثر ما تتحملة إمكانياته والمثل الإنجليزي الذى يقال هنا فى إطار هذا السيناريو هو : [FLY NOW CRASH LATER] أى فليكن لك أن تطير الآن ... ولكنك ستسقط بعد قليل !]

(٤) سيناريو طيران الفليمنجو (The Flight of The Flemingo)

ومن المعروف أن طائر الفليمنجو يقلع ببطء ولكنه يصل إلى ارتفاعات عالية للغاية ، كما أنه لا يطير وحيداً عادة ، إنما يطير فى إطار سرب كبير ومن المعروف علمياً أن طيران السرب الكبير يقلل من مقاومة الهواء للطائر وبالتالي يقلل من إهدار طاقاته .

ومتى توفرت الحجج القومية من كافة الجوانب فى صياغة السيناريو وتفعيله وضعفت فرص الخلل المتوقع بها كلما امكن تسمية أو وصف مثل هذا السيناريو بوصف «الفليمنجو» .

مما سبق أقول بأننا لابد ونحن نتحدث عن الدور المصرى وفى إطار التحديات الصعبة التى اشترنا إلى أهمها والتى نواجهها اليوم وغداً فإن علينا استنهاض ذلك المناخ العلمى فى إطار المشروع المصرى المفترض لاستشراف وتفعيل الدور المصرى وهو الأمر الذى يحتاج منا إلى إحداث إجماع نخبوى مصحوباً بطاقات أكبر للتفعيل كالذى حدث فى إدارة سيناريوهات جنوب أفريقيا - بعيداً عن روح الفردية والجزر المنعزلة والاقصاء السلبي بأنواعه والتى لن تخدم غرضاً أو تحقق هدفاً حقيقياً ... وعلينا فى هذا الإطار أن نستهدف سيناريو معيارى يتعلق بأهم ملامح الدور المصرى على الأصعدة المختلفة يتحقق به «سيناريو طيران الفليمنجو» لنا وللآخرين فى هذا العالم بعيداً عن السيناريوهات الثلاثة الأخرى التى تتسم بالخلل والتى رصدناها

اعلاه ... وما هذه الدراسة وغيرها مما كتبت لا تشكل سوى «إحدى المدخلات»
التي ينبغي أن يتبعها مدخلات أخرى ومدخلات الخبراء والعلماء المصريين لتشكيل
جميعها قاعدة بيانات يتم تقطيرها وتكريرها لاستخلاص أقوى الحجج وإحداث
الاجماع عليها والسعى للتفعيل الأقصى لها ...

هذا والله ولى التوفيق وهو وحده المستعان مع الدعاء بأن يوفق الله قادة هذه الأمة
ويوفق كل الجهود المخلصة أنه السميع المجيب »

تمت بحمد الله تعالى .